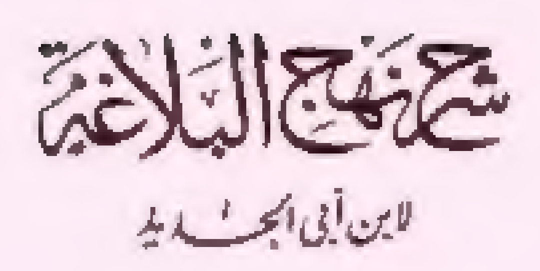


لابن أبي الحديد

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء العشرون

١٩٦٤

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيان

هذا هو الجزء العشرون من كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، بحسب التجزئة التى وضعها المؤلف لهذا الكتاب ، المترامى الأطراف ، المتشعب الأغراض ، الجامع لصنوف المعارف والفنون والآداب .

ولقد لقيتْ هذه الطبعة عند الأدباء والباحثين من بشاشة القبول وحسن التقدير وجميل الثناء مايملأ النفس اطمئنانا وارتياحا ؛ وأقبل الناس على اقتنائها من مختلف النواحى والأرجاء ؛ كما عمرت بهما دور الكتب وخزائن العلماء . وكان حرصنا على معارضته بأصوله ، وتحقيقه على مراجعه ، والاهتمام بضبط ألفاظه ، وشرح ما انبهم من كلماته ، والتعليق عليه بما يقرّب بعيده ، ويدنى أقاصيه؛ يعادل حرصنا على المضىّ فى إخراجه ونشره ، وتيسيره لدى العلماء وجمهرة القرّاء والمتأدبين ؛ بما يسّر الله وهدَى ، ووفّق وأعان .

وقد ذكرت فى مقدّمة الجزء الثالث أنى سوف لا أنقطع عن النظر فيما يتمّ طبعه من أجزائه ؛ كلّما رأيت مجالا للتصحيح ، أو موضعاً للتعليق ، أو سبيلا إلى الاستدراك والتعقيب ؛ مما يتهيأ لى من مراجعة ما يجدّ من النّسخ ، أو أحصل عليـه من الأصول ، أو يتبيّن لى من توجيه الرأى عند معاودة النّظر ، أو يظهر لى من أخطاء الطّبع ، أو ينبّهنى إليه إخوانى من العُلَماء الغُيُر على العربيّة وآدابها ، وأنْ أثبت هذا تِباعا فى باب الاستدراك والتّعقيب؛ فى آخر كلّ جزء من أجزاء الكتاب، وشرعت فى ذلك فعلا فى نهاية بعض الأجزاء ؛ إلّا أنّ مواصلة العمل فى الكتاب ، وما اقتضاه من جهد ووقت فى تحقيقه ومراجعته وتحرير نصوصه ، والرغبة الملحّة عند العلماء والباحثين فى التوفر على

إنجازه ومتابعة إخراجه ما صلح أن يكون عذرا فى تأجيل نشر ما عنّ من الملاحظات وما اقتضاه المقام من الاستدراكات ، إلى حين .

والآن وقد تمّ والحمد لله طبعه جميعه ، وأوشكت الأجزاء الأولى منه على النفاد ؛ فإن الأمل قد انفسح فى معاودة تحقيقه ، وتعلّق الرجاء فى إمكان الحصول على نُسخ أخرى لم نرجع إليها فى هذه الطبعة ، والوقوف على مراجع لم يتيسّر لنا الوقوف عليها من قبل ؛ وصحّت النيّة على إصدار طبعة جديدة منه ؛ نستدرك فيها ما فات ؛ ونثبت بها ما ظهر من تصويبات واستدراكات ، ونضيف إليها من التعليق ما نراه نافعا فى تقريب الكتاب والتهدّى إلى مقاصده ومراميه ؛ رغبةً منّا فى أن نصل بهذا الكتاب إلى المنزلة التى نرجوها له من التوفيق والكمال .

أمّا الفهارس العامّة ، فإنّنا ماضون فى العمل فيها ؛ ونرجو أن تصدر فى جزء مستقلّ إن شاء الله .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدىَ لولا أن هدانا الله ؛ هو الواحد المقصود لا ربّ سواه .

مصر الجديدة فى { ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٨٣ هـ / ٢٧ مارس سنة ١٩٦٤ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

(٥٨٦ — ٦٥٦)

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء العشرون


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد العدل

---

(٤٠٩)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ.

* * *

الشرح :

إلى هذا نظر المتنبي في قوله :

وخَلَّةٍ في جليسٍ أتقيه بهـــا ... كيما يرى أننا مِثلانِ في الوَهَنِ (١)

وكِلْمَةٍ في طريقٍ خِفْتُ أعْرِبُها ... فيُهتَدَى لي فلم أقـــدِرْ على اللَّحَنِ

وقال الشاعر :

وما أنا إلّا كالزَّمانِ إذا صحا ... صحوتُ وإن ماقَ الزمانُ أَمُوقُ (٢)

وكان يقال : إذا نزلتَ على قوم فتشبّه بأخلاقهم ، فإنّ الإنسان من حيث يوجد ، لا من حيث يُولَد. وفي الأمثال القديمة : من دَخَلَ ظَفَارِ حَمَّر.

شاعر :

أحامِقُـــه حتّى يُقال سجيّة ... ولو كان ذا عَقْلٍ لكنتُ أعاقِلُهْ

---

(١) ديوانه ٤ : ٢١٢

(٢) لبشار ، الأغاني ٣ : ٢٢٥

(٤١٠)

الأصْلُ :

وَقَالَ عليه السَّلامُ لِبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْغَرُ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلِ مِثْلِهَا :

لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً ، وَهَدَرْتَ سَقْباً .

• • •

قَالَ : الشَّكِيرُ هاهنا: أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ رِيشِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَحْصِفَ. وَالسَّقْبُ : الصَّغِيرُ مِنَ الإِبِلِ ، وَلا يَهْدِرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ .

• • •

الشَّرْحُ :

هذا مِثلُ قولهم : قد زَبَّبَ قبل أن يُحصرم .

ومن أمثال العامّة : يقرأ بالشّواذّ ، وما حفظ بعدُ جزء المفصَّل .

(٤١١)

الأصْلُ :

وقال عليه السلام :

مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ .

* * *

الشَّرْحُ :

قيل فى تفسيره : من استدلّ بالمتشابه من القرآن فى التوحيد والعدل انكشفتْ حيلتُه ، فإنّ علماء التوحيد قد أوضحوا تأويلَ ذلك .

وقيل : مَن بَنَى عقيدةً له مخصوصةً على أمرين مختلفين : حقٍ وباطل، كان مُبطلا .

وقيل : من أومأَ بطمعه وأمله إلى فائتٍ قد مَضى وانقضى لن تَنفعه حِيلة ، أى لا يُفيضنَّ أحدُكم أمله ماقد فاته ؛ وهذا ضعيف لأنّ المتفاوت فى اللغة غيرُ الفائت .

(٤١٢)

الأَصْلُ :

قَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ :
إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللهِ شَيْئاً ، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا ، فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا ، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا .

•••

الشَّرْحُ :

معنى هذا الكلام أنه عليه السلام جعل الحولَ عبارةً عن المِلْكية والتصرف ، وجعل القوة عبارة عن التكليف ، كأنه يقول : لا تَمَلُّك ولا تصرُّف إلّا بالله ، ولا تكليف لأمرٍ من الأمور إلّا بالله ؛ فنحن لا نَملِك مع الله شيئاً ، أي لا نستقلّ بأن نَملِك شيئاً ؛ لأنه لولا إقدارُه إيانا وخلقه لنا أحياء لم نكن مالِكين ولا متصرِّفين ، فإذا ملَّكنا شيئاً هو أملك به ـ أي أقدرُ عليه منا ـ صرنا مالكين له كالمال مثلا حقيقة ، وكالعقل والجوارح والأعضاء مَجازاً ، وحينئذ يكون مكلِّفاً لنا أمراً يتعلق بما ملَّكنا إياه ، نحو أن يكلِّفنا الزكاة عند تمليكنا المال ، ويكلِّفنا النظَرَ عند تمليكنا العقل ، ويكلِّفنا الجهادَ والصلاة والحجّ وغيرَ ذلك عند تمليكِنا الأعضاء والجوارح ، ومتى أخذ منا المالَ وَضَع عنا تكليفَ الزكاة ، ومتى أخذَ العقل سقَط تكليفُ النظَر ، ومتى أخذَ الأعضاء والجوارح سقَط تكليف الجهاد وما يَجري مجراه .

هذا هو تفسيرُ قوله عليه السلام ؛ فأمّا غيرُه فقد فسّره بشيء آخر ، قال

أبو عبد الله جعفرُ بنُ محمد عليه السلام : «لا حَوْلَ على الطاعة ولا قوةَ على تركِ المعاصى إلّا بالله» ؛ وقال قوم — وهم المجبرة : لا فعل من الأفعال إلّا وهو صادرٌ من الله ، وليس فى اللفظ مايدلّ على ما ادّعَوْا ، وإنما فيه أنه لا اقتدار إلّا بالله ، وليس يلزم من نفى الأقتدار إلا بالله صِدْق قولنا: لا فعل من الأفعال إلّا وهو صادرٌ عن الله ؛ والأولى فى تفسير هذه اللفظة أن تُحمَل على ظاهرِها ، وذلك أنّ الحوْل هو القوة ، والقوة هى الحوْل كلاهما مُترادِفان ؛ ولا ريبَ أنّ القدرة من الله تعالى ، فهو الذى أقدَرَ المؤمنَ على الإيمان ، والكافرَ على الكفر ، ولا يلزم من ذلك مخالفةُ القول بالعدْل ؛ لأنّ القدرة ليست موجِبة .

فإن قلتَ : فأىّ فائدةٍ فى ذِكر ذلك وقد علم كلّ أحد أنّ الله تعالى خلَق القُدْرة فى جميع الحيوانات ؟

قلت : المرادُ بذلك الردّ على من أثبت صانعاً غير الله ، كالمجوسِ والثَّنَويّة ، فإنّهم قالوا بإلهين : أحدهما يخلُق قدرةَ الخيْر ، والآخر يخلُق قدرةَ الشرّ .

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السَّلامُ لِعَمّارِ بنِ ياسِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى وقَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ المُغيرَةَ ابنَ شُعْبَةَ كلاماً :

دَعْهُ يا عَمّارُ ، فإنَّهُ لَمْ يَأخُذْ مِنَ الدِّينِ إلاّ ما قارَبَهُ مِنَ الدُّنْيا ، وعَلَى عَمْدٍ لَبَّسَ على نَفْسِهِ ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهاتِ عاذِراً لِسَقَطاتِهِ .

***

الشَّرْحُ :

[المغيرة بن شعبة]

أصحابُنا غيرُ متَّفقين على السكوت على المغيرة ، بل أكثر البغداديِّين يفسِّقونه ، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق ؛ ولما جاء عروة بن مسعود الثَّقفيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عامَ الحُدَيْبِيَة نظر إليه قائماً على رأس رسول الله مقلَّداً سيفا ، فقيل : من هذا ؟ قيل : ابنُ أخيك المغيرة ، قال : وأنت هاهنا يا غُدَر ! والله إنّي إلى الآن ما غسلتُ سوءتَك .

وكان إسلامُ المغيرة من غير اعتقاد صحيح ، ولا إنابة ونيّة جميلة ، كان قد صَحِب قوماً في بعض الطُّرق ، فاستغفلهم وهم نيام ، فقتلهم وأخذ أموالهم وهرب خوفاً أن يُلحَق فيُقتل ، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم ؛ فقَدِم المدينة فأظهر الإسلام ، وكان رسول الله صلى الله

عليه وآله لا يردّ على أحدٍ إسلامَه ؛ أسلَمَ عن عِلّة أو عن إخلاص ، فامتنع بالإسلام ، واعتصم ، وحَمى جانبه .

ذكر حديثه أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصفهانيّ في كتاب " الأغاني " [1] ، قال : كان المغيرة يحدّث حديث إسلامه ، قال : خرجتُ مع قوم من بني مالك ونحن على دِين الجاهليّة إلى المُقَوْقِس مَلِك مصر ، فدخلنا إلى الإسكندرية ، وأهدَيْنا للمَلِك هدايا كانت معنا ، فكنتُ أهونَ أصحابي عليه ، وقبض هدايا القوم ، وأمر لهم بجوائز ، وفضّل بعضهم على بعض ، وقصّر بي فأعطاني شيئاً قليلا لا ذِكْر له ، وخرجْنا ، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ، ولم يَعرِض أحدٌ منهم عليّ مواساة ، فلما خرجوا حَمَلوا معهم خمرا ، فكانوا يشربون منها ، فأشرب معهم ، ونفسي تأبى أن تدعَني معهم ، وقلتُ : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا ، وما حَبَاهم به الملك ، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إياي ! فأجمعتُ على قتلهم ، فقلت : إني أجد صُداعا ، فوضعوا شرابَهم ودعَوْني ، فقلت رأسي يُصدَع ، ولكن اجلسوا فأسقيكم ، فلم يُنكِروا من أمرى شيئاً ، فجلست أسقيهم وأشرب القدَح بعد القدَح ، فلمّا دبّت الكأس فيهم اشتهَوا الشراب ، فجعلتُ أصرِف لهم وأترع الكأس ، [فيشربون ولا يدرون [2]] ، فأهمدتهم الخمرُ حتى ناموا ، ما يعقلون ، فوثبتُ إليهم فقتلتهم جميعا ، وأخذت جميع ما كان معهم .

وقَدِمتُ المدينة فوجدتُ النبيّ صلى الله عليه وآله بالمسجد وعنده أبو بكر — وكان بي عارفا — فلما رآني قال : ابن أخي عُرْوة ؟ قلت . نعم ، قد جئتُ أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمدا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحمد لله : فقال أبو بكر مِن مصرَ أقبلتَ ؟ قلت : نعم ؟ قال : فما فعل المالكيّون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان

---

(١) الأغاني ١٦ : ٨٠ — ٨٢ (طبعة دار الكتب) مع اختلاف الرواية .
(٢) من الأغاني .

بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ، ونحن على دين الشرك ، فقتلتهم ، وأخذت أسلابهم، وجئتُ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليُخَمِّسَها [ويرى فيها رأيه][1] ؛ فإنها غنيمة من المشركين ، فقال رسولُ الله : أمّا إسلامُكَ فقد قبلتُه ، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً ولا نخمسها ، لأنّ هذا غدر ، والغدر لا خير فيه ، فأخذني ما قَرُب وما بَعُد ، فقلتُ : يا رسول الله ، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ، ثم أسلمتُ حين دخلتُ إليك الساعة ، فقال عليه السلام : الإسلام يَجُبّ ما قبله . قال : وكان قَتَل منهم ثلاثة عشر إنساناً ، واحتوى على ما معهم ؛ فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف ، فتداعَوْا للقتال ، ثم اصطلحوا على أن حمل عني عُروة بن مسعود ثلاث عشرة دِيَة .

قال : فذلك معنى قول عُرْوة يوم الحُدَيْبِية : « يا غُدَر ، أنا إلى الأمس أغسل سوءتك ، فلا أستطيع أن أغسلها » ، فلهذا قال أصحابنا البغداديون : مَنْ كان إسلامُه على هذا الوجه ، وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به ؛ من لعن عليّ عليه السلام على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل ، وكان المتوسط من عمره الفِسْق والفُجور وإعطاء البَطْن والفَرْج سؤالهما ، وممالأة الفاسقين ، وصرف الوقت إلى غير طاعة الله ، كيف نتولاه ! وأيّ عُذْر لنا في الإمساك عنه ، وألّا نكشف للناس فِسْقَه !

* * *

[إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة والرّد عليه]

وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العَلَوِيّ البَصْرِيّ في سنة إحدى عشرة وستّمائة ببغداد ، وعنده جماعة، وأحدُهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج ، فمرّ ذكر للمغيرة بن شعبة وخاض القوم ، فذمّه بعضهم ، وأثنى عليه بعضهم ، وأمسك عنه آخرون ؛ فقال

---

(١) من الأغاني .

بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتمل طرف من علم الكلام على رأى الأشعرى : الواجب الكفّ والإمساك عن الصحابة ، وعما شجر بينهم ، فقد قال أبو المعالى الجوينى : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك ، وقال : « إياكم وما شجر بين صحابتى » ، وقال : « دعُوا لى أصحابى، فلو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه » ؛ وقال : « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » ، وقال : « خيرُكم القرن الذى أنا فيه ثم الذى يليه ، ثمّ الذى يليه ، ثم الذى يليه » ، وقد ورد فى القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « وما يُدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم » ؛ وقد رُوى عن الحسن البصرى أنه ذُكر عنده الجمل وصفّين ، فقال : تلك دماء طهّر اللهُ منها أسيافنا ، فلا نلطّخ بها ألسنتنا .

ثم إنّ تلك الأحوال قد غابت عنا وبعُدتْ أخبارها على حقائقها ؛ فلا يليق بنا أن نخوضَ فيها ؛ ولو كان واحدٌ من هؤلاء قد أخطأ لوجب [أن يُحفظ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فيه ، ومن المروءة][1] أن يُحفظ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فى عائشةَ زوجته ، وفى الزبير ابن عمته ، وفى طلحة الذى وقاه بيده . ثمّ ما الذى ألزمنا وأوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه ! وأىّ ثواب فى اللعنة والبراءة ! إنّ الله تعالى لا يقول يومَ القيامة للمكلّف : لِمَ لَمْ تلعن ؟ بل قد يقول له : لِمَ لعنتَ ؟ ولو أنّ إنسانا عاش عمره كلّه لم يلعن إبليسَ لم يكن عاصيا ولا آثما ، وإذا جعل الإنسانُ عوض اللعنة أستغفر الله كان خيراً له . ثمّ كيف يجوز للعامّة أن تدخل أنفسها فى أمور الخاصّة ، وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمّة وقادتها ، ونحن اليوم فى طبقة سافلة جدا عنهم ؛ فكيف نحسُن بنا التعرض لذكرهم ! أليس يقبح من الرعيّة أن تخوضَ فى دقائق أمور الملكِ وأحواله وشئونه التى تجرى بينه وبين أهله وبنى عمّه ونسائه وسراريه ! وقد كان رسولُ الله صلى

[1] تكملة من ا .

الله عليه وآله صِهراً لمعاوية . وأخته أمّ حبيبة تحته ، فالأدب أن تحفظ أمّ حبيبة وهى أمّ المؤمنين فى أخيها .

وكيف يجوز أن يُلعن مَن جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مودّة ! أليس المفسّرون كلهم قالوا : هذه الآية أنزلت فى أبى سفيان وآله ، وهى قوله تعالى : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾[1] ! فكان ذلك مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان وتزويجه ابنته . على أنّ جميع ماتنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت ، وما كان القوم إلا كنفس واحدة ولم يتكدّر باطن أحدٍ منهم على صاحبه قطّ ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع .

فقال أبو جعفر رحمه الله : قد كنتُ منذ أيام علّقتُ بخطّى كلاما وجدته لبعض الزيدية فى هذا المعنى نقضا وردّا على أبى المعالى الجوينى فيما اختاره لنفسه من هذا الرأى ، وأنا أخرجه إليكم لأستغنى بتأمّله عن حديث على مقالة هذا الفقيه ، فإنى أجد ألما يمنعنى من الإطالة فى الحديث ؛ لا سيّما إذا خرج مخرج الجدل ومقاومة الخصوم . ثم أخرج من بين كتبه كرّاسا قرأناه فى ذلك المجلس واستحسنه الحاضرون ، وأنا أذكر هاهنا خلاصته .

قال : لولا أنّ الله تعالى أوجب معاداة أعدائه ، كما أوجب موالاة أوليائه ، وضيّق على المسلمين تركها إذا دلّ العقل عليها ، أو صحّ الخبر عنها بقوله سبحانه : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[2] ، وبقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[3] ، وبقوله سبحانه : ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا

---

(١) سورة الممتحنة ٧ (٢) سورة المجادلة ٢٢
(٣) سورة المائدة ٨١

غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[١] ؛ ولإجماع المسلمين على أنّ الله تعالى فرضَ عداوة أعدائه ، وولاية أوليائه ، وعلى أنّ : البغض فى الله واجب ، والحبّ فى الله واجب ـ لما تعرّضنا لمعاداة أحدٍ من الناس فى الدّين ، ولا البراءة منه ، ولـكانت عداوتنا للقوم تـكلفا .

ولو علمنا أنّ الله عزّ وجلّ يعذرنا إذ قلنا : ياربّ غاب أمرهم عنّا ، فلم يكن لخوضنا فى أمرٍ قد غاب عنّا معنًى ، لأعتمدنا على هذا العذر ، وواليناهم ، ولـكنّا نخاف أن يقول سبحانه لنا : إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم ، فلم يغب عن قلوبكم وأسماعكم ؛ قد أتتـكم به الأخبارُ الصحيحة التى بمثلها ألزمتم أنفسـكم الإقرار بالنبىّ صلّى الله عليه وآله وموالاة من صدّقه ، ومعاداة من عصاه وجحده ، وأمرتم بتدبّر القرآن وما جاء به الرسولُ ، فهلاّ حذرتم من أن تـكونوا من أهل هـذه الآية غداً : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ﴾[٢] .

فأمّا لفظه اللعن فقـد أمر الله تعالى بها ، وأوجبها ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾[٣] ، فهو إخبارٌ معناهُ الأمر ، كقوله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يتربّصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء[٤] ﴾ ؛ وقد لعن الله تعالى العاصين بقوله : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بنى إسرائيل على لسان داود[٥] ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذابا مُهينا[٦] ﴾ ، وقوله : ﴿ مَلْعُونِينَ أينما ثُقِفُوا أُخِذوا وقُتّلوا تقتيلا[٧] ﴾ ، وقال الله تعالى لإبليس : ﴿ وإنّ عَلَيْكَ لَعنتى إلى يوم الدين[٨] ﴾ وقال : ﴿إن الله لعنَ الـكافرين وأعدّ لهم سعيرا[٩] ﴾ .

---

(١) سورة الممتحنة ١٣
(٢) سورة الأحزاب ٦٧
(٣) سورة البقرة ١٥٩
(٤) سورة البقرة ٢٢٨
(٥) سورة المائدة ٧٨ .
(٦) سورة الأحزاب ٥٧
(٧) سورة الأحزاب ٦١
(٨) سورة ص ٧٨
(٩) سورة الأحزاب ٦٤

فأما قولُ من يقول : « أيُّ ثواب في اللّعن ! وإن الله تعالى لا يقول للمكلّف لِمَ لم تلعن ؟ بل قد يقول له : لِمَ لَعَنْتَ ؟ وأنه لو جعل مكان لَعَن الله فلانا ، اللّهم اغفر لي لكان خيراً له ، ولو أنّ إنسانا عاش عمره كلّه لم يَلعَن إبليس لم يُؤاخذ بذلك » ؛ فكلامُ جاهلٍ لا يدري ما يقول ؛ اللّعن طاعة ، ويُستحقّ عليها الثوابُ إذا فُعِلتْ على وجهها ، وهو أن يُلعَن مستحقُّ اللّعن لله وفي الله ، لا في العصبيّة والهوى ، ألا ترَى أن الشّرع قد وَرَد بها في نَفْي الولد ، ونطق بها القرآن ، وهو أن يقول الزوج في الخامسة : ﴿ أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين[1] ﴾ فلو لم يكن لله تعالى يريد أن يتلفظ عبادُه بهذه اللفظة وأنه قد تعبّدهم بها ، لما جعلها من معالم الشّرع ، ولما كرّرها في كثير من كتابه العزيز ، ولما قال في حقّ القاتل : ﴿ وغضِبَ اللهُ عليه ولعنه[2] ﴾ ، وليس المراد من قوله : « ولعنه » إلاّ الأمرَ لنا بأن نلعنه ، ولو لم يكن المرادُ بها ذلك لكان لنا أن نلعنه ، لأنّ الله تعالى قد لعنه ، أفيلعن الله تعالى إنسانا ولا يكون لنا أن نلعنه ! هذا ما لا يَسُوغ في العقل ؛ كما لا يجوز أن يمدح اللهُ إنسانا إلاّ ولنا أن نمدحَه ، ولا يذمّه إلاّ ولنا أن نذمّه ؛ وقال تعالى : ﴿ هَلْ أنبئكم بشرٍّ من ذلك مَثوبةً عند الله مَن لعنه الله[3] ﴾ ، وقال : ﴿ ربّنا آتِهم ضِعْفَين من العذاب والعَنْهم لَعْناً كبيراً[4] ﴾ ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ وقالت اليَهُود يدُ الله مَغْلولة غُلّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا[5] ﴾ . وكيف يقول القائل : إنّ الله تعالى لا يقول للمكلّف : لِمَ لم تلعن ؟ ألا يعلم هذا القائل أنّ الله تعالى أمر بولاية أوليائه ، وأمر بعداوة أعدائه ، فكما يَسأل عن التولّي يَسأل عن التبرّي ! ألا ترَى أن اليهوديّ إذا أسلم يُطالَب بأن يقال له : تلفّظْ بكلمة الشهادتين ، ثمّ قلْ : برئتُ

---

(١) سورة النور ٧

(٢) سورة النساء ٩٣

(٣) سورة المائدة ٦٠

(٤) سورة الأحزاب ٦٨

(٥) سورة المائدة ٦٤

من كلّ دين يُخالف دين الإسلام ، فلا بدّ من البَراءة ، لأنّ بها يتمّ العمل ! ألم يَسمع هذا القائلُ قولَ الشاعر :

تَوَدُّ عَــدُوِّى ثم تزعُمُ أننى   صديقُكَ، إنّ الرأىَ عنكَ لعازِبُ

فمودّة العدوّ خروجٌ عن ولاية الولىّ ، وإذا بطلت المودّة لم يبق إلّا البراءة ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الإنسانُ فى درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعُصاتِه بألّا يودّهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نَفْى هذه الواسطة .

وأما قولُه : « لو جَعَل عِوضَ اللَعنة أستغفِر الله لـكان خيراً له » ، فإنه لو استغفر من غير أن يَلعَن أو يعتقِد وجوبَ اللّعن لما نَفَعه استغفارُه ولا قُبِل منه ، لأنه يكون عاصياً لله تعالى ، مخالفاً أمرَه فى إمساكه عمّن أوجَبَ الله تعالى عليه البراءة منه ، وإظهار البراءة ، والمُصِرّ على بعض المعاصى لا تُقبَل توبته واستغفاره عن البعض الآخر ، وأمّا من يعيش عمره ولا يَلعن إبليسَ ، فإن كان لا يعتقد وجوبَ لَعنِه فهو كافر ، وإن كان يعتقد وجوبَ لَعنِه ولا يَلعنه فهو مخطئ ؛ على أنّ الفرق بينه وبين تَرْك لَعنِه رءوس الضلال فى هذه الأمة كمعاوية والمغيرة وأمثالهما ، أنّ أحداً من المسلمين لا يُورِث عنده الإمساكُ عن لعن إبليس شبهةً فى أمر إبليس ، والإمساكُ عن لَعْن هؤلاء وأضرابِهم يثير شبهةً عند كثيرٍ من المسلمين فى أمرهم ، وتجنُّب ما يُورِث الشبهةَ فى الدين واجب ، فلهذا لم يكن الإمساكُ عن لَعْن إبليس نظيراً للإمساك عن أمر هؤلاء .

* * *

قال : ثمّ يقال للمخالفين : أرأيتم لو قال قائلٌ : قد غاب عنا أمر يزيد بنَ معاوية والحجّاج بن يوسف ، فليس ينبغى أن نخوض فى قصّتهما ، ولا أن نلعنهما ونعاديهما ونبرأ منهما ؛ هل كان هــذا إلاّ كقولكم : قد غاب عنا أمرُ معاوية والمغيرة بن

شُعبة وأضرابُهما ، فليس لخوضنا فى قصتهم معنًى !

وبعد ، فكيف أدخلتمُ أيها العامّة والحشوية وأهل الحديث أنفسكم فى أمر عثمان وخُضتم فيه ، وقد غاب عنكم ! وبرئتم مِن قَتَلتِه ، ولعنتموهم ! وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصّديق فى محمد ابنهِ فإنكم لعنتموه وفسّقتموه ، ولا حفظتم عائشة أمَّ المؤمنين فى أخيها محمد المذكور ، ومنعتمونا أن نخوض وندخِل أنفسنا فى أمر علىّ والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما ، المتغلب على حقّه وحقوقهما ! وكيف صار لعنُ ظالم عثمانَ من السّنة عندكم ، ولعن ظالم علىّ والحسن والحسين تكلفا ! وكيف أدخلت العامّة أنفسها فى أمر عائشة وبَرِئتْ ممّن نظر إليها ، ومن القائل لها : ياحُمَيراء ، أو إنما هى حُمَيراء ، ولعنَته بكشفهِ سترَها ، ومنعتْنا نحن عن الحديث فى أمر فاطمةَ وما جرى لها بعد وَفاةِ أبيها .

فإن قلتم : إنّ بيت فاطمة إنما دُخِل ، وسترها إنما كُشِف ، حِفظا لنظام الإسلام ، وكَيلا يَنتشر الأمرُ ويُخرِج قومٌ من المسلمين أعناقهم من رِبقة[1] الطاعة ولزوم الجماعة .

قيل لكم : وكذلك ستر عائشة إنما كُشِف ، وهَودجها إنما هُتِك ، لأنها نشرت[2] حبل الطاعة ، وشقّت عصا المسلمين ، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول علىّ بن أبى طالب عليه السلام إلى البَصرة ، وجرى لها مع عثمان بن حُنيف وحَكيم بن جَبَلة ومَن كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسَفك الدماء ما تنطق به كتبُ التواريخ والسِّير ؛ فإذا جاز دُخولُ بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدُ جاز كَشْف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق ، فكيف صار هَتك ستر عائشة من الكبائر التى يجب معها التّخليد فى النار ،

---

(١) ربقة الطاعة : عروتها .

(٢) نشرت حبل الطاعة : أى قطعته

والبراءة من فاعله ، ومن أوكد عرا الإيمان ، وصار كشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلها وجمع حطب ببابها ، وتهددها بالتحريق من أوكد عرا الدين ، وأثبت دعائم الإسلام ؛ ومما أعز الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة ؛ والحرمتان واحدة ، والستران واحد . وما نحب أن نقول لكم : إن حرمة فاطمة أعظم ، ومكانها أرفع ، وصيانتها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى ، فإنها بضعة منه ، وجزء من لحمه ودمه ، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج ، وإنما هي وصلة مستعارة ، وعقد يجري مجرى إجارة المنفعة ، وكما يملك رق الأمة بالبيع والشراء ، ولهذا قال الفرضيون : أسباب التوارث ثلاثة : سبب ، ونسب ، وولاء : فالنسب القرابة ، والسبب النكاح ، والولاء : ولاء العتق ؛ فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب ، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين .

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة ، وقد أجمع المسلمون كلهم من يحبها ومن لا يحبها منهم أنها سيدة نساء العالمين !

قال : وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجته ، وحفظ أم حبيبة في أخيها ، ولم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته ، ولا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في صهره وابن عمه عثمان بن عفان ، وقد قتلوهم ولعنوهم ؛ وقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة ؛ منهم عائشة كانت تقول : اقتلوا نعثلاً ، لعن الله نعثلاً ؛ ومنهم عبد الله بن مسعود ؛ وقد لعن معاوية علي بن أبي طالب وابنيه حسناً وحسيناً وهم أحياء يرزقون بالعراق ، وهو يلعنهم بالشام على المنابر ، ويقنت عليهم في الصلوات ، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي ، وبرئا منه ، وأخرجاه من المدينة إلى الشام ، ولعن عمر

خالد بنَ الوليد لما قتل مالكَ بنَ نُوَيرة ، وما زال اللعن فاشيا فى المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصيةً تقتضى اللعن والبراءة .

قال : ولو كان هذا أمراً معتبرا وهو أن يُحفَظ زيدٌ لأجل عمرو فلا يُلعَن ، لوجب أن تُحفَظ الصحابةُ فى أولادهم ، فلا يلعنوا لأجل آبائهم ، فكان يجب أن يُحفَظ سعدُ بنُ أبى وقاص فلا يُلعن ابنهُ عمر بن سعد قاتل الحسين ، وأن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وَقْعة الحَرّة وقاتل الحسين ، ومخيف المسجد الحرام بمكّة ، وأن يُحفظ عمر بن الخطّاب فى عبيد الله ابنه قاتل الهُرْمُزان ، والمحارب عليّا عليه السلام فى صفّين .

• • •

قال : عَلَى أنه لو كان الإمساك عن عداوةِ من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله فى أصحابه ورعاية عهدِه وعقدِه لم نُعادِهم ولو ضُرِبتْ رِقابُنا بالسيوف ، ولكن محبّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كمحبّة الجهّال الذين يضع أحدُهم محبّته لصاحبه موضع العصبيّة ، وإنما أوجبَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله محبّةَ أصحابه لطاعتِهم لله ، فإذا عصَوا الله وتركوا ما أوجب محبّتَهم ؛ فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محاباة فى تَرْك لزوم ما كان عليه من محبّتهم ، ولا تغطرسٌ فى العُدولِ عن التمسك بموالاتهم ، فلقد كان صلى الله عليه وآله يجبُ أن يُعادِيَ أعداءَ الله ولو كانوا عِترتَه ، كما يجبُ أن يوالِيَ أولياء الله ولو كانوا أبعدَ الخلقِ نسباً منه ؛ والشاهد على ذلك إجماع الأمّة على أنّ الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتدّ بعدَ الإسلام ، وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذى أمرَ بذلك ودعا إليه

وذلك أنه صلى الله عليه وآله قد أوجب قطع السارق وضرب القاذف ، وجَلْد البكر إذا زَنَى ، وإن كان من المهاجرين أو الأنصار ؛ ألا ترى أنه قال : لو سَرَقَتْ فاطمةُ لقطعتُها ؛ فهذه ابنته ، الجارية مَجْرى نفسه ، لم يُحابِها في دين الله ، ولا رَاقَبها في حُدود الله ، وقد جلد أصحاب الإفك ، ومنهم مِسطح بن أثاثة ، وكان من أهلِ بَدْر .

قال : وبعد ، فلو كان محلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محلّ من لا يعادَى إذا عصى الله سبحانه ولا يذكر بالقبيح ، بل يجب أن يُراقَب لأجل اسم الصُّحبة ، ويغضّى عن عُيوبه وذُنوبه ، لكان كذلك صاحبُ موسى المسطور ثناؤه في القرآن لمّا اتبع هواه ، فانسلخ ممّا أوتى من الآيات وغَوَى ، قال سبحانه : ﴿ واتلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ الذى آتيناه آياتِنا فانسَلَخ منها فأتْبعه الشيطانُ فكان من الغاوين ﴾[1] ، ولكان ينبغى أن يكون محلّ عَبَدة العِجْل من أصحاب موسى هذا المحلّ ، لأنّ هؤلاء كلّهم قد صحبوا رسولاً جليلا من رُسُل الله سبحانه .

قال : ولو كانت الصَّحابة عند أنفسها بهذه المنزلة ؛ لعلمتْ ذلك من حالِ أنفسها ، لأنّهم أعرف بمحلّهم من عوامّ أهل دهرنا ، وإذا قدّرتَ أفعالَ بعضهم ببعض دلّتك على أنّ القصّة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوبِ النّاس اليوم ؛ هذا علىّ وعمّار ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وخزيمة بن ثابت ، وجميعُ من كان مع علىّ عليه السلام من المهاجرين والأنصار ، لم يرَوْا أن يتعقّوا عن طلحة والزّبير حتّى فعلوا بهما وبمن معهما ما يفعَل بالشُّراة في عصرنا ، وهذا طلحة والزّبير وعائشة ومَنْ كان معهم وفى جانبهم لم يرَوا أن يُمسِكوا عن علىّ؛ حتّى قصدوا له كما يُقصَد للمتغلّبين في زماننا ، وهذا معاوية وعَمْرو لم يَرَيا

---

(١) سورة الأعراف ١٧٥

عليًّا بالعين التى يرى بها العمّى صديقه أو جاره، ولم يقصّرا دون ضرب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده وكلّ من كان حيّ من أهله، وقتل أصحابه، وقد لعنهما هو أيضا فى الصّلوات المفروضات، ولعن معهما أبا الأعور السّلمىّ، وأبا موسى الأشعرىّ، وكلاهما من الصّحابة، وهذا سعدُ بن أبى وقّاص، ومحمّد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن عمر، وحسّان بن ثابت، وأنس بن مالك، لم يروا أن يقلّدوا عليًّا فى حرب طلحة، ولا طلحة فى حرب علىّ، وطلحة والزّبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين، لأنّهم زعموا أنّهم قد خافوا أن يكون علىٌّ قد غلط وزلّ فى حربهما، وخافوا أن يكونا قد غلطا وزلّا فى حرب علىّ؛ وهذا عثمانُ قد نفى أبا ذرّ إلى الرّبذة كما يُعمل بأهل الحدث والرّيب، وهذا عمّار وابنُ مسعود تلقّيا عثمان بما تلقّياه به لما ظهر لهما من تغيّرهما منه ماتوعّطاه لأحله، ثمّ فعل بهما عثمانُ ماتناهى إليكم، ثم فعل القومُ بعثمانَ ماقد علمتم وعلم الناس كلّهم، وهذا عمر يقول فى قصّة الزّبير بن العوّام لما استأذنه فى الغزو: ها إنّى ممسكٌ بباب هذا الشّعب أن يتفرّق أصحابُ محمّد فى الناس فيضلّوهم، وزعم أنه وأبو بكر كانا يقولان: إنّ عليًّا والعبّاس فى قصّة الميراث زعماهما كاذبَيْن ظالمَيْن فاجرَيْن؛ وما رأينا عليًّا والعبّاس اعتذرا ولا تنصّلا، ولا نقل أحدٌ من أصحاب الحديث ذلك، ولا رأينا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله أنكروا عليهما ماحكاه عمرُ عنهما، ونسبه إليهما، ولا أنكروا أيضا على عمر قوله فى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّهم يريدون إضلال الناس ويهمّون به، ولا أنكروا على عثمان دوس بطن عمّار، ولا كسر ضلع ابن مسعود، ولا على عمّار وابن مسعود ماتلقّيا به عثمان، كإنكار العامّة اليوم الخوض فى حديث الصحابة، ولا اعتقدت الصحابة فى أنفسها مايعتقده العامّة فيها؛ اللهمّ إلا أن يزعموا أنّهم أعرف بحقّ القوم منهم. وهذا علىٌّ

وفاطمة والعبّاس مازالوا على كلمة واحدة يكذّبون الرواية : « نحن معاشرَ الأنبياء لا نُورِّث » ، ويقولون : إنّها مختلَقة .

قالوا : وكيف كان النبي صلّى الله عليه وآله يعرّف هذا الحكمَ غيرَنا ويكتمُه عنّا ونحن الورثة ؛ ونحن أولَى الناسِ بأن يُؤدَّى هذا الحكم إليه ، وهذا عمرُ بنُ الخطّاب يَشهَد لأهل الشورى أنّهم النَّفَر الذين توفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ ، ثمّ يأمر بضَرْب أعناقهم إن أخّروا فصل حال الإمامة ، هذا بعد أن ثَلَبهم ، وقال في حقّهم ما لو سمِعَتْه العامّة اليومَ من قائل لوضعتْ ثوبَه في عنقِه سَحْبا إلى السلطان ، ثمّ شهدتْ عليه بالرّفض واستحلّت دمَه ، فإن كان الطّعن على بعض الصّحابة رفضا فعمر بن الخطّاب أرفضُ الناس وإمام الرّوافض كلّهم . ثمّ ماشاع واشتهر من قول عمَر : كانت بيعةُ أبي بكر فَلْتة ، وَقَى اللهُ شرّها ؛ فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ؛ وهذا طعنٌ في العَقْد ، وقَدْح في البَيْعة الأصليّة .

ثم مانقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته ، وقوله عن عبد الرحمن أبيه ، دُوَيْبّة سوء ولهوَ خيرٌ من أبيه . ثم عمر القائل في سعد بن عُبادة ، وهو رئيس الأنصار وسيّدُها : اقتلوا سعدا ، قتَل اللهُ سَعْداً ، اقتُلوه فإنّه منافق . وقد شتَم أبا هريرة وطعَن في روايته ، وشتَم خالدَ بنَ الوليد وطعَن في دِينه ، وحَكَم بفِسْقه وبُوجوب قتله ، وخوّن عمرو بن العاص ومعاويةَ بنَ أبي سُفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفَيْء ، واقتطاعه ، وكان سريعا إلى المساءة ، كثيرَ الجَبْه والشّتْم والسّبِّ لكلِّ أحد ، وقلّ أن يكون في الصّحابة من سَلِم من معرّة لسانِه أو يدِه ، ولذلك أبغضوه وملّوا أيّامه مع كثرة الفُتوح فيها ، فهلاّ احترم عمرُ الصّحابة كما تحترمهم العامّة ! إمّا أن يكون عمر مخطئا ، وإمّا أن تكون العامّة على الخطأ !

فإن قالوا : عمرُ ما شتَم ولا ضرَب، ولا أساء إلا إلى عاصٍ مستحقٍّ لذلك ، قيل لهم : فكأنَّا نحن نقول : إنّا نريد أن نبرأ ونعادى من لا يستحق البراءة والمعاداة ، كلاَّ ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل .

وإنما غرضنا الذى إليه نجرى بكلامنا هذا أن نوضِّح أنّ الصّحابة قومٌ من النّاس لهم ماللناس ، وعليهم ماعليهم ، مَن أساء منهم ذممناه ، ومن أحسنَ منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبيرُ فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربّما كانت ذنوبُهم أفحش من ذنوب غيرهم ، لأنهم شاهدوا الأعلامَ والمعجزات ، فقرُبت اعتقاداتُهم من الضرورة ، ونحن لم نشاهد ذلك ،فكانت عقائدُنا محض النظر والفكر، وبعرضيّة الشُّبَه والشكوك ، فمعاصينا أخفُّ لأنّا أعذَر .

***

ثم نعود إلى ما كنّا فيه فنقول : وهذه عائشة أمّ المؤمنين؛ خرجت بقميص رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالت للناس : هذا قميصُ رسول الله لم يَبْلَ ، وعثمانُ قد أبلَى سنّته ؛ ثم تقول : اقتلوا نعثلًا ، قتَل الله نعثلًا ، ثم لم ترض بذلك حتى قالت : أشهد أنّ عثمانَ جيفةٌ على الصّراط غداً . فمن الناس من يقول : روَتْ فى ذلك خبراً ، ومن النّاس من يقول : هو موقوفٌ عليها؛ وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامّة زنديقا. ثمّ قد حصرعثمان؛حصرته أعيانُ الصحابة، فما كان أحدٌ يُنكِر ذلك، ولا يُعظمه ولا يَسعَى فى إزالته ، وإنما أنكروا على من أنكر على الحاصرين له ، وهو رجلٌ كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ من أشرافهم ، ثم هو أقرب إليه من أبى بكر وعمر ؛ وهو مع ذلك إمامُ المسلمين ، والمختارُ منهم للخلافة ، وللإمام حقّ على رعيّته عظيم ، فإن كان القومُ قد أصابوا فإذَنْ ليست الصحابةُ فى الموضع الّذى وصفْتها به العامّة ، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الّذى نقول؛ من أنّ الخطأ جائزٌ على

آحاد الصحابة ؛ كما يجوز على آحادنا اليوم . ونحن ما نقدح فى الإجماع ، ولا ندعى إجماعاً حقيقيا على قتل عثمان ، وإنما نقول : إن كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك والخصم يسلِّم أن ذلك كان خطأ ومعصية ، فقد سلَّم أن الصحابى يجوز أن يخطئ ويعصى ، وهو المطلوب .

وهذا المغيرة بن شعبة وهو من الصحابة ، ادُّعى عليه الزنا ، وشهد عليه قوم بذلك ، فلم ينكر ذلك عمر ، ولا قال : هذا محال وباطل لأن هذا صحابى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجوز عليه الزنا . وهلا أنكر عمر على الشهود وقال لهم : ويحكم هلا تغافلتم عنه لما رأيتموه يفعل ذلك ، فإن الله تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأوجب الستر عليهم ! وهلا تركتموه لرسول الله صلى الله عليه وآله فى قوله : « دعوا لى أصحابى » ، ما رأينا عمر إلا قد انتصب لسماع الدعوى ، وإقامة الشهادة ، وأقبل يقول للمغيرة : يامغيرة ، ذهب ربعك ، يامغيرة ، ذهب نصفك ، يامغيرة ، ذهب ثلاثة أرباعك ، حتى اضطرب الرابع ، فجلد الثلاثة . وهلا قال لهم : كيف تسمع فى قول هؤلاء ، وليسوا من الصحابة ، وأنا من الصحابة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد قال : « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » ! ما رأيناه قال ذلك ، بل استسلم لحكم الله تعالى . وهاهنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل ، قدامة بن مظعون ، لما شرب الخمر فى أيام عمر ، فأقام عليه الحد ، وهو رجل من علية الصحابة ، ومن أهل بدر ، والمشهود لهم بالجنة ، فلم يرد عمر الشهادة ، ولا درأ عنه الحد لعلة أنه بدرى ، ولا قال : قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذكر مساوى الصحابة . وقد ضرب عمر أيضاً ابنه حداً فمات ، وكان ممن عاصر رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تمنعه معاصرته له من إقامة الحد عليه .

وهذا على عليه السلام يقول : ما حدثنى أحد بحديث عن رسول الله صلى الله عليه

وآله إلّا استحقته عليه ؟ أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب ! وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر على ما وَرَد فى الخبر ، وقد صرّح غيرَ مرة بتكذيب أبى هريرة ، وقال : لا أحد أكذَبَ من هذا الدَّوْسى على رسول الله صلّى الله عليه وآله . وقال أبو بكر فى مرضِه الّذى مات فيه : وَدِدْتُ أنى لم أكشِفْ بيتَ فاطمة ولو كان أُغلِق على حرب فتندم ، والندم لا يكون إلّا عن ذَنْب .

ثم ينبغى للعاقل أن يفكّر فى تأخر علىٍّ عليه السلام عن بَيْعة أبى بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمةُ ، فإن كان مصيبا فأبو بكر على الخطأ فى انتصابه فى الخلافة ، وإن كان أبو بكر مصيباً فعلىّ على الخطأ فى تأخره عن البَيْعة وحضور المسجد ؟ ثم قال أبو بكر فى مرض موته أيضا للصّحابة : فلمّا استخلفتُ عليكم خيرَكم فى نفسى — يعنى عُمَر — فكلُّكم وَرِمَ لذلك أنفُهُ ، يريد أن يكون الأمر له ، لمّا رأيتم الدنيا قد جاءت ، أما والله لتتخذُنّ ستائرَ الدِّيباج ونَضائد الحرير [1] ؟ أليس هذا طَعْنا فى الصحابة ، وتصريحا بأنه قد نسبَهم إلى الحسد لعمَر ، لما نصّ عليه بالعهد ! ولقد قال له طلحة لمّا ذكر عمر للأمر : ماذا تقول لربك إذا سألك عن عباده ، وقد ولّيتَ عليهم فظّا غليظا ! فقال أبو بكر : أجلسونى أجلسونى ، بالله تخوّفنى ! إذا سألنى قلتُ : ولّيت عليهم خيرَ أهلك ؟ ثم شتمه بكلام كثير منقول ؛ فهل قول طلحة إلاّ طعنٌ فى عمرَ ، وهل قولُ أبى بكر إلاّ طعنٌ فى طلحة !

ثم الذى كان بين أُبَىّ بن كعب وعبدِ الله بن مسعود من السِّباب حتى نفى كلّ واحد منهما الآخر عن أبيه ، وكلمةُ أُبَىّ بن كعب مشهورة منقولة : ما زالت هذه الأمّة مكبُوبةً على وجهها منذ فقدوا نبيّهم ، وقوله : ألا هلك أهلُ العقيدة ، والله ما آسَى عليهم إنما آسَى على من يضلّون من الناس .

---

(١) الكامل للمبرد ١ : ٧ .

ثم قولُ عبد الرحمن بن عوف : ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لى عثمان : يا منافق ؛ وقوله : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما وليت عثمان شِسْع نعلى[1] ؛ وقوله : اللّهم إن عثمان قد أبَى أن يقيم كتابك فافعلْ به وافعل .

وقال عثمانُ لعلىّ عليه السلام فى كلام دارَ بينهما : أبو بكر وعمرُ خيرٌ منك ؛ فقال علىّ : كذبت ، أنا خيرٌ منك ومنهما ، عبدتُ الله قبلهما ، وعبدْته بعدَهما .

وروى سُفيانُ بن عُيينة عن عمرو بن دينار ، قال : كنت عند عروةَ بن الزبير ، فتذاكرنا كم أقام النبىُّ بمكّة بعد الوَحْى ؟ فقال عروة : أقام عشرا ، فقلت : كان ابنُ عبّاس يقول : ثلاث عشرة ، فقال : كذب ابنُ عبّاس . وقال ابنُ عباس : المُتْعة[2] حلال ؛ فقال له جُبَير بنُ مُطعِم : كان عمرُ ينهى عنها ، فقال يا عُدَىَّ نفسِه ، مِنْ هاهنا ضللتم ، أحدّثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتحدّثنى عن عمر !

وجاء فى الخبر عن علىّ عليه السلام : لولا ما فعَل عمرُ بنُ الخطّاب فى المُتْعة ما زنَى إلاّ شقىّ ؛ وقيل : ما زنَى إلا شفًا ، أى قليلا .

فأمّا سبّ بعضهم بعضا وقدْح بعضهم فى بعض فى المسائل الفقهيّة فأكثرُ من أن يُحصَى ، مثلُ قول ابن عبّاس وهو يردّ على زيد مذهبه القول فى الفرائض : إن شاء ـ أو قال : من شاء ـ باهلْته[3] إن الذى أحصى رَمْل عالج[4] عددًا أعدَل من أن يجْعل فى مال نصفا ونصفا وثلثا ، هذان النّصفان قد ذهبا بالمال ، فأين موضعُ الثلث !

---

(١) الشسع : قبال النعل .
(٢) نكاح المتعة : هو أن يتزوج الرجل امرأة يتمتع بها أياما ثم يتركها .
(٣) باهل القوم بعضهم بعضاً وابتهلوا : تلاعنوا
(٤) عالج : موضع به رمل ، معروف .

ومثل قول أبيّ بن كعب فى القرآن : لقد قرأتُ القرآن وزيدٌ هذا غلام ذو ذُؤابتين يلعب بين صبيان اليهود فى المكتب .

وقال علىٌّ عليه السلام فى أمّهات الأولاد وهو على المنبر: كان رأيى ورأى عمرَ ألاّ يُبَعنَ ، وأنا أرى الآن بيعهنّ ، فقام إليه عبيدة السّلمانى ، فقال : رأيك فى الجماعة[1] أحبُّ إلينا من رأيك فى الفُرقة .

وكان أبو بكر يرى التّسوية فى قَسْم الغنائم ، وخالفه عمر وأنكر فعله .

وأنكرتْ عائشة على أبى سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس فى عِدّة المتوفّى عنها زوجُها وهى حامل ؛ وقالت : فَرّوج يصقع[2] مع الدِّيَكة .

وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله فى الصّرف ، وسفّهوا رأيه حتى قيل : إنه تابَ من ذلك عند موته .

واختلفوا فى حدّ شارب الخمر حتى خطّأ بعضهم بعضا .

وروَى بعض الصّحابة عن النبىّ صلّى الله عليه وآله أنه قال : الشؤم فى ثلاثة : المرأة والدّار ، والفرَس ، فأنكرتْ عائشة ذلك ، وكذّبت الراوى وقالت : إنه إنما قال عليه السلام ذلك حكايةً عن غيره

وروَى بعض الصّحابة عنه عليه السلام أنه قال : التاجرُ فاجرٌ ، فأنكرتْ عائشةُ ذلك ، وكذّبت الراوىَ وقالت : إنما قاله عليه السلام فى تاجر دلّس .

وأنكر قومٌ من الأنصار رواية أبى بكر : « الأئمة من قريش » ، ونسبوه إلى افتعال هذه الكلمة .

---

(١) ب : « الجماعة » .

(٢) صقع الديك صقعا : صاح .

وكان أبو بكر يقضى بالقضاء فينقضه عليه أصاغرُ الصحابة كبلال وصُهيب ونحوهما . قد رُوِىَ ذلك فى عِدّة قضايا .

وقيل لابن عباس : إنّ عبد الله بن الزبير يزعم أنّ موسى صاحبَ الخضر ليس موسى بنى إسرائيل ؛ فقال : كذَب عدوُّ الله ! أخبرنى أُبَىّ بن كعب، قال : خطبنا رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وذكر كذا ؛ بكلامٍ يدلّ على أنّ موسى صاحبَ الخضر هو موسى بنى إسرائيل .

وباع معاويةُ أوانىَ ذهب وفضّة بأكثرَ من وزنها ، فقال له أبو الدّرداء : سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله ينهى عن ذلك ، فقال معاوية : أمّا أنا فلا أرى به بأسا ؛ فقال أبو الدّرداء : مَن عَذيرى من معاوية ! أُخبِره عن الرّسول صلى الله عليه وسلّم ، وهو يُخبِرنى عن رأيه ! والله لا أساكنك بأرضٍ أبدا .

وطعَن ابنُ عباس فى أبى هريرة ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إذا استيقظ أحدُكم من نومه فلا يُدخِلنّ يدَه فى الإناء حتّى يتوضّأ » ، وقال : فما نَصنَع بالمِهْراس [1] !

وقال علىّ عليه السلام لعُمر وقد أفتاه الصحابة فى مسألة وأجمعوا عليها : إن كانوا راقبوك فقد غشّوك ، وإن كان هذا جهدُ رأيهم فقد أخطئوا .

وقال ابن عباس : ألا يتّقى الله زيدُ بنُ ثابت ، يجعل ابن الابن ابنًا ، ولا يجعل أب الأب أبًا !

وقالت عائشة : أخبروا زيدَ بنَ أرقَم أنه قد أحبَط جهادَه مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

---

(١) المهراس : إناء مستطيل منقور يتوضأ منه .

وأنكرت الصحابة على أبى موسى قوله : إنّ النوم لا ينقض الوضوء ، ونسبته إلى الغفلة وقلة التحصيل ، وكذلك أنكرت على أبى طلحة الأنصارىّ قوله : إن أكلَ البَرَد لا يفطّر الصائم ، وهزئت به ونسبته إلى الجهل .

وسمع عمرُ عبدَ الله بنَ مسعود وأبىّ بن كعب يختلفان فى صلاة الرجل فى الثوب الواحد ، فصعد المنبر وقال: إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أىّ فتياكم يصدر المسلمون ! لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامى هذا إلاّ فعلتُ وصنعتُ .

وقال جرير بن كُليب : رأيتُ عمر ينهى عن المتعة ، وعلىّ عليه السلام يأمرُ بها ، فقلت : إنّ بينكما لشرّا ، فقال علىّ عليه السلام : ليس بيننا إلاّ الخير ، ولكن خيرُنا أتبعنا لهذا الدّين .

قال هذا المتكلم : وكيف يصحّ أن يقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أصحابى كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم » ؟ لا شبهةَ أنّ هذا يوجب أن يكون أهلُ الشام فى صفّين على هُدًى ، وأن يكون أهلُ العراق أيضا على هُدًى ؛ وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتديا ؛ وقد صحّ الخبرُ الصحيحُ أنه قال له : « تقتلك الفئة الباغية » ، وقال فى القرآن : ﴿ فَقَاتِلوا التى تَبغِى حَتّى تفىء إلى أمرِ الله ﴾ ؛ فدلّ على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغى ، مفارقة لأمر الله ، ومَن يفارق أمر الله لا يكون مهتديا .

وكان يجب أن يكون بُسرُ بن أبى أرطاة الذى ذبح ولدَىْ عُبيد الله بن عباس الصغيرين مُهتديا ، لأنّ بُسراً من الصحابة أيضا ، وكان يجب أن يكون عمرو بنُ العاص ومعاوية اللذان كانا يلعنان عليّا أدبارَ الصلاة وولديه مهتديين ؛ وقد كان فى الصحابة من يزنى ومن يشرب الخمر كأبى محجن الثقفى ، ومن يرتدّ عن الإسلام كطليحة ابن خُوَيلد ، فيجب أن يكون كلّ مَن اقتدى بهؤلاء فى أفعالهم مُهتديا .

قال : وإنما هذا من موضاعات متعصبة الأموية ، فإن لهم من ينصرهم بلسانه ، وبوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف .

وكذا القولُ فى الحديث الآخر ، وهو قوله : « القرن الذى أنا فيه » ، ومما يدلّ على بطلانه أنّ القرن الذى جاء بعده بخمسين سنة شرُّ قرون الدنيا ، وهو أحد القرون التى ذكرها فى النص ، وكان ذلك القرن هو القرن الذى قُتل فيه الحسين ، وأوقع بالمدينة ، وحُوصرتْ مكة ، ونُقضت الكعبة ، وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنتصبون فى منصب النبوة الخمور ، وارتكبوا الفجور ، كما جرى ليزيدَ بن معاوية وليزيد بن عاتكة وللوليد بن يزيد ، وأُريقت الدماء الحرام ، وقُتل المسلمون ، وسُبى الحريم ، واستُعبد أبناء المهاجرين والأنصار ، ونُقش على أيديهم كما يُنقش على أيدى الرُّوم ، وذلك فى خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج . وإذا تأملتَ كتبَ التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرّاً كلّها لا خيرَ فيه ، ولا فى رؤسائها وأمرائها ، والناسُ برؤسائهم وأمرائهم ، والقرن خمسون سنةً ، فكيف يصحّ هذا الخبر .

قال : فأمّا ماورد فى القرآن من قوله تعالى : ﴿ لقد رضىَ اللهُ عن المؤمنين ﴾[١] . وقوله : ﴿ محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه ﴾[٢] .

وقول النبىّ صلى الله عليه وآله : إنّ الله اطّلع على أهل بدر ؛ إن كان الخبرُ صحيحا فكلّه مشروط بسلامة العاقبة ، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلّفا غير معصوم بأنه لا عقاب عليه ، فليعمل ماشاء .

قال هذا المتكلّم : ومَن أنصف وتأمّل أحوالَ الصحابة وجدهم مثلنا ، يجوز عليهم مايجوز علينا ، ولا فرق بيننا وبينهم إلّا بالصحبة لا غير ، فإنّ لها منزلةً وشرفا ،

---

(١) سورة الفتح ١٨ (٢) سورة الفتح ٢٩

ولكن لا إلى حدٍّ يمتنع على كلّ من رأى الرسولَ أو صحبه يوماً أو شهراً أو أكثرَ من ذلك أن يخطئَ ويَزِلّ ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشةُ إلى نزول براءتها من السّماء ، بل كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من أوّل يوم يعلم كَذِب أهل الإفك ، لأنّها زوجتُه ، وصُحبتُها له آكدُ من صُحبة غيرِها . وصَفوان بن المعطّل أيضاً كان من الصّحابة ، فكان ينبغي ألّا يَضيق صدرُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، ولا يَحمِل ذلك الهمّ والغمّ الشديدَين اللّذَين حمَلهما ، بقول : صَفوان من الصّحابة ، وعائشة من الصّحابة ، والمعصيةُ عليهما ممتنعة .

وأمثالُ هذا كثير ، وأكثرُ من الكثير ، لمن أراد أن يَستقرئ أحوالَ القوم ، وقد كان التابعونَ يَسلُكون بالصحابة هذا المَسلَك ، ويقولون في العُصاة منهم مِثلَ هذا القول ، وإنما اتخذهم العامّة أرباباً بعد ذلك .

قال : ومَن الذي يجترئ على القول بأنّ أصحابَ محمد لا تجوز البراءةُ من أحدٍ منهم وإن أساء وعَصى بعدَ قول الله تعالى للذي شرَّفوا برؤيته : ﴿ لَئِنْ أشركتَ ليحبَطَنّ عملُك ولتكونَنّ من الخاسرين ﴾[1] بعد قوله : ﴿ قل إنّي أخاف إنْ عَصَيتُ ربّي عذابَ يوم عظيم ﴾[1] وبعد قوله : ﴿ فاحكُمْ بَيْنَ النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوَى فيضلّكَ عَنْ سبيل الله إنّ الّذين يَضِلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ﴾[2] ، إلا من لا فهمَ له ولا نظرَ معه ، ولا تمييزَ عنده .

* * *

قال : ومَنْ أحبَّ أن ينظر إلى اختلاف الصحابة ، وطعن بعضهم في بعض وردّ بعضهم على بعض ، وما ردّ به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم ، واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم ، وقدح بعضهم في بعض ، فلينظرْ في كتاب النَّظّام ، قال الجاحظ : كان النظّام

(١) سورة الزمر ٦٥ (٢) سورة ص ٢٦

أشدّ الناس إنكارا على الرافضة ، لطعنهم على الصحابة ، حتى إذا ذكر الفُتيا وتنقُّل الصحابةِ فيها ، وقضاياهم بالأمور المختلفة ، وقول من استعمل الرأى فى دين الله ، انتظم مطاعن الرافضة وغيرها ، وزاد عليها ؛ وقال فى الصحابة أصناف قولها .

قال : وقال بعض رؤساء المعتزلة : غلطُ أبى حنيفة فى الأحكام عظيم ، لأنه أضل خلقًا وغلطُ حمّاد [1] أعظمُ من غلط أبى حنيفة ، لأنّ حمادا أصلُ أبى حنيفة الذى منه تفرّع ، وغلط إبراهيم أغلظ وأعظم من غلط حمّاد ، لأنه أصلُ حمّاد وغلط علقمة [2] والأسود [3] أعظم من غلط إبراهيم لأنهما أصله الذى عليه اعتمد ، وغلط ابن مسعود أعظمُ من غلط هؤلاء جميعا ، لأنه أول من بَدَر إلى وضع الأديان برأيه ، وهو الذى قال : أقول فيها برأيى ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنّى .

قال : واستأذن أصحابُ الحديث على ثمامة [4] بخراسان حيث كان مع الرشيد بن المهدىّ ، فسألوه كتابه الذى صنّفه على أبى حنيفة فى اجتهادِ الرأى ، فقال : لستُ على أبى حنيفة كتبتُ ذلك الكتاب ، وإنما كتبته على علقمة والأسود وعبد الله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأى قبل أبى حنيفة .

قال : وكان بعض المعتزلة أيضا إذا ذكر ابن عباس استصغره وقال: صاحبُ الذؤابة يقول فى دين الله برأيه .

وذكر الجاحظ فى كتابه المعروف « بكتاب التوحيد » أنّ أبا هريرة ليس بثقة فى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ قال : ولم يكن علىّ عليه السلام يوثّقه فى الرّواية ، بل يتهمه ، ويقدح فيه ، وكذلك عمر وعائشة .

---

(١) حماد هو حماد بن أبى سليمان

(٢) علقمة بن قيس

(٣) الأسود بن يزيد

(٤) ثمامة بن أشرس

وكان الجاحظ يفسّق عمرَ بن عبد العزيز ويستهزئ به ويكفّره ، وعمر بن العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثرُ العامة يرَى له من الفضل ما يراه لواحدٍ من الصحابة .

وكيف يجوز أن نحكم حُكمًا جزْمًا أنّ كل واحد من الصحابة عدْل ، ومن جملة الصحابة الحكم بنُ أبي العاص ! وكفاك به عدوّا مُبغضا لرسول الله صلى الله عليه وآله ! ومن الصحابة الوليدُ بنُ عُقْبة الفاسقُ بنصّ الكتاب ، ومنهم حبيب بن مسلَمة الذى فعَل ما فعل بالمسلمين فى دَوْلة معاوية ، وبُسْر بن أبى أرطاة عدوّ الله وعدوّ رسوله ، وفى الصحابة كثيرٌ من المنافقين لا يعرفهم الناس . وقال كثيرٌ من المسلمين : مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يُعرّفه الله سبحانه كلّ المنافقين بأعيانهم ، وإنما كان يعرف قوما منهم ، ولم يُعلم بهم أحداً إلا حذيفة فيما زعموا ، فكيف يجوز أن نحكم حُكما جزْما أن كلّ واحد ممن صَحِب رسول الله أو رآه أو عاصَرَه عدْل مأمون ، لا يقع منه خطأ ولا معصية ، ومن الذى يمكنه أن يتحجّر واسعا كهذا التحجّر ، أو يحكم هذا الحكم !

قال والعجب من الحشوية وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصى الأنبياء ، ويثبتون أنهم عصَوا الله تعالى ، وينكرون على من ينكر ذلك ، ويطعنون فيه ، ويقولون : قدَرىّ معتزلىّ ، وربما قالوا : مُلحِد مخالِف لنصّ الكتاب ؟ وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يُجادِل فى هذا الباب ، فتارةً يقولون : إنّ يوسف قعد من امرأة العزيز مَقْعد الرّجل من المرأة ، وتارةً يقولون : إن داود قتل أوريا لينكح امرأته ، وتارةً يقولون : إنّ رسول الله كان كافراً ضالاً قبل النبوة ، وربما ذكروا زينب بنت جَحْش وقصّة الفِداء يوم بدر .

فأما قدحُهم فى آدم عليه السلام ، وإثباتُهم معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك

فهو دأبهم ودَيْدَنُهم ، فإذا تكلَّمَ واحد فى عمرو بن العاص أو فى معاوية وأمثالهما ونسبَهم إلى المعصية وفعل القبيح ، احمرّت وجوهُهم ، وطالت أعناقُهم ، وتخازرتْ أعينُهم ، وقالوا : مبتدع رافضى ، يسبّ الصحابة ، ويشتمُ السّلَف ، فإن قالوا : إنّما اتّبعنا فى ذكر معاصى الأنبياء نصوصَ الكتاب ؛ قيل لهم : فاتّبعوا فى البراءة من جميع العُصاة نصوصَ الكتاب ، فإنّه تعالى قال : ﴿ لا تَجِدُ قوماً يُؤْمِنون بالله واليومِ الآخِرِ يُوادُّون مَن حادَّ اللهَ ورَسُولَهُ ﴾[1] ، وقال : ﴿ فإنْ بغَتْ إحداهما على الأخرى فقاتِلوا التى تَبغِى حتى تَفِىءَ إلى أمرِ اللهِ ﴾[2] ، وقال : ﴿ أطيعوا الله وأطيعُوا الرسول وأُولِى الأمرِ منكم ﴾[3] .

ثمّ يسألون عن بيعة علىّ عليه السلام ، هل هى صحيحة لازمة لكلّ الناس ؟ فلابدّ من « بلَى » ، فيقال لهم : فإذا خرَج على الإمام الحقّ خارجٌ أليسَ يجب على المسلمين قتاله حتى يعودَ إلى الطاعة ؟ فهل يكون هذا القتال إلا البراءة التى نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين ، وإنّما برئنا منهم لأنّا لسنا فى زمانهم ، فيمكننا أن نقاتلَ بأيدينا ، فقصارَى أمرنا الآن أن نبرأ منهم ونلعنهم ، ويكون ذلك عوضاً عن القتال الذى لا سبيلَ لنا إليه .

قال هذا المتكلّمُ : على أنّ النظّام وأصحابَه ذهَبوا إلى أنّه لا حُجّة فى الإجماع ، وأنّه يجوز أن تجتمع الأمّة على الخطأ والمعصية ، وعلى الفسق ، بل على الرِّدّة ، وله كتابٌ موضوع فى الإجماع يطعَن فيه فى أدلّة الفقهاء ، ويقول : إنّها ألفاظ غيرُ صريحة فى كون الإجماع حجّة ، نحو قوله : ﴿ جعلْناكم أُمّةً وَسَطاً ﴾[4] وقوله : ﴿ كُنتمْ خيرَ أُمّة ﴾[5] وقوله : ﴿ ويتّبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ ﴾[6] .

---

(١) سورة المجادلة ٥ — (٢) سورة الحجرات ٩
(٣) سورة النساء ٥٩ — (٤) سورة البقرة ١٤٣
(٥) سورة آل عمران ١١٠ — (٦) سورة النساء ١١٥

وأما الخبر الذى صورته : « لا تجتمع أمّتى على الخطأ » خبرٌ واحد ، وأمثلُ دليل الفقهاء قولهم : إنّ الهمم المختلفة ، والآراء المتباينة ، إذا كان أربابُها كثيرة عظيمة ، فإنه يستحيل اجتماعُهم على الخطأ ، وهذا باطل باليهودِ والنّصارى وغيرِهم من فِرَق الضلال .

هذه خلاصة ما كان النّقيب أبو جعفر علّقه بخطّه من الجزء الذى أقرأناه .

* * *

ونحن نقول : أمّا إجماع المسلمين فحجّة ، ولسنا نرتضى ماذكره عنا من أنه أمثل دليل لنا أن الهِمَم المختلفة ، والآراء المتباينة ، يستحيل أن تتفق على غير الصّواب ؛ ومن نظر فى كتبنا الأصولية علم وثاقة أدلّتنا على صحّة الإجماع وكونه صوابا ، وحجّة تحريم مخالفته ، وقد تكلّمتُ فى اعتبار الذّريعة للمُرتضى على ماطعَن به المُرتضى فى أدلّة الإجماع .

وأما ماذكره من الهجوم على دارِ فاطمة وجمع الحطَب لتحريقها فهو خبرٌ واحدٌ غير موثوق به ، ولا معوّل عليه فى حقّ الصّحابة ، بل ولا فى حقّ أحد من المسلمين ممّن ظهرت عدالتُه .

وأما عائشة والزّبير وطلحة فمذهبُنا أنهم أخطئوا ثم تابوا ، وأنهم من أهل الجنّة ، وأن عليّا عليه السلام شهدَ لهم بالجنّة بعد حرب الجمَل .

وأما طعن الصّحابة بعضهم فى بعض ، فإنّ الخلاف الذى كان بينهم فى مسائل الاجتهاد لا يوجب إثما ، لأنّ كلّ مجتهد مُصيب ، وهذا أمرٌ مذكور فى كتُب أصول الفقه وما كان من خلاف خارجا عن ذلك فالكثيرُ من الأخبار الواردة فيه غيرُ موثوقٍ بها وماجاء من جهة صحيحة نظر فيه ورجّح جانب أحد الصحابيّين على قدْر منزلته فى الإسلام كما يُروَى عن عُمَر وأبى هريرة .

فأمّا علىّ عليه السلام فإنّه عندنا بمنزلة الرسول صلّى الله عليه وآله فى تصويب قوله، والاحتجاج بفعله، ووجوب طاعته؛ ومتى صحّ عنه أنّه قد برئ من أحد من النّاس برئنا منه كائناً من كان، ولكنّ الشأن فى تصحيح مايُروَى عنه عليه السلام فقد أكثر الكذب عليه، وولّدت العصبيّة أحاديثَ لا أصل لها.

فأمّا براءته عليه السلام من المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية، فهو عندنا معلوم جارٍ مجرَى الأخبار المتواترة، فلذلك لا يتولّاهم أصحابُنا، ولا يُثنون عليهم، وهم عند المعتزلة فى مَقام غير محمود، وحاشَ لله أن يكون عليه السلام ذَكَرَ مَن سَلَف من شيوخ المهاجرين إلّا بالحسنى والذِّكر الحسن بموجب مايقتضيه رئاسته فى الدِّين، وإخلاصه فى طاعة ربّ العالمين، ومَنْ أحبّ تتبُّع مايُروَى عنه ممّا يُوهم فى الظاهر خلافَ ذلك فليراجع هذا الكتاب، أعنى شرح نهج البلاغة، فإنا لم نترك موضعاً يُوهم خلافَ مذهبنا إلّا وأوضحناه وفسّرناه على وجهٍ يُوافِق الحقّ، وبالله التوفيق.

* * *

[عمّار بن ياسر وطرف من أخباره]

فأما عمّار بنُ ياسر رحمه الله، فنحنُ نذكر نسبه وطرفاً من حاله ممّا ذكره ابنُ عبد البرّ فى كتاب الاستيعاب [1]، قال أبو عمر بنُ عبد البرّ رحمه الله.

هو عمّار بنُ ياسر بنِ عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن لُوذ بن ثعلبة بن عَوف بن حارثة بن عامر بن يام بن عنس - بالنون - بنِ مالك بن أُدد العَنْسى المَذْحِجىّ، يكنَى أبا اليَقظان، حليفٌ بنى مخزوم، كذا قال ابن شهاب وغيره.

---

(١) الاستيعاب ٤٣٤ وما بعدها (طبعة الهند)

وقال موسى بن عقبة : وممن شهد بدرا عمار بن ياسر حليفٌ لبنى مخزوم بن يقظة .

وقال الواقدىّ وطائفةٌ من أهل العلم : إنّ ياسراً والد عمار بن ياسر عربىّ قحطانىّ من عنس ، من مذحج ، إلّا أن ابنه عمارا مولًى لبنى مخزوم ، لأنّ أباه ياسرا تزوّج أمَةً لبعض بنى مخزوم فأولدها عمارا ، وذلك أنّ ياسرا قدِم مكة مع أخوين له يقال لهما : الحارث ومالك فى طلب أخ لهم رابع ، فرجع الحارث ومالكٌ إلى اليمن ، وأقام ياسرٌ بمكة ، فحالفَ أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فزوّجه أبو حذيفة أمةً له يقال لها سُمَيّة بنت خياط ، فولدتْ له عمارا فأعتقه أبو حذيفة ، فصار ولاؤه لبنى مخزوم ، وللحِلْف والوَلاء الذى بين بنى مخزوم وعمار بن ياسر كان اجتماع بنى مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غِلمانُ عثمانَ ما نالوا من الضرب ، حتى انفتق له فتق فى بطنه وكسروا ضِلَعا من أضلاعه ، فاجتمعتْ بنو مخزوم ؛ وقالوا : واللهِ لئن مات لا قتلنا به أحداً غيرَ عثمان .

قال أبو عمر : وأسلمَ عمار وعبدالله أخوه وياسر أبوهما وسُمَية أمُّهما ، وكان إسلامُهم قديما فى أول الإسلام فعُذّبوا فى الله عذابا عظيما ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يَمرّ بهم وهمْ يعذّبون فيقول : « صبراً يا آلَ ياسر ، فإن موعدَكم الجنة » ، ويقول لهم أيضا : « صَبْرا يا آلَ ياسر ، اللّهم اغفرْ لآل ياسر ، وقد فعلت »[٢] .

قال أبو عمر : ولم يزل عمار مع أبى حُذَيفة بن المغيرة حتى مات وجاء اللهُ بالإسلام .

فأمّا سُمَيّة فقتلها أبو جهل ، طعنها بحَرْبة فى قُبُلها فماتت ، وكانت من الخيِّرات

الفاضلات وهى أوّل شهيدة فى الإسلام، وقد كانت قريش أخذت ياسراً وسُمَيّة وابنَيهما وبلالا وخبّابا وصُهيبا فألبسوهم أدراعَ الحديد، وصهروهم فى الشمس حتى بلغ الجهدُ منهم كلَّ مَبلغ، فأعطوهم ماسألوا من الكفر، وسبّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، ثم جاء إلى كلّ واحد منهم قومُه بأنطاع الأدَم فيها الماء، فألقوهم فيها، ثم حملوا بجوانبه، فلما كان العشيّ جاء أبو جهل فجعل يشتم سُمَيّة ويرفث، ثم وجأها بحربة فى قُبُلها فقتلها؛ فهى أوّلُ من استُشهد فى الإسلام، فقال عمار للنبيّ صلّى الله عليه وآله: يارسولَ الله بلغ العذاب من أمّى كلّ مبلغ، فقال: «صبراً ياأبا اليقظان، اللهمّ لا تعذّبْ أحداً من آل ياسر بالنار»، قال أبو عمر: وفيهم أُنزِل: ﴿ إلّا مَنْ أُكرِه وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان ﴾ (١).

قال: وهاجر عمار إلى أرض الحبشة وصلّى القبلتين، وشهد بدرا والمشاهدَ كلّها وأبلى بلاء حسنا، ثم شهد اليمامة، فأبلى فيها أيضا، ويومئذ قُطعت أذنه.

قال: وذكر الواقديّ عن عبدالله بن نافع، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، قال: رأيتُ عمارَ بن ياسر يومَ اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يامعشرَ المسلمين، أمِن الجنّة تفرّون؟ أنا عمار بنُ ياسر، هلمّوا إلىّ، وأنا أنظر إلى أذُنه قد قطعتْ، فهى تَذَبذَب وهو يقاتل أشدّ القتال.

قال أبو عمر: وكان عمار طويلا أشهَل، بعيدَ مابين المَنكبين، قال: وقد قيل فى صفته: كان آدمَ طُوالاً مضطرباً، أشهل العينين، بعيد مابين المنكبين، رجلا لا يغيّر شيبَه.

(١) سورة النحل ١٠٦

قال : وكان عمّار يقول : أنا تِرْبُ[1] رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، لم يكن أحدٌ أقرب إليه سِنًّا منّى .

قال : وقُتِل عمّار وهو ابنُ ثلاثٍ وتسعين سنةً ، والخبرُ المرفوعُ مشهور فى حقّه : « تقتلُك الفئةُ الباغية » ، وهو من دلائل نبوّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، لأنّه إخبارٌ عن غَيْب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله فى عمّار : « مُلِئ إيمانا إلى مُشاشِه[2] » ، ويُروَى : « إلى أخمص قَدَمَيه » .

وفضائلُ عمّار كثيرة ، وقد تقدم القولُ فى ذِكر عمّار وأخباره ، وما ورد فى حقّه .

---

(١) ترب الإنسان : من ولد معه فى العام الذى ولد فيه

(٢) المشاشة : الأصل

(٤١١)

الأصـل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

ما أحسَنَ تواضُعَ الأغنياءِ للفقَرَاءِ طَلَبًا لِما عِندَ اللهِ ، وأَحسَنُ مِنهُ تِيهُ الفُقَرَاءِ على الأغنياءِ اتِّكالاً عَلَى اللهِ سُبحانَهُ .

الشـرحُ :

قد تقدم شرح مثل هذه الكلمة مرارًا .

* * *

وقال الشاعر :

قنِعتُ فأعتقتُ نفسي ولنْ	أملّك ذا ثروةٍ رِقَّهَـــــا
ونزّهتُها عن سُـــؤال الرجا	لِ ومِنّةِ من لا يَرى حَقَّهـــا
وإنّ القنـــاعةَ كَنزُ اللبيب	إذا ارتَفقتْ فَتَقتْ رَتقهـــا
سيبعثُ رِزقُ الشُّعاةِ الغِراثِ	وخمصِ البطونِ الذي شَقّهـا[1]
فما فارقتْ مُهجةٌ جِسمَهـــا	لعَمرُكَ أو وُفِّيتْ رِزقهـــا
مواعيدُ ربِّكَ مصدوقةٌ	إذا غيرُها فَقَدتْ صِدقهـــا

---

(١) الغراث : الجياع .

(٤١٢)

الأصْـلُ :

قال عليـه السلامُ :
ما اسْتَوْدَعَ اللهُ امرأً عَقْلاً إلّا لِيَسْتَنْقِذَهُ بِهِ يَوْماً ما .

• •

الشَّـرْحُ :

لا بدّ أن يكون للبارى تعالى فى إيداع العقل قلبَ زيد مثلا غرَض ، ولا غرَض إلّا أن يستدلّ به على مافيه نجاتُه وخلاصُه ، وذلك هو التكليف ، فإنْ قصّر فى النظر وجَهِل وأخطأ الصّواب فلا بدّ أن يُنقذه عقلُه مِن وَرْطة مِن وَرَطات الدنيا ، وليس يخلو أحدٌ عن ذلك أصلا ، لأنّ كلّ عاقل لا بدّ أن يتخلّص من مَضرّة وسببُها أن تُنال بإعمال فِكرته وعقله فى الخلاص منها ؛ فالحاصل أنّ العقل إمّا أن ينقذ الإنقاذ الدّينى ، وهو الفلاح والنّجاح على الحقيقة ، أو يُنقذ من بعض مَهالِك الدّنيا وآفاتها ، وعلى كل حال فقد صحّ قولُ أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد رُوِيتْ هذه الكلمة مرفوعة ، ورُويتْ : « إلّا استنقذه به يوماً مّا » .

وعنه صلّى الله عليه وآله : « العقل نورٌ فى القلب يُفرّق به بين الحقّ والباطل » .

وعن أنس قال : سئل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عن الرّجل يكون حَسَنَ العقل كثيرَ الذنوب ، فقال : مامن بَشر إلّا وله ذنوب وخطايا يَقترفها ، فمن كانت سجيّتُه العقل ، وغَريزَته اليقين ، لم تضرّه ذنوبُه ؛ قيل : كيف ذلك يارسولَ الله ؟ قال :

كلّما أخطأ لم يَلبَث أن يتداركَ ذنبَه بتوبةٍ وندامةٍ على مافرط منه ، فيمحو ذُنوبه ، ويَبقَى له فضل يدخُل به الجنّة .

• • •

[نُكَت في مدح العقل وما قيل فيه]

وقد تقدّم من قولنا فى العقل وما ذُكر فيه مافيه كفاية . ونحن نذكر هاهنا شيئاً آخر :

كان يقال: العاقل يُرَوِّى ثم يَرْوِى ويَخبُر ثم يُخبِر .

وقال عبدُ اللهُ بن المعتز : ما أبيَنَ وجوهَ الخير والشرّ فى مِرآة العقل !

لقمان : يابنىّ ، شاوِرْ مَن جرّب الأمور فإنه يعطيكَ من رأيه ماقام عليه بالغلاء وتأخذه أنتَ بالمجّان .

أردشير بن بابك : أربعة تحتاج إلى أربعة : الحَسَب إلى الأدب ، والسرورُ إلى الأمن ، والقَرابة إلى المودّة ، والعقل إلى التجربة .

الإسكندر : لا تحتقر الرأىَ الجزيلَ من الحقير ، فإنّ الدُّرّة لا يُستهان بها لِهوان غائصها .

مَسلَمة بن عبد الملك : ماابتدأتُ أمراً قطُّ بحَزم فرجعتُ على نفسى بلائمة ، وإن كانت العاقبة علىّ . ولا أضعتُ الحزم فسُررتُ وإن كانت العاقبة لى .

وَصَف رجلٌ عضدَ الدولة بن بُوَيه ، فقال : لو رأيتَه لرأيتَ رجلاً له وجهٌ فيه ألفُ عَين ، وفمٌ فيه ألفُ لسان ، وصدرٌ فيه ألفُ قلب .

أثنى قومٌ من الصّحابة على رجل عند رسول الله صلّى الله عليه وآله بالصّلاة والعبادة وخصال الخير حتى بالغوا ، فقال صلّى الله عليه وآله : كيف عقلُه ؟ قالوا : يارسولَ الله

يخبرك باجتهاده في العبادة وضروب الخير، وتسألُ عن عقله ! فقال : إنّ الأحمق ليصيبُ بحُمْقه أعظم مما يصيبهُ الفاجر بفجوره ، وإنما ترتفع العباد غداً في درجاتهم ، وينالون من الزُّلفى من ربّهم على قَدْر عقولهم .

الرّيحاني : العقل مَلِكٌ ، والخصال رعيّته ، فإذا ضَعُف عن القيام عليها ، وصل الخلل إليها . وسمع هذا الكلامَ أعرابيٌ فقال : هذا كلامٌ يقطُر عسَلُه .

قال مَعنُ بنُ زائدة : ما رأيتُ قَطّ رجلاً إلا عرفتُ عقله ؛ قيل : فإن رأيتَ وجهَه ؟ قال : ذا كتابٌ يُقرأ .

بعض الفلاسفة : عقلُ الغريزة مُسلمٌ إلى عقلِ التجربة .

بعضُهم : كلّ شيء إذا كثُرَ رَخُص إلا العقل ، فإنه إذا كثُرَ غلا

قالوا في قوله تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ من كانَ حيًّا ﴾[1] ، أي من كان عاقلا .

ومن كلامهم : العاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنس منه بلين العيش مع السُّفهاء .

أعرابيّ : لو صُوِّر العقلُ أظلمتْ معه الشمس ، ولو صُوِّر الحمق لأضاء معه الليل .

قيل لحكيم : متى عَقَلْتَ ؟ قال : حين وُلِدتُ ، فأنكرُوا ذلك ، فقال : أمّا أنا فقد بكَيت حين جُعت ، وطلبتُ الثّدْيَ حين احتجتُ ، وسَكَتُّ حين أُعطيت ؛ يريد أنّ من عرَف مقاديرَ حاجته فهو عاقل .

للمأمون : إذا أنكرتَ من عقلِك شيئاً فاقدَحْه بعاقل .

بُزُرْ جُمِهْر : العاقل الحازم إذا أشكل عليه الرأيُ بمنزلة من أضلَّ لؤلؤةً فجمع ما حولَ مسقطها من التُّراب ، ثم التمسها حتى وجدها ، وكذلك العاقلُ يجمع وجوه

---

(١) سورة يس ٧٠

الرأى فى الأمر المُشكِل، ثم يَضرِب بعضَها فى بعض حتى يَستخلِص الرأى الأصوب.

كان يقال : هجينٌ عاقلٌ خيرٌ من هجانٍ جهل .

كان بعضهم إذا استُشير قال لمشاوِرِه : أنظِرْنى حتى أصقُلَ عقلى بنَوْمة .

إذا نزلت المقادير ، نزلت التدابير . من نظر فى العَواقِب ، ظفر بالحاجة . من استدّت عرائمه اشتدّت دَعائمه . الرأىُ السّديد ، أجدى من الأيْد الشّديد .

بعضُهم :

وما ألف مَطرُور السِّنان مشدّد ... يُعارِض يوم الرّوع رأياً مسدّدا

أبو الطيِّب :

الرأىُ قبل شجاعةِ الشّجعان ... هو أوّلٌ وهى المحلّ الثانى[1]

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حُرّةٍ ... بلغت مِن العَلياء كلَّ مكانِ

ولربّما طَعَن الفتَى أقرانَه ... بالرأى قبل تطاعُن الأقرانِ

لولا العقولُ لكان أدنى ضَيْغمٍ ... أدنى إلى شرَفٍ من الإنسانِ

ولَمَا تفاضَلَت النفوسُ ودَبّرتْ ... أيدى الكُماة عَوالىَ المُرّانِ

ذَكر المأمونُ وَلدَ علىّ عليه السلام فقال : خُصّوا تدبير الآخرة ، وحُرِموا تدبيرَ الدنيا .

كان يقال : إذا كان الهوى مقهوراً تحت يدِ العقل ، والعَقل مسلّط عليه ، صُرِفتْ مَساوِئ صاحبه إلى المحاسن ، فعُدّت بلادتهُ حلماً ، وحِدّته ذكاء ، وحَذَره بلاغة ، وعِيُّه صمْتاً ، وجُبْنه حَذَراً ، وإسرافُه جُوداً .

(١) ديوانه ٤ : ٣٨٦

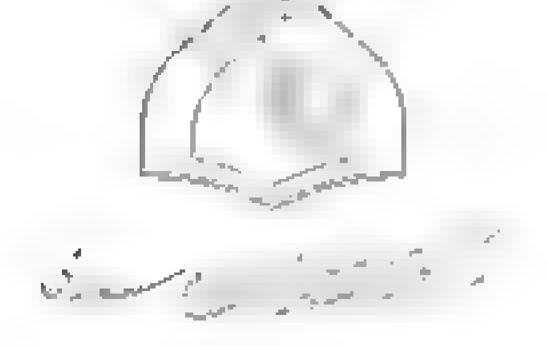
وذكر هذا الكلام عند بعضهم فقال : هذه حصيصة الخطأ فيها مرتّب هذا الكلام إلى العقل .

سمع محمد بن يزداد كاتبُ المأمون قولَ الشاعر :

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكن ذا عزيمةٍ فإنّ فسادَ الرأي أن تترددا

فأضاف إليه :

وإن كنت ذا عزمٍ فأنفِذه عاجلاً فإنّ فساد العزم أن يتقيّدا



(٤١٣)

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مَنْ صارَعَ الحقَّ صَرَعَهُ .

•••

الشَّــرْحُ :

هذا مِثلُ قوله في موضعٍ آخر : مَنْ أبدى صفحته للحقّ هلك ، ونحو هـذا قولُ الطائيّ :

ومَن قامَرَ الأيامَ عن ثَمَراتها فأحجِ بها أنْ تنجلي ولها القمرُ

وقالَ عليهِ السلامُ :

القَلْبُ مُصْحَفُ البَصَرِ .

* * *

الشَّـرْحُ :

هذا مِثلُ قولِ الشاعرِ :

تُخبرُنى العينانِ ما القلبُ كاتمٌ　　وما جنَّ بالبغضاءِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ[1]

يقول عليه السلام : كما أنَّ الإنسانَ إذا نظر فى المصحَف قرأ ما فيه ، كذلك إذا أبصر الإنسانُ صاحبَه فإنه يرَى قلبه بوساطة رؤية وجهه ، ثم يعلم ما فى قلبه من حُبٍّ وبُغْض وغيرهما ، كما يعلم برؤية الخطِّ الذى فى المُصحف ما دلَّ الخطُّ عليه .

وقال الشاعر :

إنَّ العيونَ لتُبْـــدِى فى تَقَلُّبِها　　ما فى الضَّمائرِ من وُدٍّ ومن حَنَقِ[2]

---

(١) يقال : نظر إليه شزراً : إذا نظر بمؤخر عينيه .　　(٢) الحنق : الغيظ .

الأصلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

التُّقَى رئيسُ الأخلاقِ .

* * *

الشرحُ :

يعني رئيس الأخلاق الدينية ، لأنّ الأخلاق الجيدة كالجود والشجاعة والحلم والعفّة وغير ذلك ، لو قدّرنا انتفاء التكاليف العقلية والشرعيّة ، لم يكن التقى رئيساً لها ، وإنما رئاسة التُّقى لها مع ثُبوت التكليف ، لا سيما الشرعيّ . والتقى في الشرع هو الوَرَع والخوفُ من الله ، وإذا حصل حصّلت الطاعات كلّها ، وانتفت القبائح كلّها ؛ فصار الإنسان معصوما ، وتلك طبقة عالية ، وهي أشرف من جميع الطبقات التي يُمدح بها الإنسان ، نحو قولنا : جوادٌ أو شُجاع أو نحوهما ، لأنّهــا طبقة ينتقل الإنسانُ منها إلى الجنّة ودار الثواب الدائم ، وهذه مزيّةٌ عظيمةٌ يَفضُل بها على سائر طبقات الأخلاق .

(٤١٦)

الأصْلُ :

وقال عليه السلام :

لَا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ .

* * *

الشَّرْحُ :

يقول : لا شُبهةَ أنّ الله تعالى هو الذى أنطقك ، وسدّد نطقَك ، وعلّمك البيان كما قال سبحانه : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (١) فقبيحٌ أن يجعل الإنسانُ ذرَبَ لسانِه وفصاحةَ منطقه على من أنطقه وأقدره على العبادة ، وقبيحٌ أن يجعل الإنسانُ بلاغة قوله على من سدّد قولَه ، وجعلَه بليغا حسَنَ التعبير عن المعانى التى فى نفسه ، وهذا كمن يُنعِم على إنسانٍ بسيفٍ فإنّه يَقبُح منه أن يَقتُله بذلك السّيف ظُلماً قبحا زائدا على ما لو قتله بغير ذلك السّيف ، وما أحسنَ قولَ متنبّى فى سيف الدولة :

ولمّا كسا كعباً ثيابا طغَوْا بها ... رَمَى كلَّ ثوبٍ من سِنانٍ بخارقِ (٢)

وما يُوجِع الحِرْمانُ من كفّ حارمٍ ... كما يُوجِع الحِرْمانُ من كفّ رازقِ

---

(١) سورة الرحمن ٣ ، ٤

(٢) ديوانه ٢ : ٣٢٢

الأصْلُ :

وقال عليه السلام
كَفَاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ .

* * *

الشَّرْحُ :

قد قال عليه السلام هذا اللفظ أو نحوه مرارا ، وقد تكلمنا عن عليه ، وذكرنا نظائرَ له كثيرة نثرا ونظما .

وكتب بعضُ الكُتّاب إلى بعض الملوك في حالٍ اقتضتْ ذلك .

ما عَلَى ذا افترقْنا بِسَنْدَانَ[1] إذ كنّا ولا هكذا عَهِدْنا الإخاء
تَضربُ النّاسَ بالمهنّدةِ البِيضِ على غدرِهم وتَنسَى الوَفاء[2]

---

(١) كذا في د ؛ وهو الصواب والذي في ا ب ، وهو تصحيف .

(٢) المهندة : السيوف .

(٤١٨)

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ يعزِّى قوْماً :

مَنْ صبرَ صَبْرَ الأحْرارِ ، وإلَّا سلَا سُلُوَّ الأغْمارِ .

وفى خبرٍ آخرَ أنَّهُ عليهِ السلامُ قالَ للأشْعَثِ بنِ قيسٍ مُعزِّياً عن ابنٍ لَهُ :

إن صبرْتَ صَبْرَ الأكارِمِ ، وإلَّا سلوْتَ سُلُوَّ البهائِمِ .

* * *

الشَّرْحُ :

أخذ هذا المعنى أبو تمام بل حكاه فقال :

وقال علىٌّ فى التعازى لأشعثٍ وخاف عليه بعضَ تلك المآثِمِ[1]

أتصبرُ للبلوى عزاءً وحِسْبةً فتؤجرَ أم تسلو سُلُوَّ البهائِمِ !

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ في صِفةِ الدُّنيا :

الدُّنيا تَغُرُّ وتَضُرُّ وتَمُرُّ ؛ إنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَرْضَها ثَوَاباً لأوْليائِهِ ، ولا عِقاباً لأعْدائِهِ .

الشَّـرْحُ :

قد تقدّم لنا كلام طويل في ذمّ الدنيا .

ومن الكلام المستحسن قوله : « تَغُرُّ وتَضُرُّ وتَمُرّ » ، والكلمة الثانية أحسن وأجل .

وقرأتُ في بعض الآثار أن عيسى عليه السلام مرّ بقرية وإذا أهلها موتى في الطرق والأفنية ، فقال للتلامذة : إنّ هؤلاء ماتوا عن سخطة ، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا ، فقالوا : ياسيّدنا ، وددنا أنا علمنا خبرهم ، فسأل الله تعالى ، فقال له : إذا كان الليلُ فنادهم يجيبوك ؛ فلمّا كان الليلُ أشرف على نشز ثمّ ناداهم ، فأجابه مجيب ، فقال : ما حالُكم ، وما قصّتُكم ؟ فقال : بتنا في عافية ، وأصبحنا في الهاوية ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لحبّنا الدنيا ، قال : كيف كان حبّكم لها ؟ قال : حبّ الصبيّ لأمه ، إذا أقبلت فرح بها ، وإذا أدبرتْ حزن عليها وبكى ، قال : فما بالُ أصحابك لم يجيبوني ؟ قال : لأنّهم ملجمون بلُجُم من نار بأيدي ملائكةٍ غلاظٍ شداد ؛ قال : فكيف أجبتني أنتَ من بينهم ؟ قال : لأني كنتُ فيهم ، ولم أكن منهم ، فلمّا نزل بهم العذابُ أصابني معهم ، فأنا معلّق على شفير جهنّم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها؟ فقال المسيح لتلامذته : لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل وسباخ الأرض في حرّ الصيف ، كثيرٌ مع العافية من عذاب الآخرة .

الأصل :

وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيا كَرَكْبٍ ، بَيْنَاهُمْ حَلُّوا إِذْ صاحَ بِهِمْ سائِقُهُمْ فارْتَحَلُوا .

***

الشرح :

رُوِى : « بينا هُم حُلُول » ، وبين هى بَيْن نفسُه ، ووزنها « فَعْل » ، أشبعت فتحة النون فصارت ألفا ؛ ثم قالوا : « بينما » فزادوا « ما » ، والمعنى واحد ، تقول : بينا نحن نفعل كذا جاء زيد ، أى بين أوقات فعلنا كذا جاء زيدٌ ، والجملُ قد يضافُ إليها أسماء الزمان نحو قولهم : « أتيتك زمنَ الحجاج أمير » ، ثم حذفوا المضافَ الذى هو أوقات، وولى الظرف الذى هو بين الجملة التى أقيمتْ مقام المحذوف .

وكان الأصمعىّ يخفِض بعدَ « بينا » إذا صَلَح فى موضعه بَين ، ويُنشِد قول أبى ذُؤيب بالكسر :

بَيْنا تَعَنُّقِه الكُماةَ ورَوْغِه ... يوما أُتِيحَ له جَرِىءٌ سَلْفَعُ

وغيرُه يرفَع ما بعد « بَينا » و « بينما » على الابتداء والخبر، فأمّا إذْ وإذا، فإنّ أكثر أهل العربية يمنعون من مَجيئهما بعد بَينا وبينما ، ومنهم من يُجيزه ، وعليه جاء كلامُ أمير المؤمنين ، وأنشدوا :

بينما النـاسُ على عَلْيائِهـا ... إذ هَوَوْا فى هُوَّةٍ منها فغارُوا

وقالت الحُرَقَة بنتُ النُّعمان بن المنذر :

وَبَيْنَا نسوسُ النّاسَ والأمرُ أمرُنا ... إذا نحنُ فيهم سُوقَةٌ نتنصّفُ(١)

وقال الشاعر :

إستَقدرِ اللهَ خيراً وارضَيَنّ به ... فبينما العُسر إذا دارتْ مَيَاسِيرُ

وَبَينما المرء فى الأحياء مُغتبطٌ ... إذ صارَ فى اللَّحْدِ تَعفُوه الأعاصِيرُ

ومما جاء فى وصف الدّنيا مما يناسب كلامَ أمير المؤمنين قولُ أبى العَتَاهية :

إنّ داراً نحن فيها لدارُ ... ليس فيهـا لمقيم قَرارُ

كم وكمْ قد حلّها من أناسٍ ... ذهبَ الليلُ بهم والنّهـارُ

فهُم الرَّكْبُ أصابوا مُناخاً ... فاستراحوا ساعة ثم ساروا

وكذا الدّنيا على ما رأينـا ... يَذهبُ النّاسُ وتَخلو الدّيارُ

---

(١) فى الأصل « تنصف » وهو غير مستقيم ، والصواب ما أثبتنا .

(٤٢١)

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ لابنهِ الحسنِ عليهِ السلامُ :

يا بُنيَّ : لا تُخَلِّفَنَّ وراءكَ شيئاً مِنَ الدُّنيا ، فإنَّكَ تُخلِّفُهُ لأحدِ رجُلَيْنِ : إمّا رجُلٌ عَمِلَ فيهِ بطاعةِ اللهِ فسَعِدَ بما شقيتَ بهِ ، وإمّا رجُلٌ عَمِلَ فيهِ بمعصيةِ اللهِ فشقِيَ بما جمعتَ لهُ ؛ فكُنتَ عوناً لهُ على معصيتهِ ؛ وليسَ أحدُ هذينِ حقيقاً أنْ تُؤثِرَهُ على نفسِكَ .

ويُروى هذا الكلامُ على وجهٍ آخرَ ، وهو :

أمّا بعدُ ، فإنَّ الذي في يدَيْكَ مِنَ الدُّنيا قد كانَ لهُ أهلٌ قبلَكَ ، وهو صائرٌ إلى أهلٍ بعدَكَ ، وإنّما أنتَ جامعٌ لأحدِ رجُلَيْنِ : رجُلٌ عَمِلَ فيما جمعتَهُ بطاعةِ اللهِ فسَعِدَ بما شقيتَ بهِ ، أو رجُلٌ عَمِلَ فيما جمعتَهُ بمعصيةِ اللهِ فشقِيَ بما جمعتَ لهُ ؛ وليسَ أحدُ هذينِ أهلاً أنْ تُؤثِرَهُ على نفسِكَ ، أو تحمِلَ لهُ على ظهرِكَ ؛ فارجُ لِمَنْ مضى رحمةَ اللهِ ، ولِمَنْ بقِيَ رزقَ اللهِ تعالى .

* * *

الشَّـرْحُ :

رُوِي : «فإنّكَ لا تُخلّفُه إلّا لأحدِ رجلين» ، وهذا الفصل نهيٌ عن الادّخار ، وقد سَبَق لنا فيه كلامٌ مُقنع .

وخلاصةُ هذا الفصلِ أنّك إنْ جمعتَ مالا : فإمّا أن تخلّفه لمن يعمل فيه بطاعة الله ، أو لمن يَعمل فيه بمعصيته ، فالأوّل يَسعَد بما شَقيتَ به أنتَ ، والثاني يكون مُعاناً

حسابك على المَعصية بما تركتَه له من المال، وكلا الأمرين مذموم، وإنما قال له: «فارجُ لمن مضى رحمةَ الله، ولمن بَقِيَ رزقَ الله»، لأنه قال في أول الكلام: «قد كان لهذا المال أهلٌ قبلَك، وهو صائرٌ إلى أهلٍ بعدك».

والكلامُ في ذمّ الادّخار والجمعِ كثيرٌ، وللشعراء فيه مذاهبُ واسعة ومَعانٍ حسَنة.

وقال بعضهم:

يا جامعاً مانعاً والدهرُ يرمُقُه ... مقدِّراً أيَّ باب عنه يُغلِقُه

ومفكراً كيف تأتيه منيَّتُه ... أغادياً أم بها يَسري فتطرُقُه

جمعتَ مالاً فقل لي هل جمعتَ له ... يا جامعَ المال أياماً تفرِّقُه

المالُ عندك مخزونٌ لوارثِهِ ... ما المالُ مالُك إلا يومَ تنفقُه

أرْفِه ببالِ فتىً يغدو على ثقةٍ ... إنّ الذي قسَم الأرزاق يرزُقُه

فالعِرضُ منه مصونٌ لا يُدنّسُه ... والوجهُ منه جديدٌ ليس يُخلِقُه

إنّ القناعةَ من يحلُلْ بساحتِها ... لم يَبْقَ في ظلِّها همٌّ يؤرِّقُه

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ لقائلٍ قالَ بحضرتهِ أستغفرُ اللهَ : ثَكِلَتْكَ أمُّكَ ! أتدرى ما الاستغفارُ ؟ إنَّ للاستغفارِ درجةَ العِلّيِّينَ ، وهُوَ اسمٌ واقعٌ على سِتَّةِ معانٍ : أوَّلُها النَّدَمُ على ما مضَى ، والثَّانى العزمُ على تركِ العَوْدِ إليهِ أبداً ، والثَّالثُ أنْ تُؤَدِّىَ إلى المخلوقينَ حقوقَهُم حتَّى تلقَى اللهَ عزَّ وجلَّ أملسَ ليسَ عليكَ تَبِعَةٌ ، والرَّابعُ أنْ تَعمِدَ إلى كُلِّ فريضةٍ عليكَ ضيَّعتَها فتؤدِّىَ حقَّها ، والخامسُ أنْ تعمِدَ إلى اللحمِ الذى نبتَ على السُّحتِ فتُذيبَهُ بالأحزانِ حتَّى تُلصِقَ الجلدَ بالعظمِ ، وينشأَ بينهما لحمٌ جديدٌ ، السَّادسُ أنْ تُذيقَ الجسمَ ألمَ الطَّاعةِ كما أذقتَهُ حلاوةَ المعصيةِ ، فعندَ ذلكَ تقولُ : أستغفرُ اللهَ .

• • •

الشَّـرْحُ :

قد رُوِى : «إنَّ الاستغفارَ درجةُ العلِّيِّين» ، فيكون على تقدير حذف مضاف ، أى أنّ درَجة الاستغفار درجة العِلّيّين ، وعلى الرواية الأولى يكون على تقدير حذف مضاف أى أن لصاحب الاستغفار درَجة العلّيّين. وهو ها هنا جمعٌ على «فِعِّيل» كضِلّيل وخِمّير ، تقول: هذا رجلٌ عِلّىٌّ : أى كثيرُ العُلوّ ، ومنه العِلّيّة للغُرْفة على إحدى اللغتين ، ولا يجوز أن يفسَّر بما فسّر به الراونديّ من قوله : إنه اسمُ السماء السابعة ، ونحو قوله: « هو سِدرة المنتهى » ، ونحو قوله : «هو موضعٌ تحت قائمةِ العَرْش اليمنى» ؛ لأنه لو كان كذلك لـكان

عَلَمَا ، فلم تدخُله اللّام . كما لا يقال : « الجُهنّم » ، وكذلك أيضا لا يجوز تفسيرُه بما فسّره الراونديّ أيضا ؛ قال : العلّيين : جمع علىّ : الأمكنة فى السماء ، لأنه لو كان كذلك لم يُجمع بالنون لأنها تختصّ بمن يَعقل ، وتصلح أن تكون الوجوه الأولى تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ كلاّ إنّ كتاب الأبرار لفى عِلّيِّين ﴾ .

قوله : « نَبَت على السُّحْت » ، أى على الحرام ؛ يقال : سُحْت بالتسكين ، وسُحُت بالضم ، وأسحَت الرجُل فى تجارته ؛ أى اكتسب سُحْتا .

* * *

[فصل فى الاستغفار والتوبة]

وينبغى أن نذكر فى هذا الموضوع كلاماً مختصراً مما يقوله أصحابنا فى التوبة ؛ فإنّ كلام أميرِ المؤمنين هو الأصل الذى أخَذَ منه أصحابُ مقالتهم ، والذى يقولونه فى التوبة ، فقد أتى على جوامِعه عليه السلام فى هذا الفصل على اختصاره .

قال أصحابنا : الكلام فى التوبة يقع من وجوه : منها الكلامُ فى ماهيّة التوبة والكلام فى إسقاطِها الذمّ والعقاب ، والكلام فى أنه يجب علينا فِعلُها ، والكلام فى شُرُوطها .

أما ماهيّة التوبة فهى النَّدم والعَزْم ، لأنّ التوبة هى الإنابة والرّجوع ، وليس يمكن أن يرجع الإنسانُ عمّا فعله إلا بالندم عليه ، والعزم على تَرْك معاودته ، وما يتوب الإنسان منه : إمّا أن يكون فعلا قبيحاً ، وإما أن يكون إخلالاً بواجب ، فالتوبة من الفعل القبيح هى أن يَندَم عليه ، ويَعزِم ألا يعود إلى مِثله ، وعَزْمُه على ذلك هو كراهيته لفِعله ، والتوبةُ من الإخلال بالواجب هى أن يَندَم على إخلاله بالواجب

ويَعزم على أداء الواجب فيما بعد .

فأما القول فى أن التوبة تُسقِط العذاب فعندنا أن العقل يقتضى قُبْحَ العقاب بعد التوبة، وخالف أكثرُ المُرجئة فى ذلك من الإمامية وغيرهم ؛ واحتج أصحابُنا بقُبح عقوبة المسىء إلينا بعد ندمه واعتذاره وتنصُّله ، والعلم بصدقه والعلم بأنه عازمٌ على ألاّ يعود .

فأما القول فى وجوب التوبة على العُصاة ؛ فلا ريب أنّ الشرع يوجب ذلك ، وأمّا العقل فالقول فيه أنه لا يخلو المكلَّف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة ، أو يعلم أنها صغيرة ، أو يجوز فيها كلا الأمرين ؛ فإن علم كونها كبيرة وجب عليه فى العقول التوبة منها ، لأن التوبة مُزيلة لضَرَر الكبيرة ، وإزالة المضارّ واجبة فى العقول ، وإن جوّز كونها كبيرة وجوّز كونها صغيرة ، لزمه أيضا فى العقل التوبة منها ، لأنه يأمن بالتوبة من مَضَرّة مخوفة ، وفعل ما يؤمن من المضارّ المخوفة واجب ، وإن علم أنّ معصيته صغيرة ؛ وذلك كمعاصى الأنبياء ، وكمن عصى ثمّ علم بإخبار نبيّ أنّ معصيته صغيرة محبطة ، فقد قال الشيخ أبو علىّ : إنّ التوبة منها واجبة فى العقول ، لأنه إن لم يتب كان مُصِرًّا والإصرار قبيح .

وقال الشيخ أبو هاشم : لا تجب التوبة منها فى العقل بالشرع ، لأنّ فيها مصلحة يعلمها الله تعالى ؛ قال : إنه يجوز أن يخلو الإنسان من التوبة عن الذنب ، ومن الإصرار عليه ، لأنّ الإصرار عليه هو العزم على مُعاوَدة مِثله ، والتوبة منه أن يكره معاودة مِثله مع الندم على ما مضى ؛ ويجوز أن يخلوَ الإنسانُ من العزْم على الشىء ، ومن كراهته .

وقال شيخنا أبو الحسين رحمه الله إلى وجوب التوبة ها هنا عَقْلا ، لدليلٍ غير دليل أبى علىّ رحمه الله .

فأما القولُ في صفات التَّوبة وشروطها فإنها على ضربين :

أحدُهما يعمّ[1] كلَّ توبة ، والآخر يختلف بحسب اختلاف ما يتاب منه ، فالأول هو الندم والعزْم على ترك المعاوَدة .

وأما الضرب الثاني : فهو أنّ ما يُتُوب منه المكلَّف إما أن يكون فِعْلا أو إخلالا بواجب ؛ فإن كان فعلا قبيحا وَجَب عند الشيخ أبي هاشم رحمه الله أن يندم عليه ، لأنه فعل قبيح ، وأن يكره مُعاوَدة مثله لأنه قبيح ، وإن كان إخلالا بواجب وَجَبَ عليه عنده أن يندم عليه ، لأنه إخلالٌ بواجب ، وأن يعزم على فعل مِثْلِ ما أخَلَّ به لأنه واجب ؛ فإن ندم خوف النار فقط ، أو شوقا إلى الجنة فقط ، أو لأنّ القبيح الذي فعله يضرّ بدنه كانت توبته صحيحة[2] ، ولو ندم على القبيح لقُبْحِهِ ولخوف النار ، وكان لو انفرد قبحه ندم عليه ، فإنّ توبته تكون صحيحةً ، وإن كان لو انفرد القبحُ لم يَنْدَم عليه ؛ فإنه لا تكون تَوبتُهُ صحيحةً عنده ، والخلاف فيه مع الشيخ أبي عليّ وغيره من الشيوخ رحمهم الله ؛ وإنما اختار أبو هاشم هذا القول لأنّ التوبة تَجرِي مَجرَى الاعتذار بيننا ؛ ومعلوم أن الواحد منّا لو أساء إلى غيره ثمّ ندم على إساءته إليه واعتذر منها خوفا من معاقبته له عليهما ، أوْ من معاقبة السلطان حتى لو أمن العقوبة ، لما اعتذر ولا نَدِم ، بل كان يُواصِل الإساءة ، فإنه لا يسقط ذمُّه . فكذلك التَّوبة خوف النار لا لِقُبْح الفعل .

وقد نقل قاضي القُضاة هــذا المذهب عن أمير المؤمنين عليه السلام والحسن البَصْريّ وعليّ بن موسى الرِّضا والقاسم بن إبراهيم الرَّسيّ .

قال أصحابُنا . وللتوبة شروط أخرُ تختلف بحسب اختلاف المعاصي ، وذلك أنّ

---

(١) د . « يعم » . (٢) ب : « توبة كانت صحيحة » .. وصوابه من د » !

مايتوب منه المكلف ؛ إما أن يكون فيه لآدمى حق أولا حق فيه لآدمى ، فما ليس للآدمى فيه حق فنحو ترك الصلاة ، فإنه لا يجب فيه إلا الندم والعزم على ماقدمنا وما لآدمى فيه حق على ضربين: أحدهما أن يكون جناية عليه فى نفسه أو أعضائه أو ماله أو دينه ، والآخر ألا يكون جناية عليه فى شىء من ذلك ، فما كان جناية عليه فى نفسه أو أعضائه أو ماله، فالواجب فيه الندم والعزم ، وأن يشرع فى تسليم بدل ما أتلف ، فإن لم يتمكن من ذلك لفقر أو غيره عزم على ذلك إذا تمكن منه ، فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب ، وإن جنى عليه فى دينه بأن يكون قد أضله بشبهة أستزله بها ؛ فالواجب عليه مع الندم العزم والاجتهاد فى حل شبهته من نفسه ، فإن لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذا تمكن، فإن مات قبل التمكن ، أو تمكن منه واجتهد فى حل الشبهة فلم تنحل من نفس ذلك الضال ، فلا عقاب عليه ؛ لأنه قد استفرغ جهده ؛ فإن كانت المعصية غير جناية نحو أن يغتابه أو يسمع غيبته فإنه يلزمه الندم والعزم ، ولا يلزمه أن يستحله أو يعتذر إليه ، لأنه ليس يلزمه أرش[1] لمن أغتابه فيستحله ، ليسقط عنه الأرش ، ولا غمة فيزيل غمة بالاعتذار ، وفى ذكر الغيبة له ليستحله فيزيل غمة منها إدخال غم عليه، فلم يجز ذلك ، فإن كان قد أسمع المغتاب غيبته فذلك جناية عليه ، لأنه قد أوصل إليه مضرة الغم ، فيلزمه إزالة ذلك بالاعتذار .

---

(١) الأرش : دية الجراحات ؛ وقيل هو الجراحات نفسها تكون على قدر معلوم .

الأصـل :

وقالَ عليهِ السلامُ : الحِلْمُ عَشِيرَةٌ .

● ● ●

الشَّـرْحُ :

كان يقال : الحلم جنودٌ مجنّدة لا أرزاقَ لها .

وقال عليه السلام : وجدتُ الاحتمالَ أنصرَ لى من الرجال .

وقال الشاعر :

وَلَلْكفُّ عن شَتْمِ اللئيمِ تكرُّماً   أضرُّ له من شَتْمِه حينَ يَشتم

وكانَ يقال : مَنْ غَرَسَ شجرةَ الحِلْمِ اجتنَى ثَمرةَ[١] السِّلْمِ .

وقد تقدّم من القول فى الحِلْم مافيه كفاية .

---

(٢) ق ب « شجرة » وهو أصوب .

(٤٢٤)

الأصْل :

وقال عليه السلام :

مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ ! مَكْتُومُ الأَجَلِ، مَكْنُونُ العِلَلِ، مَحْفُوظُ العَمَلِ، تُؤْلِمُهُ البَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وَتُنْتِنُهُ العَرْقَةُ.

* * *

الشَّرْحُ :

قد تقدّم هاهنا خبر المبتدأ عليه، والتقدير: «ابْنُ آدم مسكين»، ثمّ بيّن مسكنته من أين هي ؟ فقال: إنّها من ستّة أوجه: أجلُه مكتوم لا يدرى متى يُخترم، وعِلَلُه باطنة لايَدرِى بها حتّى تَهيجَ عليه، وعَمَلُه محفوظ: ﴿ مَالِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾[1]، وقَرْص البَقّة يؤلمه، والشَّرْقة بالماء تقتله، وإذا عَرِق أنتنته العَرْقة الواحدة وغيّرتْ رِيحَه؛ فمن هو على هذه الصّفات فهو مسكين لا محالة، لا ينبغى أن يأمَن ولا أن يَفْخَر.

---

(١) سورة الكهف ٤٩.

الأصل :

وَيُرْوَى أنَّهُ عليه السلام كانَ جالساً في أصحابه إذ مرّتْ بهمْ امرأةٌ جميلةٌ فرمقَها القومُ بأبصارهم ، فقالَ عليه السلامُ :

إنَّ أبصارَ هذهِ الفحُولِ طَوامحُ ، وَإنَّ ذلِكَ سَبَبُ هِبَابِها ؛ فَإذَا نَظَرَ أحَدُكُمْ إلَى امْرَأَةٍ تُعجِبُهُ فَلْيُلامِسْ أهْلَهُ ، فَإنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ .

فقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ : قَاتَلَهُ اللهُ كَافِراً ، مَا أفْقَهَهُ !

قَالَ : فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ ؛ فقالَ عليه السلامُ :

رُوَيْداً ، إنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ ، أوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ .

* * *

الشرح :

تقول : هَبَّ الفحلُ والتَّيسُ يهِبّ بالكسر هَبيبا أو هبابا ؛ إذا هاجَ للضِّراب أو للسِّفاد ، والهباب أيضا : صَوتٌ ، والتَّيسُ إذ هبّ فهو مِهباب ؛ وقد هَبْهبتُه ، أى دعوتُه لينزُوَ[1] فتهبهب ؛ أى تزَعزَع .

وسألني صديقُنا عليُّ بن البِطْريق عن هذه القِصّة فقال : مابالُه عفَا عن الخارجيّ وقد طعَن فيه بالكفر ، وأنكَر على الأشعث قوله : « هذه عليك لا لك » ، فقال :

---

(١) ا : « وثب » .

ما يُدْريك عليكَ لعنةُ الله ما عليّ مما لي! حائك ابن حائك، منافق ابن كافر! وما واجهه به الخارجيّ أقطع مما واجهه الأشعث. فقلتُ: لا أدري.

قال: لأنّ كلّ صاحب فضيلة يعظُم عليه أن يُطعَن في فضيلته تلك، ويُدَّعَى عليه أنّه فيها ناقص، وكان عليّ عليه السلام سيّد العلم، فما طعن فيه الأشعث طعن بأنّك لاتَدْري ما عليك مما لك، فشقّ ذلك عليه، وامتعض منه، فجَبهه ولعنه؛ وأمّا الخارجي فلم يطعن في عِلمه، بل أثبتَه له، واعترَف به، وتعجّب منه، فقال: «قاتَلَه الله كافراً ما أفقهه!»، فاغتفَر له لفظةَ «كافر» بما اعترف له به من علوّ طبقته في الفقه، ولم يَخشُن عليه خُشونته على الأشعث، وكان قد مَرَنَ على سماع قول الخوارج: أنت كافر، وقد كفرتَ، يعنُون التحكيم، فلم يَحفِل بتلك اللفظة ونهى أصحابَه عن قتلِه محافظة ورعايةً له على ما مدَحه به.

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ ، ما أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ .

* * *

الشَّـرْحُ :

يقول عليه السلام : كَفَى الإنسان من عقله مايُفَرِّقُ به بين الغيِّ والرَّشاد ، وبين الحقّ من العقائد والباطل ، فإنّه بذلك يتمّ تكليفُه ، ولا حاجة في التكليف ، والفَرْق بين الغيّ والرُّشْد إلى زيادة على ذلك نحو التجارب التي تُفيده الحَزْم التامّ ، ومعرفة أحوالِ الدّنيا وأهلِها ، وأيضا لاحاجةَ له إلى أن يكون عندَه من الفِطْنة الثاقبة والذّكاء التّام مايَستنبِط به دقائقَ الكلام في الحِكْمة والهَنْدسة والعلوم الغامضَة ، فإنّ ذلك كلّه فضلٌ مستغنًى عنه ، فإنْ حُصِّل للإنسان فقد كَمُل ، وإن لم يُحصَّل للإنسان فقد كفاه في تكليفه ونجاتِه من مَعاطِب العِصْيان مايُفرِّق به بين الغَيّ والرَّشاد ، وهو حصول العلوم البديهيّة في القَلْب ، وماجَرَى مَجراها من علوم العادات ، وما يذكره أصحابُنا في باب التكليف .

(٤٢٧)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

افعَلُوا الْخَيْرَ ، وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً ، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ ، وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ

وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي ، فَيَكُونَ وَاللهِ كَذَلِكَ .

* * *

الشرح :

القليلُ من الخير خيرٌ من عدمِ الخيرِ أصلا .

قال عليه السلام : لا يقولَنَّ أحدُكم إنّ فلانا أولَى بفعل الخير منّي ؛ فيكون والله كذلك ، مثاله قوم مُوسِرون في محلّة واحدة ، فقصد واحدا منهم سائلٌ فردّه ، وقال له : اذهبْ إلى فلان ، فهو أولَى بأن يتصدّق عليك منّي ، فإنّ هذه الكلمة تقال دائما نهى عليه السلام عن قولِها وقال : فيكونَ والله كذلك ، أى أنّ الله تعالى يوفّق ذلك الشخصَ الذى أحيل ذلك السائلُ عليه ، وييسّر الصّدقة عليه ، ويقوّى دواعيَه إليها ، فيفعلها فتكون كلمة ذلك الإنسان الأوّل قد صادفتْ قدَرا وقضاء ، ووقَع الأمر بموجَبِها .

(٤٢٨)

الأصْـلُ :

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ أَهْلاً ، فَمَهْما تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ .

* * *

الشَّـرْحُ :

يقول عليه السلام : إنْ عَنَّ لك بابٌ من أبواب الخير وتركْتَه، فسوف يَكفيكه بعضُ الناس ممّن جعَله الله تعالى أهلاً للخير وإسداء المعروفِ إلى الناس ، وإنْ عنّ لك بابٌ من أبواب الشرّ فتركْته، فسوف يَكفيكَه بعضُ الناس ممّن خذلتْهم أنفسُهم وسوء اختيارِهم أهلا للشرّ وأذَى الناس ؛ فانظرْ لنفسك أيّما أحبّ إليك ، أن تحظَى بالمحمدة والثواب ، وتَفعل ما إن تركتَه فعَلَه غيرُك وحَظِيَ بحمده وثوابِه ، أو أن تترُكه ، وأيّما أحبّ إليك ، أن تَشقَى بالذمّ عاجلاً ، والعقابِ آجلاً ، وتفعل ما إن تركْته كفاكَه غيرُك ، وبلغتَ غرضك منه على يدِ غيرِك ، أو أن تفعله ، ولا ريبَ أنّ العاقلَ يختارُ فعلَ الخير وتركَ الشرّ إذا أفكَر حقّ الفِكْر فيما قد أوضحناه[1] .

---

(١) أ : « وضح » .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ ، أَصْلَحَ اللهُ عَلاَنِيَتَهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ ، كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ، أَحْسَنَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

* * *

الشرح :

لا ريبَ أنّ الأعمال الظاهرة تبَعٌ للأعمال الباطنة ، فمَن صَلَح باطنُه صَلَح ظاهرُه وبالعكس ، وذلك لأنّ القلبَ أميرٌ مسلَّطٌ على الجوارح ، والرعيّة تتبَع أميرَها ولا ريبَ أنّ من عَمِل لدينه كفاهُ الله أمرَ دُنياه ، وقد شَهِد بذلك الكتابُ العزيزُ في قوله سبحانه: ﴿ ومَن يتّقِ اللهَ يجعلْ له مَخرَجاً ويرزُقْه من حيث لا يحتَسِب ﴾[1] .

وهذا أيضا عِلّة ظاهرة ؛ وذلك أنّ من عَمِل لله سبحانه وللدّين فإنه لا يخفى حالُه في أكثر الأمر عن الناس ، ولا شبهة أنّ الناس إذا حَسُنتْ عقيدتُهم في إنسان وعَلِموا مَتانَة دينه بوّءوا له إلى الدّنيا أموراً لا يحتاجُ أن يتكلّفها ، ولا يتعَب فيها ، فيأتيه رزقُه من غيرِ كُلْفة ولا كَدّ ؛ ولا ريبَ أنّ من أحسَن فيما بينَه وبين الله أحسَنَ الله ما بينَه وبين الناس ، وذلك لأنّ القلوبَ بالضرورة تميلُ إليه وتحبّه ، وذلك لأنّه إذا كان مُحسِناً بينَه وبين الناس عفّ عن أموالِ الناس ودمائهم وأعراضهم ، وتَرَك الدخولَ فيما لا يَعنيه ، ولا شبهةَ أنّ من كان بهذه الصّفة فإنّه يحسن ما بينَه وبين الناس .

---

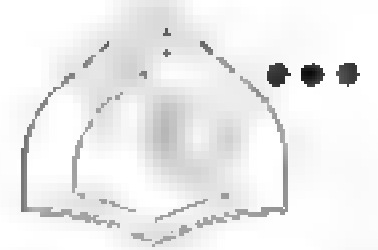
(١) سورة الطلاق آية (٢ ، ٣)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الحِلْمُ غِطاءٌ سَاتِرٌ ، والعَقْلُ حُسَامٌ قاطِعٌ ، فاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ .

●●●



الشرح :

لما جعل الله الحلم غطاء ، والعقل حساماً أمره أن يستر خلل خلقه بذلك الغطاء وأن يقاتل هواه بذلك الحسام ، وقد سبق القول في الحلم والعقل .

(٤٣١)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إنَّ للهِ عباداً يختصُّهُمْ بالنِّعَمِ لمنافعِ العبادِ ، فيُقِرُّها في أيديهمْ ما بذَلُوها فإذا منعُوها نزَعَها منهُمْ ، ثُمَّ حوَّلَها إلى غيرِهِمْ .

* * *

الشرح :

قد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدّم ، وقد قال الشعراء فيه فأكثروا ، وقريبٌ من ذلك قول الشاعر :

وبالنّاس عاشَ الناسُ قِدْماً ولم يَزَلْ	من الناسِ مرْغوبٌ إليـه وراغِبُ

وأشدّ تصريحاً بالمعنى قول الشاعر :

لمْ يعطك اللهُ ما أعطـاكَ من نِعَمٍ	إلّا لتوسِعَ من يرْجوكَ إحسانا
فإنْ منَعتَ فأخلِقْ أن تُصادِفَهـا	تطير عنكَ زرافاتٍ ووحْـدانا

الأصْلُ :

وَقالَ عليه السلامُ :

لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ : العافِيَةِ والغِنَى ، بَيْنَا تَرَاهُ مُعافًى إِذْ سَقِمَ وبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذِ افْتَقَرَ .

* * *

الشَّرْحُ :

قد تقدَّم القولُ في هذا المعنى .

وقال الشاعر :

وبينا المرء في الأحياء مُغْتَبِطٌ ... إذ صار في اللَّحْدِ تَسْفِيهِ الأعاصيرُ

وقال آخَرُ :

لا يَغُرَّنْكَ عِشاءٌ ساكنٌ ... قد يُوافِي بالْمَنِيَّاتِ السَّحَرْ

وقال عُبيدُ الله بنُ طاهر :

وإذا ما أعارك الدهرُ شيئاً ... فهو لا بدَّ آخِذٌ ما أعارا

آخَر :

يَغُرُّ الفتى مَرُّ الليالي سليمةً ... وهُنَّ به عمَّا قليلٍ عَوائِرُ

وقال آخَر :

ورُبَّ غنيٍّ عظيمِ الثَّراء ... أمسَى مُقِلًّا عديماً فقيرا

وكم باتَ مِنْ مُتْرَفٍ في القُصور ... فعُوِّضَ في الصبح عنها القُبورا

(٤٣٣)

الأصْلُ :

وقال عليه السلامُ :

مَنْ شَكَا الحاجَةَ إلى مُؤْمِنٍ فكأنَّما شَكاها إلى اللهِ ، ومَنْ شَكاها إلى كافرٍ فكأنَّما شَكا اللهَ .

• • •

الشَّرْحُ :

قد تقدَّم القولُ في شَكْوى الحالِ وكراهيتها ، وكلامُ أميرِ المؤمنين عليه السلام يدلُّ على أنه لا يَكره شكوى الحالِ إلى المؤمن ، ويكرهها إلى غير المؤمن ، وهذا مذهبٌ دينيٌّ غيرُ المذهب العُرْفيّ .

وأكثر مذاهبه ومقاصده عليه السلام في كلامه يَنْحُو فيها نحوَ الدِّينِ والورَعِ والإسلام وكأنّه يَجعل الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه ، لأنه لا يشكو إلى المؤمن إلّا وقد خلَتْ شكْواه من التسخُّط والتأفّف ، ولا يشكُو إلى الكافر إلّا وقد شابتْ شكْواه بالاستزادة والتَّضجُّر ، فافترقَت الحالُ في الموضعين .

فأمّا المذهب المشهورُ في العُرْف والعادة فاستهجانُ الشكوى على الإطلاق لأنّها دليلٌ على ضَعف النفس وخذلانها ، وقلّة الصّبر على حوادث الدّهر ، وذلك عندَهم غيرُ محمود .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ في بعضِ الأعيادِ :

وإنَّما هُوَ عيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيامَهُ ، وشَكَرَ قِيامَهُ ، وكُلُّ يَوْمٍ لا يُعْصَى اللهُ فيهِ فَهُوَ يَوْمُ عِيدٍ .

* * *

الشرح :

المعنى ظاهرٌ ، وقد نَقَلَهُ بعضُ المُحدَثينَ إلى الغزلِ فقال :

قالوا أتى العيدُ قلتُ أهلاً ... إنْ جاءَ بالوَصْلِ فهوَ عيدُ

مَنْ ظَفِرَتْ بالمُنى يداهُ ... فَكُلُّ أيامِهِ سُعودُ

ورأيتُ بعضَ الصوفيَّةِ وقد سَمِعَ هذينِ البيتينِ من مُغَنٍّ حاذقٍ ، فطَرِبَ وصَفَّقَ وأخذَهما لمعنًى عندَه .

وقد قال بعضُ المُحدَثينَ في هذا المعنى أيضاً .

قالوا أتى العيدُ والأيامُ مشرقةٌ ... وأنتَ ... وكلُّ الناسِ مسرورُ

فقلتُ إنْ واصلَ الأحبابُ كان لنا ... عيدٌ وإلّا فهذا اليومُ عاشورُ

(٤٣٥)

الأصـل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إنَّ أعظَمَ الحسَراتِ يومَ القيامَةِ حسْرَةُ رجُلٍ كسَبَ مالاً في غَـيْرِ طاعَةِ اللهِ فورَّثَهُ رجُـلاً فأنفقَهُ في طاعةِ اللهِ سُبْحانَهُ فدَخَلَ بِهِ الجنَّةَ ، ودَخَلَ الأوَّلُ بِهِ النَّـارَ .

• • •

الشَّـرحُ :

كان يقال لعمر بن عبد العزيز بن مروان : السعيد ابن الشقي ، وذلك أن عبدَ العزيز ابن مروان مَلَكَ ضياعاً كثيرة بمصر والشام والعراق والمدينة من غير طاعة الله ، بل بسلطان أخيه عبد الملك، وبولاية عبد العزيز نفسه مصر وغيرها، ثمّ تركها لابنه عمر، فكان يُنْفِقُها في طاعة الله سبحانه وفي وجوه البِّر والقُرُبات ، إلى أن أفضَت الخلافةُ إليه ، فلما أفضت إليه أخْرَجَ سِجلاّت عبد الملك بها لعبد العزيز فمزّقها بمَحضَر من الناس ، وقال : هذه كُتِبَتْ من غير أصل شرعيّ ، وقد أعدْتُها إلى بيت المـال .

الأصـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إنَّ أخسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً ، وأخيَبَهُمْ سَعْياً ، رَجُـلٌ أخلَقَ بَدَنَهُ فى طَلَبِ مالِهِ[1] ، ولَمْ تُساعِدْهُ المَقادِيرُ على إرادَتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيا بِحَسْرَتِهِ ، وقَدِمَ عَلَى الآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ .

•••

الشـرح :

هذه صورةُ أكثرِ الناس ، وذلك لأنَّ أكثرَهم تكُدُّ بدنَه وهمته فى نوع الآمالِ الدنيوية ، والقليل منهم من تساعده المقاديرُ على إرادته ، وإن ساعدَتْه على شىء منها بَقِىَ فى نفسه ما لا يَبْلغه ، كما قيل :

تروحُ وتغـــدُو لحاجاتنا وحاجةُ من عاشَ لا تنقضى
تموتُ مـــع المرء حاجاتُه وتبقَى له حاجةٌ ما بقى

فأكثرُهم إذنْ يخرُجُ من الدنيا بحسرته ، ويقدِمُ على الآخرة بتَبِعته ، لأنّ تلك الآمالَ التى كانت الحركةُ والسعىُ فيها ليستْ متعلقةً بأمور الدّين والآخرة ، لا جَرَمَ أنها تبعاتٌ وعُقوبات ، ونسألُ اللهَ عفوَه .

---

(١) فى ‹ د › ‹ آماله › ، وهو مستقيم أيضاً

(٤٣٧)

الأصل :

وقال عليه السلام :

الرِّزقُ رِزقانِ : طالِبٌ ومَطلوبٌ ، فمَنْ طلَبَ الدُّنيا طلَبَهُ المَوْتُ حتّى يُخرِجَهُ عَنْها ، ومَنْ طلبَ الآخرةَ طلَبَتْهُ الدُّنيا حتّى يَستَوفيَ مِنْها رِزقَهُ[1] .

***

الشرح :

هذا تحريضٌ على طلب الآخرة ، ووَعدٌ لمن طلبها بأنه سيُكفى طلب الدنيا ، وأنّ الدنيا ستَطلبهُ حتى يستوفيَ رزقَه منها .

وقد قيل : مَثَل الدُّنيا مَثَل ظِلِّك ، كلّما طلبتَه بَعُد عنك ، فإن أدبرْتَ عنه تَبِعك .

---

(١) « ب » رزقه منها »

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إنَّ أوْليـاءَ اللهِ هُمُ الَّذينَ نَظَرُوا إلى باطِنِ الدُّنيا إذا نَظَرَ النَّاسُ إلى ظاهِرِها واشْتَغَلُوا بآجِلِها إذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعاجِلِها ، فأماتُوا مِنهـا ما أحَسُّوا أنْ يُمِيتَهُمْ وتَرَكُوا مِنْها ما عَلِمُوا أنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ ، ورَأوْا استِكْثارَ غيرِهِمْ مِنْها استِقْلالاً ، ودَرْكَهُمْ لها فَوَاتًا ، أعداءٌ لِما سالَمَ النَّاسُ ، وسَلْمٌ لِمَنْ عادَى النَّاسُ ، بِهِمْ عُلِمَ الكِتابُ ، وبهِ عُلِمُوا ، وبِهِمْ قامَ كِتابُ اللهِ تعالى ، وبهِ قامُوا ، لا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ ما يَرْجُونَ ، ولا مَخُوفًا فَوْقَ ما يخافُونَ .

* * *

الشَّـرْحُ :

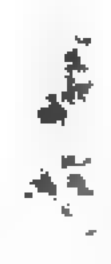
هذا يَصلُح أن تَجعلهُ الإماميةَ شرحَ حال الأئمة المعصومين على مذهبهم ، لقَولِه : فوقَ ما يرْجون ، بهم عُلِم الكتاب ، وبه عُلموا ؛ وأمّا نحن فنجعله شرح حالِ العلماء العارفين وهم أولياء الله الذين ذكرهم عليه السلام لمـا نظر الناسُ إلى ظاهر الدنيا وزُخْرُفها من المناكح والملابس والشَّهَوات الحِسِّية ، نظروا هُمْ إلى باطن الدنيا ، فاشتغلوا بالعلوم والمعارف والعبادة والزهد في المَلاذِّ الجُسْمانيّة ، فأماتُوا من شَهَواتِهم وقُواهم المذمومة كقوّة الغَضب وقوّة الحسد ما خافوا أن يُميتَهم ، وتَرَكُوا من الدنيا اقتناء الأموال لعلمهم أنها ستَتْرُكهم ، وأنه لا يمكن دوامُ الصُّحْبة معها ، فكان استِكثارُ الناس من تلك الصفات استقلالا عندهم ، وبلوغ الناس لها فَوْتًا أيضا عندهم ، فهم خَصْم لِما سالَمَه الناسُ

من الشهوات ، وسِلْمٌ لما عاداه الناس من العلوم والعبادات ، وبهم عُلم الكتاب ، لأنه لولاهم لما عُرف تأويل الآيات المتشابهات ، ولأخذها الناسُ على ظواهرها فضلّوا وبالكتاب عَلِموا ، لأنّ الكتابَ دلّ عليهم ، ونبّه الناس على مواضعهم ، نحو قوله : ﴿ إنما يَخشَى اللهَ من عبادِه العلماء ﴾[1] .

وقوله : ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[2] .

وقوله : ﴿ ومَن يُؤتَ الحكمةَ فقد أُوتىَ خيراً كثيراً ﴾[3] .

ونحو ذلك من الآيات التى تنادى عليهم ، وتخطب بفضلهم ، وبهم قام الكتاب لأنهم قرّروا البراهين على صدقه وصحة وروده من الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ولولاهم لم يَقُم على ذلك دلالة للعوام ، وبالكتاب قاموا ، أى باتباع أوامر الكتاب وآدابه قاموا ، لأنه لولا تأدّبهم بآداب القرآن ، وامتثال أوامره ، لما أغنى عنهم عِلمُهم شيئاً ، بل كان وَبالاً عليهم ، ثم قال : إنّهم لا يرَوْن مَرْجُوّاً فوق ما يَرْجون ، ولا مخوفاً فوق ما يخافون ، وكيف لا يكونون كذلك ومَرْجُوُّهم مجاورة الله تعالى فى حظائر قُدْسه ، وهل فوق هذا مَرْجُوّ لراجٍ ، ومخوفهم سخط الله عليهم وإبعادهم عن جنابه ، وهل فوق هذا مخوفٌ لخائف .



(١) سورة فاطر ٢٨ (٢) سورة الزمر ٩
(٣) سورة البقرة ٢٦٩

(٤٣٩)

الأصل :

وقال عليه السلام :

اذْكُرُوا انقِطَاعَ اللَّذَّاتِ ، وبَقَاءَ التَّبِعَاتِ .

• • •

الشرح :

قد تقدّم القولُ في نحو هذا مرارا ؛ وقال الشاعر :

تفنى اللّذاذةُ ممن نال بُغيتَهُ ... من الحرامِ ، ويبقى الإثمُ والعارُ

تبقى عواقب سُوءٍ في مَغبّتها ... لا خيرَ في لذّةٍ من بعدها النارُ

وراودَ رجل امرأةً عن نفسها ، فقالت له : إن امرأً يبيع جنّةً عرضُها السموات والأرض بمقدار إصبعين لجاهلٌ بالمساحة ؛ فاستحيا ورجع

(٤٤٠)

الأصْـلُ :

وقالَ عليه السلامُ : أُخْبُرْ تَقْلَهْ .

وقالَ الرَّضِيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى : ومِنَ النَّاسِ مَنْ يرْوِي هذا لرسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ ، ومِمَّا يُقَوِّي أنَّهُ مِنْ كلامِ أميرِ المؤمنينَ عليهِ السلامُ ماحَكاهُ ثعلب قالَ : حدَّثنا ابنُ الأعرابيّ قالَ : قال المأمون : لولا أنَّ عليًّا عليه السلامُ قالَ : أُخْبُرْ تَقْلَهْ لقلتُ أنا اقْلَهْ تخبُرْ .

* * *

الشَّـرْح :

المعنى اختبرِ الناسَ وجرِّبهم تُبغِضهم ، فإن التجربةَ تكشف لك عن مساويهم وسوءِ أخلاقهم ، فضربَ مثلاً لمن يغتَرّ به الخيرُ وليس هناك ، فأمّا قول المأمون : لولا أنّ عليًّا قاله لقلتُ : اقْـلَهْ تخبُرْ ، فليسَ المراد حقيقـةَ القِلَى ، وهو البُغض بل المراد الهجرُ والقطيعـة ، يقول : قاطِـعْ أخاك مجرِّبًا له هل يبقَى على عهدِك أم ينقُضه ويحوِّله عنك .

ومن كلام عتبـةَ بن أبي سفيان : طيّروا الدّمَ في وجوه الشّباب ، فإن حلُموا وأحسنوا الجواب فهم هم ، وإلا فلا تطمَعوا فيهم ، يقول : أغضبوهم لأن الغضبان يحمرّ وجهه ، فإن ثبتوا لذلك الكلام المغضب وحلُموا وأجابوا جوابَ الحليم العاقل ، فهم ممّن يُعقَد عليه الخنصر ويُرجَى فلاحُه ، وإن سفِهوا وشتموا ولم يثبتوا لذلك الكلام فلا رجاءَ لفلاحهم . ومن المعنى الأوّل قولُ أبي العلاء :

جرّبتُ دهرى وأهليه فما تركتْ لىَ التجاربُ فى ودِّ امرئٍ غرضا[1]

وقال آخر :

وكنتُ أرى أنّ التجاربَ عُدّةٌ تخونُ ثقاتُ الناسِ حتى التجاربُ

وقال عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب :

رأيتُ فُضيلاً كان شيئاً ملفّفاً فأبرزَه التمحيصُ حتى بدا لِيا[2]

آخر :

عتبتُ على سَلْمٍ فلمّا فقدتُه وجرّبتُ أقواماً رجعتُ إلى سَلْمِ

مثله .

ذممتُك أوّلاً حتّى إذا ما بلوتُ سواكَ عاد الذمُّ حَمْدا

ولم أحمَدْك من خيرٍ ولكن وجدتُ سواكَ شرًّا منك جِدّا

فعُدْتَ إليكَ مضطرًّا ذليلاً لأنّى لم أجِدْ مِن ذاك بُدّا

كمجهودٍ تحامَى أكلَ مَيْتٍ فلمّا اضطُرَّ عادَ إليه شَدّا

الذى يتعلق به غرضُنا من الأبيات هو البيتُ الأوّل ، وذكرنا سائرَها لحُسْنِها .

---

(١) سقط الزند ١٥٦

(٢) الأغانى ١٢ : ٢١٤ ، وروايته « رأيت فضيلا » .

(٤٤١)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

ما كانَ اللهُ عزّ وجل لِيفْتحَ عَلَى عَبْدٍ بابَ الشُّكرِ ويُغلِقَ عَنْهُ بابَ الزّيادةِ ، ولا لِيفتحَ عَلَى عَبْدٍ بابَ الدُّعاء، ويُغلِقَ عَنْهُ بابَ الإجابةِ ، ولا لِيَفتحَ عَلَيهِ بابَ التَّوبةِ ، ويُغلِقَ عَنْهُ بابَ المَغفِرةِ .

•••

الشّرح :

قد تقدّم القولُ في الشُّكر واقتضائه الزيادة[و][1] اقتضاء الدّعاء الإجابة ؛ والتّوبة : للمغفرة ؛ على وجهِ الاستقصاء في الجميع .

الأصل :

وقال عليه السلامُ :

أَوْلَى النَّاسِ بِالْكَرَمِ مَنْ عُرِّقَتْ فِيهِ الْكِرَامُ .

الشرح :

أعرقت وعرّقت في هذا الموضع بمعنى ، أي ضربت عروقُه في الكرَم ، أي له سَلَف وآباء كرام . وقال المبرد : أنشدني أبو محلِّم السعدي :

إنّا سألنا قومَنا فخيارُهم ... من كان أفضلَهم أبوه الأفضلُ[1]
أعطى الذي أعطى أبوه قبلَه ... وتبخّلت أبناء من يتبخّلُ

قال : وأنشدني أيضا في المعنى :

لَطَلْحَةُ بن خُثَيْمٍ حين تسألُه ... أندى وأكرمُ من فِندِ بن هِطَّالِ[2]
وبيتُ طلحة في عزٍّ ومَكرُمةٍ ... وبيت فِندٍ إلى رِبْقٍ وأحمالِ[3]
ألا فتى من بني ذُبيان يحملني ... وليس يَحملني إلا ابنُ حَمّالِ[4]
فقلتُ طلحة أولى من عَمَدتُ له ... وجئتُ أمشي إليه مَشْيَ مُختالِ
مُستيقنًا أن حَبْلي سوف يُعلِقُهُ ... في رأس ذَيّالة أو رأسِ ذَيّالِ[5]

---

(١) الكامل ١ : ٣٦٣ ، وروايته : « أبوه الأول » .

(٢) الكامل ١ : ٣٦٣ ، وروايته : « لطلحة بن حبيب » .

(٣) ربق : حبل فيه عدة عرا ، تشد به البهم . وأحمال : جمع حمل ، بالتحريك ، وهو الخروف .

(٤) قال أبو العباس : « يعني ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر » .

(٥) قوله : « في رأس ذيالة » ، يعني فرسا أنثى أو حصانا . والذيال : الطويل الذنب .

وقال آخر :

عندَ المُلوكِ مَضَرَّةٌ وَمَنافِعُ ... وأَرَى البَرامِكَ لا تَضُرُّ وتَنفَعُ

إنّ العُروقَ إذا استَسَرَّ بها الثَّرَى ... أَثْرَى النَّباتُ بها وطابَ المَزرَعُ

وإذا جَهِلتَ من امرِئٍ أَعراقَهُ ... وقَــــديمَهُ فانظُرْ إلى ما يَصنَعُ

وقال آخر :

إنّ السَّرِيَّ إذا سَرَى فبِنَفْسِهِ ... وابنُ السَّرِيِّ إذا سَرَى أَسْراهُما

وقال البحتريّ :

وأرى النَّجابةَ لا يكونُ تَمامُها ... لِنَجيبِ قومٍ ليسَ بابنِ نَجيبِ[1]

---

(١) ديوانه ١ : ٥٧

الأصل

وسُئِلَ عليهِ السَّلامُ : أيُّما أفضلُ ؟ العَدْلُ أوِ الجودُ ؟ فقالَ :

العَدْلُ يضعُ الأمورَ مَواضِعَها ، والجودُ يُخرِجُها مِنْ جِهَتِها ، والعَدْلُ سائِسٌ عامٌّ ؛ والجودُ عارِضٌ خاصٌّ ، فالعَدْلُ أشرَفُهُما وأفضَلُهُما .

* * *

الشرح :

هذا كلامٌ شريفٌ جليلُ القَدْرِ ، فضَّل عليه السلام العَدْل بأمرين .

أحدهما أنّ العدل وضعُ الأمور مواضعها ، وهكذا العدالة في الاصطلاح الحِكْمي ، لأنها المرتبة المتوسطة بين طرَفَي الإفراط والتفريط ، والجود يُخرِج الأمر عن موضعه ، والمراد بالجود هاهنا هو الجود العُرْفي ، وهو بذل المُقتَنَيات للغير ، لا الجود الحقيقيّ ، لأنّ الجود الحقيقيّ ليس يُخرِج الأمر عن جهته ، نحو جود الباري تعالى .

والوجه الثاني : أنّ العدل سائسٌ عامٌّ في جميع الأمور الدينية والدنيوية ، وبه نظام العالَم وقوام الوجود ؛ وأمّا الجود فأمرٌ عارِضٌ خاصٌّ ، ليس عموم نفعه كعموم نفع العَدْل .

(٤٤٤)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

النَّاسُ أعْدَاء ما جَهِلُوا .

• • •

الشرح :

هذه من ألفاظه الشريفة التي لا نظيرَ لها ، وقد تقدّم ذكرها وذكرُ ما يُناسبها .

وكان يقال : مَن جَهِل شيئاً عاداه .

وقال الشاعر :

جهلتَ أمراً فأبديتَ النكيرَ له   والجاهلون لأهلِ العلم أعداء

وقيل لأفلاطون : لِمَ يُبغض الجاهلُ العالِمَ ، ولا يُبغض العالمُ الجاهلَ ؟ فقال : لأنّ الجاهلَ يَستشعر النقص في نفسه ، ويظن أنّ العالِم يَحتقره ، ويزدريه فيُبغضه ، والعالِم لا نقص عنده ولا يظن أنّ الجاهلَ يَحتقره ، فليس عنده سببٌ لبُغض الجاهل .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ القُرْآنِ ؛ قالَ اللهُ سُبْحانَهُ : ﴿ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مافَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [١] ، وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى المَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بالآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ .

•••

الشرح :

قد تقدَّم القولُ في هذين المعنيين بما فيه كفاية .

---

(١) سورة الحديد ٢٣ .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الوِلاياتُ مَضاميرُ الرِّجالِ .

•••

الشرح :

أى تُعرَف الرجالُ بها كما تُعرَف الخيلُ بالمضمار ، وهو الموضع أو المُدّة التى تُضمَّر فيها الخيل ، فمِن الوُلاة مَن يظهر منه أخلاقٌ حميدة ، ومنهم من يظهر منه أخلاقٌ ذميمة .

وقال الشاعر :

سكراتٌ خمسٌ إذا مُنِيَ المر ... ءُ بهـــا صارَ عُرضةً للزّمانِ
سَكْرةُ المالِ والحـداثةِ والعشْ ... قِ وسكرُ الشرابِ والسلطانِ

وقال آخر :

يابنَ وَهْبٍ والمرءُ فى دَولةِ السلـ ... طانِ أعمَى ما دامَ يُدعَى أميرا
فإذا زالتِ الولايةُ عنـــهُ ... واستوَى بالرّجالِ عادَ بَصيرا

وقال البحترىّ :

وتاهَ سَعيدٌ أن أُعيـرَ رئاسةً ... وقُلِّد أمراً كان دونَ رِجالِهِ
وضاقَ على حَقِّى تعقُّب أتباعِهِ ... فأوسَعْتُه عـذراً لِضيقِ احتمالِهِ
فأدبرَ عنِّى عنـد إقبالِ حظِّه ... وغيّرَ حالِى عنـدَه حُسنُ حالِهِ
فليتَ أبا عثمانَ أمسَكَ تِيهَه ... كإمساكِهِ عنـد الحقوقِ بمالِهِ

الأصلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ !

•••

الشرحُ :

هذه الكلمةُ قد سبقتْ ، وتكلّمنا عليها ، وما أحسنَ قولَ المعرّي :

ماقضَى الحاجاتِ إلّا نسلٌ	نومُه فوقَ فِراشٍ من نَمَلْ [1]

وقال الرضيّ رحمه الله :

عليها أحامِسُ مِثلُ الصّقورِ	طُول الرجاء حِسام الأرَبْ
وكلّ فتًى حَطّ أجفـانِه	من النوم مَصْمَصةٌ يُسْتَلبْ [2]
فبينا يقال كرى جَفنه	فِطِمٌ من الليل إذ قيل هَبْ

---

(١) النسل : السريع

(٢) يقال : مصمص النعاس في عينه ، إذا دبّ .

(٤٤٨)

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

لَيْسَ بَلَدٌ بأحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ ؛ خَيْرُ البِلَادِ ما حَمَلَكَ .

* * *

الشَّرْحُ :

هذا المعنى قد قيل كثيرا ، ومن ذلك قولُ الشاعر :

لا يَصْدِفَنَّكَ عن أمرٍ تُحاوِلُهُ ... فِراقُ أهلٍ وأحبابٍ وجيرانِ[1]

تلقَى بكلِّ دِيارٍ ما حللتَ بها[2] ... أهلاً بأهلٍ وأوطاناً بأوطانِ

وقال شيخى أبو جعفر يحيى بن أبى زيد نقيبُ البصرة :

أنسيْتنِى بلدى وأرضَ عشيرتى ... ونزلتُ مِنْ نُعماكَ أكرمَ منزلِ

وأخذتُ فيكَ مدائحى فكأنَّها ... فى آلِ دُمَّاسٍ مدائحُ جَرْوَلِ

أبو عُبادة البُحترىّ :

فى نعمةٍ أوطنتُها وأقمتُ فى ... أكنافِها فكأنَّنى فى مَنْبِج[3]

ومَنْبِج ، هى مدينة البحترىّ .

أبو تمّام :

كلُّ شِعبٍ كنتم به آلَ وَهْبٍ ... فهو شِعبى وشِعبُ كلِّ أديبِ[4]

---

(١) فى د « فراق ربع » والمعنى عليه يستقيم أيضاً . (٢) فى د « بلاد » وهو مستقيم أيضاً .

(٣) ديوانه ١ : ١٠٣ . (٤) ديوانه ١ : ١٣١ .

إنّ قلبي لكم لكالكبدِ الحرّى وقلبي لغيركم كالقلوبِ

وقد ذهب كثيرٌ من الناس إلى غير هذا المذهب ، فجعلوا بعض البلاد أحقّ بالإنسان من بعض ، وهو الوطن الأوّل ومَسقِط الرأس ، قال الشاعر :

أحبُّ بلادِ الله ما بين مَنْعجٍ إليّ وسَلمى أن يَصُوب سَحابُها[1]
بلادٌ بهـا نِيطتْ عليّ تمائمي وأوّلُ أرضٍ مَسّ جِلدِي تُرابُها

وكان يقال : مَيلُك إلى مولدِك مِن كرَم مَحتِدك .

وقال ابنُ عبّاس : لو قَنِع الناسُ بأرزاقهم قناعتَهم بأوطانهم ، لما اشتكى أحدٌ الرزق .

وكان يقال : كما أنّ لحاضنتِك حقّ لبنِها فلأرضك حُرمةَ وطنِها .

وكانت العربُ تقول : حِماكَ أحمَى لك ، وأهلُك أحفَى بك .

وقال الشاعر :

وكُنّا ألِفناهـــا ولم تكُ مَألفاً وقد يُؤلَفُ الشيءُ الذي ليس بالحسَنْ
كما تُؤلَفُ الأرضُ التي لم يَطِبْ بها هَواءٌ ولا ماءٌ ولكنها وَطَنْ

أعرابيّ :

رملةٌ حضنتني أحشاؤها ، وأرضعتني أحساؤها

كانت العرب إذا سافرتْ حملتْ معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحَه ، وتطرحه في الماء إذا شربته ، وكذلك كانت فلاسفةُ يونان تفعل .

وقال الشاعر في هذا المعنى :

نسيرُ على علمٍ بكُنْهِ مَسيرِنا بعُفّةِ[2] زادٍ في بطون المزاودِ

---

(١) معجم البلدان ٨ : ١٨٠ في ثلاثة أبيات [illegible]

(٢) العفة : بقية اللبن في الضرع بعد أن يحلب أكثر ما به

ولا بدّ في أسفارنا من قبيصةٍ   من التّرب نسقاها لحبّ الموالد

وقالت الهند : حُرمة بلدك عليك كحرمة أبويك ، كان غِذاؤك منهما وأنت جنين وكان غذاؤهما منك .

ومن الكلام القديم : لولا الوطنُ وحبّه لخرِبَ بلد السّوء .

ابن الرّومي :

وحبّبَ أوطانَ الرّجال إليهمُ   مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا
إذا ذَكَروا أوطانَهم ذَكَّرتهم   عهود الصِّبا فيها فحنّوا لذالكا

(٤٤٩)

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ وقَدْ جاءهُ نَعْيُ الأشْتَرِ رَحِمَهُ اللهُ :

مالِكٌ ، وما مالِكٌ ؟ واللهِ لَوْ كانَ جَبَلاً لَكانَ فِنْداً ، أوْ كانَ حَجَراً لَكانَ صَلْداً لا يَرْتَقِيهِ الحافِرُ ، ولا يُوفِي عَلَيْهِ الطّائِرُ .

وقالَ الرّضيّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

والفِنْدُ : المُنْفَرِدُ مِنَ الجِبالِ .

•••

الشّرْحُ :

يقال : إنّ الرّضيّ ختم كتاب نهج البلاغة بهذ الفصل ، وكُتِبَتْ به نُسَخٌ متعدِّدة ثمّ زاد عليه إلى أن وَفى الزّيادات التى نذكرها فيما بعد .

وقد تقدّم ذكرُ الأشتر ، وإنما قال : لو كان جبلا لكان فِنْدا ، لأنّ الفِند قِطعةُ الجبل طُولا ، وليس الفِنْد القِطعةَ من الجبل كيف كانت ، ولذلك قال : لا يرتقيه الحافر ، لأنّ القطعة المأخوذة من الجبل طُولا فى دِقّة لا سبيل للحافر إلى صعودها ، ولو أُخِذت عَرْضا لأمكنَ صُعُودها .

ثم وَصَف تلك القطعة بالعلوّ العظيم ، فقال : ولا يوفى عليه الطائر ، أى لا يصعد عليه ، يقال : أوفى فلانٌ على الجبل : أشرف .

الأصل

وقالَ عليه السلام:

قَليلٌ مَدُومٌ عليه ، خَيْرٌ مِن كَثيرٍ مَمْلولٍ مِنْهُ .

* * *

الشرح :

هذا كلامٌ يُخاطِب به أهلَ العبادة بنحو الصلاة ، قال: قليلٌ من النوافل يدومُ المرء عليه خيرٌ له من كثير منها يَملّه ويتركه .

والجيّد النادر في هذا قولُ رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذا الدِّين متين ، فأوْغِلْ فيه برِفق ، فإنّ المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهرًا أبقى .

وكان يقال : كلّ كثير مملول .

وقالوا : كلّ كثير عدوٌّ للطبيعة .

وقال الشاعر :

إنّي كَثُرتُ عليـــه في زيارته ... فملّ والشيء مملولٌ إذا كَثُرا

ورابَني منه أنّي لا أزالُ أرى ... في طَرْفه قِصَرًا عنّي إذا نَظَرا

الأَصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إذا كانَ فى رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِعَةٌ ، فانتظِرُوا مِنْهُ أَخَوَاتِهَا .

● ● ●

الشَّرْحُ :

مثال ذلك إنسان مستور الحال عنا وأنباؤه وقد صدرتْ عنه حركةٌ تروعُك وتُعجبك : إما حُسنها أو قُبحها ، مثل أن يتصدق بشىء له وَقْع ومقدار من ماله ، أو ينكر منكرا عجز غيرُه عن إنكاره ، أو يسرق أو يزنى ؛ فينبغى أن يُنتظر ويُترقَّب منه أخوات ماوقَع منه ؛ وذلك لأنَّ النفس والطبيعة التى فيه المحرّكة له إلى فعل تلك الحركة ، لابدّ أن تحرّكه إلى فِعل ما يناسبها ، لأنّها مادعته إلى فِعل تلك الحركة لخصوصيّة تلك الحركة ، بل لما فيها من المعنى المقتضى وقوعَها ، وهذا يتعدّى إلى غيرها ممّا يجانسها ، ولذلك لا ترَى أحداً قد اطّلعتَ من حاله يوما على أنّه قد شَرِب الخمر إلّا وسوف تَطّلع فيما بعدُ منه على أنّه يشربُها ، وبالعكس فى الأمور الحسنة لا ترَى أحدا قد صدَر عنه فِعلٌ من أفعال الخير والمروءة إلّا وستَرَاه فيما بعدُ فاعلا نظيره أو مايقاربُه

وشتَم بعضُ سفهاء البَصرة الأحنفَ شتْما قبيحا فحَلُم عنه ، فقيل له فى ذلك ؛ فقال : دعُوه فإنى قد قتلتُه بالحلم عنه ، وسيقتُل نفسَه بجرأته ؛ فلمّا كان بعدَ أيّام جاء ذلك السفيهُ فشتَم زياداً ؛ وهو أميرُ البَصْرة حينئذ ، وظنّ أنه كالأحنف ، فأمر بقطع لسانه ويدِه ،

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ لِغالِبِ بنِ صَعْصَعَةَ أبى الفَرَزْدَقِ فى كلامٍ دارَ بينهما : مافَعَلَتْ إبلُكَ الكَثِيرَةُ ؟ قالَ : ذَعْذَعَتْها الحُقوقُ يا أميرَ المؤمنينَ . فقالَ عليهِ السلامُ : ذلِكَ أحمَدُ سُبُلِها .

• • •

الشرح :

ذعذعتها بالدال المعجمة مكررة فرقتها ، ذعذعته فتذعذع ، وذعذعة السر : إذاعته والذعاذع : الفِرَق المتفرقة ، الواحدة ذعذعة ، وربما قالوا : تفرقوا ذعاذع .

• • •

دخل غالبُ بنُ صعصعةَ بن ناجية بن عقال المُجاشعيّ على أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته ، وغالبٌ شيخٌ كبير ، ومعه ابنُه همّام الفرزدق وهو غلام يومئذ ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : من الشيخ ؟ قال : أنا غالبُ بنُ صعصعة ؛ قال : ذو الإبل الكثيرة ؟ قال : نعم ، قال : مافعلتْ إبلُك ؟ قال : ذعذعتْها الحُقوق ،وأذهبتْها الحمالات والنوائب ؛ قال : ذاك أحمد سُبُلها ؛ مَن هذا الغلامُ معك ؟ قال : هذا ابنى ، قال : ما اسمُه ؟ قال همّام ؛ وقد رويتُه الشعرَ يا أميرَ المؤمنين وكلامَ العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مجيدا ؛ فقال : لو أقرأتَه[1] القرآنَ فهو خيرٌ له ؛ فكان الفرزدقُ بعدُ يروى هذا الحديثَ ويقول : مازالتْ كلمتُه فى نفسى حتى قيّد نفسه بقيد ، وآلى ألا يفكّه حتى يحفظ القرآنَ ، فما فكّه حتى حفظه .

---

(١) فى د « اقرأته » والمعنى عليه يستقيم أيضاً .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مَنِ اتَّجَرَ بغيرِ فقهٍ فقدِ ارتطمَ في الرِّبا .

• • •

الشرح :

يقول : تجَرَ فلانٌ واتَّجر فهو تاجر ، والجمع تَجْرٌ ، مثل صاحب وصَحْب ، والتِّجارة والتَّجْر بمعنًى واحد : إذا أخذتهما مصدرَيْن لاتَّجَر ، وأرض مَتْجَرَةٌ يُتَّجر فيها .

وارتطم فلانٌ في الوَحْل والأمر إذا ارتبك فيه ولم يقدر على الخروج منه ، وإنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ مسائلَ الرِّبا مُشْتَبِهة بمسائل البَيْع ، ولا يُفرِّق بينهما إلّا الفقيه حتّى إنّ العظماء من الفقهاء قد اشتبَهَ عليهم الأمرُ فيها فاختلفوا فيها أشدَّ اختلاف ؛ كبَيْع لحم البقر بالغنم متفاضلا ، هل يجوز أم لا ؟ وكذلك لَبَن البقر بلَبَن الغَنَم ، وجلود البَقَر بجلود الغَنَم . فقال أبو حنيفة : اللُّحوم والألبان والجلودُ أجناسٌ مختلفة ، فيجوز بيعُ بعضها ببعض متفاضِلا ، نظرا إلى أنّ أصولَها أجناسٌ مختلفة ، والشافعيّ لا يُجيزُ ذلك ويقول : هو ربًا ، وكذلك القول في مُدِّ عَجْوة ودِرْهم بمُدَّيْ عجوة . وكذلك بَيْع الرُّطَب بالتَّمر متساوياً كَيْلا ، كلّ ذلك يقول الشافعي : إنّه ربًا ، وأبو حنيفة يُخرجه عن كونه ربًا ، ومسائلُ هذا الباب كثيرة .

الأصل :

وقالَ عليه السلامُ .

مَنْ عظَّمَ صِغارَ المصائبِ ؛ ابتلاهُ اللهُ بِكبارِها .

***

الشرح :

إنما كان كذلك لأنه يشكو الله ويتسخّط قضاءه ، ويجحد النعمة في التخفيف عنه ، ويدّعي فيما ليس بمجحِف به من حوادث الدهر أنه مجحِف ، ويتألّم بين الناس ؛ فلذلك أكثرت تعقيبه نكبته ، ومَن فعلَ ذلك استوجب السّخطَ من الله تعالى ، وابتُليَ بالكثير من النّكبة ، وإنما الواجب على من وقع في أمر يشُق عليه ، ويتألّم منه وينال من نفسه ، أو من ماله نَيْلاً ما ، أن يحمد الله تعالى على ذلك ، ويقول : لعلّه قد دفع بهذا عني ما هو أعظمُ منه ، ولئن كان قد ذهب من مالي جزء فلقد بقيَ أجزاء كثيرة .

وقال عروةُ بنُ الزبير لمّا وقعت الأكلة في رِجله فقطعها ومات ابنُه : اللهمّ إنّك أخذتَ عضواً وتركتَ أعضاء ، وأخذتَ ابناً وتركتَ أبناء ، فليَهْنِك ؛ لئن كنتَ أخذْتَ لقد أبقيت ، ولئن كنتَ ابتَلَيْتَ لقد عافَيْتَ .

(٤٥٥)

الأصلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مَنْ كَرُمَتْ عليهِ نَفْسُهُ ، هانَتْ عليهِ شَهْوَتُهُ .

***

الشرحُ :

قد تقدم مثلُ هذا المعنى مراراً ، ومن الكلام المشهور بين العامة : قبحَ اللهُ أمراً تغلب شهوتُه على نخوته .

والجيِّد النادر في هذا قولُ الشاعر :

فإنكَ إنْ أعطيْتَ بطنَكَ سُؤْلَهُ وفَرْجَكَ نالا مُنتهى الذمِّ أجمعا[1]

(١) لحاتم الطائي ، ديوانه ١١٤

(٤٥٦)

الأصـل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

ما مَزَحَ امرؤٌ مَزْحَةً، إلاّ مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً .

* * *

الفـرع :

قد تقدَّم القولُ في المزاح

وكان يقال : خيرُ المزاحِ لا يُنالُ ، وشرُّه لا يُقالُ .

وقيل : إنما سُمّيَ المزاحُ مزاحاً لأنه أُزيحَ عن الحقِّ .

الأصْـلُ :

وقال عليهِ السلامُ :

زُهْدُكَ في رَاغِبٍ فيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ ، ورَغْبَتُكَ في زاهِـدٍ فيكَ ذُلُّ نَفْسٍ

* * *

الشَّـرْحُ :

أى نقصانُ حظٍّ لك ، وذلك لأنَّه ليس من حق مَنْ رَغِبَ فيك أن يزهَد فيه لأنّ الإحسان لا يُكافأ بالإساءة ، وللقصد حُرْمة ، وللآمل ذمام ، ومن طلب مودّتك فقد قَصَدَك ، وأمَّلك ، فلا يجوزُ رفضُه واطِّراحُـه ، والزّهدُ فيه ، وإذا زهدت فيـه فذلك لنُقصانِ حظّك لا لنقُصان حظّه ، فأمّا رَغبتُك في زاهدٍ فيك فذِلّة ، لأنّك تطرح نفسَك لمن لا يعبأ بك ، وهذا ذُلٌّ وصَغار .

وقال العباسُ بنُ الأحنف فى نسيبه ، وكان جيّدَ النّسيب :

مازلتُ أزهد فى مودّة راغبٍ ... حتى ابْتُليتُ برغبةٍ فى زَاهِـدِ

هذا هو الداء الذى ضَاقَت به ... حِيَلُ الطّبيب وطَال يأسُ العائِد

أى ماولتُ عزيزا حتى أذلّنى الحب :

الأصل :

وقال عليه السلام :

ما زالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً منا أهلَ البيتِ حتى نشأ ابنُهُ المشئومُ عبدُ الله .

• • •

الشرح :

ذكر هذا الكلامَ أبو عُمَرَ بنُ عبد البر في كتاب " الاستيعاب " عن أميرِ المؤمنين عليه السلام في عبد الله بن الزبير، إلا أنه لم يذكر لفظة المشئوم .

• • •

[عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره]

ونحن نذكر ما ذكره ابن عبد البرّ في ترجمة عبد الله بن الزبير ، فإنّ هذا المصنِّفَ يذكر مُجْمَلَ أحوالِ الرّجل دون تفصيلها ، ثمّ نذكر تفصيل أحواله من مواضعَ أخرى .

قال أبو عمرَ رحمه الله : يُكنى(١) عبد الله بن الزبير أبا بكر ، وقال بعضُهم : أبا بكير ، ذكر ذلك أبو أحمد الحاكم في كتابه في الكُنَى . والجمهور من أهل السِّيَر وأهلِ الأثر على أنّ كُنيتَه أبو بكر ، وله كنيةٌ أخرى أبو خُبَيْب بابنه خُبَيب

---

(١) الاستيعاب ٩٠٤ وما بعدها ، طبعة نهضة مصر

وكان أسَنَّ ولده ، وخُبَيب هو صاحبُ عمر بن عبد العزيز الذي مات من ضربه إذ كان والياً على المدينة للوليد ، وكان الوليدُ أمَره بضربه فمات من أذيّة ذلك فوداه عمرُ بعدُ .

قال أبو عمر : (١) وسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله باسم جدّه ، وكنّاه بكُنية جدّه عبد الله أبي بكر (١) ، وهاجرت أمّه أسماء من مكّة إلى المدينة وهي حاملٌ به ، فولدته في سنة اثنتين من الهجرة لعشرين شهراً من التاريخ ، وقيل : وُلد في السنة الأولى ، وهو أوّل مولود وُلد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة .

وروى هشام بنُ عروة عن أسماء قالت : حملتُ بعبد الله بمكّة ، فخرجتُ وأنا مُتِمٌّ (٢) فأتيتُ المدينة فنزلتُ بقباء ، فولدته بقباء ، ثم أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله فوضعته في حجره ، فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أوّل شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ثمّ حنّكه بالتمرة ، ثمّ دعا له وبارك عليه وهو أوّل مولود وُلد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة ، قال : ففرحوا به فرحاً شديداً ، وذلك أنّهم قد كان قيل لهم : إنّ اليهود قد سحرتكم فلا يُولد لكم .

قال أبو عمر : وشهد عبدُ الله الجمَل مع أبيه وخالته ، وكان شهماً ذكراً ذا أنفة ، وكان له لَسَنٌ وفصاحة ، وكان أطلسَ لا لحية له ولا شعرَ في وجهه ، وكان كثيرَ الصلاة ، كثيرَ الصيام ، شديدَ البأس ، كريمَ الجدّات والأمّهات والخالات ، إلّا أنّه كان فيه خلال لا يَصلُح معها للخلافة ، فإنّه كان بخيلاً ضيّق العَطَن سيّء الخلق حسوداً ، كثيرَ الخلاف ، أخرج محمّدَ بنَ الحنفيّة من مكّة والمدينة ، ونفى عبدَ الله ابنَ عبّاس إلى الطائف .

(١ ـ ١) عبارة الاستيعاب : « وكنّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم جدّه أبي أمه أبي بكر الصديق ، وسمّاه باسمه »

(٢) المتم : التي اكتملت مدة حملها

وقال عليٌّ عليه السلام في أمره : مازال الزبيرُ يُعَدُّ منا أهلَ البيت حتى نشأ ابنُه عبدُ الله . قال أبو عمر : وبُويع له بالخلافة سنة أربع وستين في قول أبي مَعشر .

وقال المدائنيّ : بُويع له بالخلافة سنة خمس وستين .

وكان قبلَ ذلك لا يدّعَى باسم الخلافة ، وكانت بَيعته بعد موتِ معاوية بن يزيدَ ابن معاوية ، على طاعتِه أهل الحجاز واليمن والعراق وخُراسانَ ، وحجّ بالناس ثمانيَ حِجَج ، وقُتل في أيام عبدِ الملك بن مَرْوان يوم الثلاثاء لثلاثِ عشرة بقين من جُمادى الأولى ؛ وقيل : من جُمادى الآخرة سنةَ ثلاثٍ وسبعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنةً ؛ وصُلب بمكّة بعد قتله ، وكان الحجّاج قد ابتدأ بحصاره من أول ليلة من ذى الحِجّة سنةَ اثنتين وسبعين ، وحجّ الحجّاج بالناسِ في ذلك العام ، ووَقف بعرَفة وعليه درْع ومِغفَر ، ولم يَطُوفوا بالبَيْتِ في تلك السنة ، فحصَره ستّة أشهر وسبعة عشرَ يوما إلى أن قتَله .

قال أبو عمر : فرَوى هشامُ بنُ عروة عن أبيه ، قال : لما كان قبلَ قتْل عبد الله بعشرةِ أيام دخَل على أمّه أسماءَ بنت أبي بكر وهي شاكية ، فقال : كيف تجدينَك يا أمّه ؟ قالت : ما أجدُني إلا شاكية . فقال لها : إنّ في الموت لراحة ؛ فقالت : لعلّك تمنّيته لي ، وما أحبُّ أن أموتَ حتى يأتىَ عليَّ إحدَى حالتَيك ، إمّا قُتلت فأحتسبَك ، وإما ظفِرتَ بعدوّك فقرّت عيني .

قال عروة : فالتفتَ عبدُ الله إليّ وضَحِك ، فلما كان اليوم الذى قُتل فيه دخَل عليها في المسجد ، فقالت : يا بُنيّ لا تقبل منهم خُطّة تخاف فيها على نفسك الذُّلّ [مخافة القتل](١) ؛ فواللهِ لضربةُ سيفٍ في عزٍّ خيرٌ من ضربةِ سَوْطٍ في مَذَلّة ، قال : فخرج

---

(١) من د .

عبدُ الله وقد نُصب له مِصراعٌ عند الكعبة، فكان يكون تحته، فأتاه رجلٌ من قريش فقال له: ألا نفتح لك بابَ الكعبة فتدخلها؟ فقال: والله لو وجدوكم تحتَ أستارِ الكعبة لقتلوكم عن آخرِكم، وهل حُرمةُ بيتٍ إلا كحرمة الحرَم، ثم أنشد:

ولستُ بمُبتاعِ الحياةِ بسُبّةٍ ... ولا مُرتقٍ مِن خشيةِ الموت سُلَّما

ثمّ شدّ عليه أصحابُ الحجاج، فسأل عنهم، فقيل: هؤلاء أهلُ مِصر، فقال لأصحابه: اكسروا أغمادَ سيوفِكم، واحملوا معي، فإني في الرَّعيل الأول، ففعلوا، ثمّ حمَل عليهم وحمَلوا عليه، فكان يضرب بسيفين، فلحِق رجلا فضرَبه فقطع يدَه، وانهزموا وجعل يضربُهم حتى أخرجهم من باب المسجد، وجعل رجلٌ منهم أسودُ يسبّه، فقال له: اصبر يا ابن حام، ثم حمل عليه فصرَعه، ثم دخل عليه أهلُ حِمص من باب بني شَيْبة فسأل عنهم، فقيل: هؤلاء أهلُ حِمص، فشدّ عليهم وجعَل يضربهم بسيفه حتى أخرَجهم من المسجد، ثم انصرف وهو يقول:

لو كان قِرْني واحداً أرْدَيته ... أورَدْتُه الموتَ وقد ذَكَّيتُه

ثمّ دخل عليه أهلُ الأُرْدُنّ من باب آخر، فقال: مَن هؤلاء؟ قيل: أهلُ الأُرْدُنّ، فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجَهم من المسجد، ثمّ انصرف وهو يقول:

لا عهد لي بغارةٍ مِثل السَّيْلْ ... لا يَنجلي قَتَمُها حتى اللَّيْلْ

فأقبل عليه حجَرٌ من ناحية الصفا فضربه بين عينيه، فنكّس رأسَه وهو يقول:

ولسنا على الأعقاب تَدمَى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا تقطرُ الدِّما(١)

---

(١) للحصين بن الحمام المرى من الحماسة ١٢

أنشدَه متمثّلا ، وحَمَاه مَوْلَيان له ، فكان أحدهما يرتجز فيقول :

* العبدُ يحمِي ربَّه ويَحتَمِي *

قال : ثمّ اجتمعوا عليه ، فلم يزالوا يضربونه ويضربُهم حتى قتلوه ومولييْه جميعا ، ولمّا قُتِل كبّر أهلُ الشام ، فقال عبد الله بن عمر : المكبِّرون يومَ وُلِد خيرٌ من المكبِّرين يوم قُتل .

قال أبو عمر : وقال يعلى بنُ حَرْملة : دخلتُ مكّة بعد ما قُتِل عبدُ الله بنُ الزّبير بثلاثة أيام ، فإذا هو مصلوب ، فجاءت أمّه أسماء ، وكانت امرأةً عجوزاً طويلة مكفوفة البَصَر تقاد ، فقالت للحجّاج : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال لها المنافق ؟! قالت : والله ما كان منافقا ، ولكنه كان صوّاما قوّاما برّا ، قال : انصرفي فإنك عجوز قد خرفتِ . قالت : لا والله ما خرِفتُ ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « يخرجُ من ثقيف كذّاب ومبير[1] » ، أمّا الكذّاب فقد رأيناه تعني المختار ، وأما المُبير فأنت .

قال أبو عمر : وروَى سعيد بنُ عامر الخزّاز عن ابن أبي مُليكة ، قال : كنت الآذن لمن بشّر أسماء بنزول ابنها عبد الله من الخشبة ، فدعتْ بمركن[2] وشبّ يمانٍ ، فأمرتني بغسله ، فكنّا لا نتناول منه عضوا إلا جاء معنا ، فكنّا نغسل العضو ونَدعه في أكفانه ونتناول العضو الذي يليه فنغسله ، ثم نضعه في أكفانه ، حتى فرغنا منه ، ثمّ قامت فصلّت عليه ، وقد كانت تقول : اللّهم لا تمتني حتى تقرّ عيني بجثّته ، فلما دفنته لم يأت عليها جمعة حتى ماتت .

قال أبو عمر : وقد كان عُروة بنُ الزبير رَحَلَ إلى عبد الملك ، فرَغِب إليه في إنزال عبد الله من الخشبة ، فأسعفه بذلك ، فأنزل .

---

(١) المبير : المهلك (٢) المركن : الإناء

قال أبو عمر : وقال عليّ بن مجاهد : قُتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلا ، إنّ منهم لَمَنْ سالَ دمُه في جوف الكعبة .

قال أبو عمر : ورَوَى عيسى عن أبي القاسم ، عن مالك بن أنس ، قال : كان ابن الزبير أفضل من مَرْوان وأولَى بالأمر منه ومن أبيه ، قال وقد روَى عليّ بنُ المَدائنيّ ، عن سُفيان بن عُيينة ، أن عامر بن عبد الله بن الزبير مكث بعد قتل أبيه حَوْلا لا يسأل الله لنفسه شيئاً إلا الدعاء لأبيه .

قال أبو عمر : ورَوَى إسماعيل بن عليّة ، عن أبي سُفيان بن العلاء ، عن ابن أبي عَتيق ، قال : قالت عائشةُ : إذا مَرّ ابنُ عمرَ فأرُونيه . فلما مَرّ قالوا : هذا ابنُ عمر فقالت : يا أبا عبد الرحمن ، ما مَنعك أن تَنهاني عن مَسيري ؟ قال : رأيتُ رجلا قد غَلَب عليكِ ، ورأيتكِ لا تُخالفينه ـ يعني عبد الله بن الزبير ـ فقالت : أما إنك لو نَهيتَني ما خرجتُ .

* * *

فأما الزبير بن بكار فإنه ذكر في كتاب « أنساب قريش » من أخبار عبد الله وأحواله جملة طويلة نحن نختصرها ، ونذكر اللُّباب منها ، مع أنه قد أطنب في ذكر فضائله والثناء عليه ، وهو معذورٌ في ذلك ، فإنه لا يلام الرجلُ على حُبِّ قومه ، والزبير بن بكار أحدُ أولاد عبد الله بن الزبير ، فهو أحقّ بتقريظه وتأبينه .

قال الزبير بن بكار : أمه أسماءُ ذات النِّطاقين بنتُ أبي بكر الصِّدّيق ، وإنما سُمّيتْ ذاتَ النِّطاقين لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر ، لم يكن لسُفرتهما شِناق[1] ، فشقَّتْ أسماءُ نطاقها فشَنَقَتْها به ، فقال لها رسول الله

---

(١) الشناق : الحبل .

صلى الله عليه وآله : قد أبدلكِ اللهُ بنطاقِك هذا نطاقَين في الجنة ، فسُمِّيتْ ذاتَ النِّطاقين . قال : وقد روَى محمد بنُ الضحاك عن أبيه أن أهل الشام كانوا وهم يقاتلون عبد الله بمكة يصيحون : يابن ذات النِّطاقين ، يظنونه عيبًا ، فيقول ابنها : والإله ، ثمّ يقول : إنّي وإياكم لكما قال أبو ذؤيب :

وعـــــيّرني الواشُونَ أنّي أحبُّها وتلكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها [1]

فإنْ أعتذِرْ عنهـــا فإنّي مكذَّبٌ وإنْ تعتذِر يُرْدَدْ عليكَ اعتِذارُها

ثمّ يُقبِل على ابن أبي عتيق ـ وهو عبدُ الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ـ فيقول : ألا تسمعُ يابنَ أبي عتيق !

قال الزبير : وزعموا أنّ عبد الله بنَ الزبير لمّا وُلِد أُتِيَ به رسولَ الله صلّى الله عليه وآله ، فنظر في وجهه وقال : « أهوهو ! ليمنعَنَّ البيتَ أو ليموتَنّ دونه » .

وقال العُقَيليّ في ذلك :

بَرٌّ تبـــيَّنَ ماقال الرسولُ له وذو صلاةٍ بصاحي وجهه عَـــلَمُ [2]

حمامةٌ من حَمامِ البيتِ قاطِنَـــةٌ لا تَنقِمُ الناسَ إن جارُوا وإن ظلَموا

قال : وقد روَى نافعُ بن ثابت ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله دخل على أسماء حينَ وَلدت عبدَ الله فقال : أهوهو ! فتركتْ أسماء رضاعَه ، فقيل لرسول الله صلّى الله عليـه وآله : إنّ أسماء تركتْ رضاعَ عبدِ الله لمّا سمعتْ كلمتك ، فقال لها : « أرضعيه ولو بماء عينَيْكِ ، كبشٌ بين ذئابٍ عليها ثيابٌ ، ليمنعَنّ الحرَمَ أو ليموتَنّ دونه » .

قال : وحدّثني عمّي مُصعَب بن عبد الله ، قال : كان عبدُ الله بنُ الزبير يقول : هاجرتْ بي أمّي في بطنها ، فما أصابها شيءٌ من نصَب أو مخمصة [3] إلّا وقد أصابني .

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٢١ ، قال : ظاهر عنك ، أي لا يعلق بك ، أي يظهر عنك ويبعد

(٢) رواية د : « يريغ ذكر ما قال الرسول له » (٣) المخمصة : الجوع

قال: وقالت عائشةُ : يارسولَ الله ، ألا تُكَنِّينى ؟ فقال : تَكَنَّىْ باسمِ ابنِ أختِك عبد الله ، فكانت تُكنَى أمَّ عبدِ الله .

قال : وروى محمدُ بن القاسم ، عن عمر بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، قال : احتجمَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ، ثمّ دفع إلىّ دمه ، فقال : اذهب به فوَارِه حيث لا يَرَاه أحد ، فذهبتُ به فشربتُه ، فلمّا رجعتُ قال : ماصنعت ؟ قلتُ : جعلتُه في مكان أظنّ أنه أخفى مكانٍ عن الناس ، فقال : فلعلك شربته ؟ قلتُ : نعم .

قال : وقال وَهْب بنُ كَيْسان : أوّلُ من صَفَّ رجليه في الصّلاة عبدُ الله بن الزبير فاقتدى به كثيرٌ من العباد ، وكان مجتهدا .

قال : وخطب الحجّاج بعد قتله زوجته[1] بنت منظور بن زبّان بن سيّار الفزاريّة ، وهي أمّ هاشم بن عبد الله بن الزبير ، فقمعت ثنيّتيها وردّته ، وقالت : ماذا يريدُ إلى دَلْفاء تُكْلَى حرّى ! وقالت :

أسعد عائذ بيت الله تخطبنى ... جهلا جهلتَ وغِبُّ الجهل مذمومُ

فاذهب إليك فإنى غير ناكحةٍ ... بعد ابن أسماء ما استنّ الدّياميمُ

من تحمل الغيرَ مُصفرًّا جحافلُه ... مثل الخواذ وفضل الله مقسومُ !

قال : وحدّثنى عبدُ الملك بنُ عبد العزيز ، عن خاله يوسف بن الماجشون ، قال : قسمَ عبدُ الله بنُ الزّبير الدهرَ على ثلاث ليال : فليلة هو قائم حتّى الصباح ، وليلة هو راكع حتّى الصباح ، وليلة هو ساجد حتّى الصباح .

قال : وحدّثنا سليمان بنُ حرْب بإسنادٍ ذكره ورفعه إلى مُسلِم المكّى ، قال: ركع عبدُ الله بنُ الزبير يوما ركعةً ، فقرأتُ البقرة وآل عمران والنّساء والمائدة ، ومارفع رأسه .

---

(١) خ : بنت رحلة .

قال : وقد حدّث من لا أحصيه كثرةً من أصحابنا: أنّ عبدَ الله كان يواصِل الصّوم سَبْعا ، يصومُ يومَ الجمعة فلا يُفطِر إلّا يومَ الجمعة الآخر ، ويَصُوم بالمدينة فلا يُفطِر إلا بمكّة ، ويصوم بمكّة فلا يُفطِر إلّا بالمدينة .

قال : وقال عبد الملك بنُ عبد العزيز : وكان أوّل ما يُفطِر عليـه إذا أفطرَ لبَن لِقْحة بسَمْن بَقَر ، قال الزبير : وزادَ غيرُه : وصبِر .

قال : وحدّثني يعقوب ابنُ محمّد بن عيسى بإسنادٍ رَفَعه إلى عُرْوَة بن الزّبير ، قال : لم يكن أحــدٌ أحبَّ إلى عائشةَ بعد رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وبعد أبي بكر من عبدِ الله بن الزّبير .

قال : وحدّثني يعقوبُ بنُ محمّد بإسنادٍ رفعه إلى عبدِ الرحمن بنِ القاسم ، عن أبيه قال : ما كان أحدٌ أعلَم بالمناسِك من ابن الزبير .

قال : وحــدّثني مُصعب بنُ عثمان ، قال : أوصتْ عائشةُ إلى عبدِ الله بن الزبير وأوصَى إليه حكيمُ بنُ حِزام وعبدُ الله بنُ عامر بن كُرَيز والأسوَدُ بن أبي البَخْتَرِيّ وشَيبة بنُ عثمان والأسوَد بنُ عوف .

قال الزبير : وحدّثني عمرُ بنُ قيس ، عن أمّه قالت : دخلتُ على عبد الله بنِ الزّبير بيتَه ، فإذا هو قائمٌ يصلّي ، فسقطتْ حيّة من البيت على ابنـه هاشم بنِ عبـد الله فتطوّقت[1] على بطنِه وهو نائمٌ ، فصاحَ أهلُ البيت : الحيّة الحيّة ، ولم يزالوا بها حتّى قتلوها وعبدُ الله قائمٌ يصلّي ما التفت ولا عَجِل ، ثمّ فرَغ من صلاته بعد ما قُتِلت الحيّة فقــال : ما بالكم ؟ فقالت أمّ هاشم : إي رَحِمَك الله ، أرأيتَ إنْ كنّا هُنّا عليك أيَهُون عليك ابنُك ! قال : وَيحَكِ ! وما كانت التِفاتةٌ لو التفتّها مُبْقِيـة من صلاتي .

---

(١) ا ، د ، هـ « فتطوقت » والمعنى عليه يستقيم .

قال الزبير : وعبدُ الله أوّلُ من كسا الكعبةَ الدّيباج ، وإن كان ليُطَيِّبها حتى يجد ريحَها من دَخَل الحَرَم . قال : ولم تكن كِسْوة الكعبة من قبله إلّا المُسُوح[١] والأنطاع ، فلمّا جرّد المهدىّ بنُ المنصور الكعبة ، كان فيما نَزَع عنها كِسْوة مِن ديباج مكتوب عليها : لعبد الله أبى بكر أمير المؤمنين . قال : وحدّثنى يحيى بنُ معين بإسناد رَفَعه إلى هشام بن عروة ، أنّ عبدَ الله بنَ الزبير أُخِذ من بين القتلى يومَ الجمل وبه بِضعٌ وأربعون طَعْنةً وضَرْبة . قال الزبير : واعتلّت عائشةُ مرّةً ، فدخل عليها بنو أختها أسماء: عبدُ الله وعروةُ والمنذر ، قال عروة : فسألناها عن حالها ، فشكَتْ إلينا نَهْكَة من عِلّتها فعزّاها عبدُ الله عن ذلك ، فأجابته بنحو قولها ، فعدّلها بالكلام ، فعادت له بالجواب ، فصمتَ وبَكى ، قال عروة : فما رأينا متحاورَيْن من خَلْق الله أبلغَ منهما قال : ثم رفعت رأسَها تنظر إلى وجهه ، فأبهتتْ لبكائه ، وبكَتْ ثم قالت : ما أحقّنى منك يا بنىّ ، ما أرى . فما أعلم بعد رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وبعد أبوىّ أحداً أنزل عندى منزلتَك ، قال عروة . وماسمعتُ عائشةَ وأمّى أسماء تدْعُوان لأحدٍ من الخلق دعاءَهما لعبدِ الله ، قال : وقال موسى بن عقبة : قرأتُ على عامرِ بنِ عبد الله بن الزبير وصيّةَ عبدِ الله بنِ مسعود إلى الزّبير بن العوّام وإلى عبد الله بنِ الزّبير مِن بعده ، وأنّهما فى وصيّتى فى حِلّ وبِلّ[٢] .

قال : وروَى أبو الحسن المدائنىّ ، عن أبى إسحق التميمىّ ، أنّ معاويةَ سَمِع رجلا يُنشِد :

ابنُ رُقاشٍ ماجِــدٌ سَمَيْدَعُ يأبَى فيُعطِى عن يدٍ أو يَمنَعُ

---

(١) المسح : الكساء من الشعر ؛ وجمعه مسوح
(٢) فى د « وتل » تصحيف . والبل : المباح ؛ قالوا : هو لك حل وبل .

فقال : ذلك عبدُ الله بنُ الزبير ؛ وكان عبدُ الله من جُمْلة النفر الذين [1] أمرهم عثمان بنُ عفان أن ينسخوا القرآنَ في المصاحف .

قال : وحدثنا محمد بنُ حسن ، عن نوفل بن عُمارة ، قال سُئل سعيدُ بن المسيّب عن خُطباء قُرَيش في الجاهليّة ، فقال : الأسود بن المطّلب بن أسد ، وسُهَيل بن عمرو . وسُئِل عن خُطبائهم في الإسلام ، فقال : معاوية وابنُه ، وسعيدُ بن العاص وابنُه ، وعبدالله ابن الزبير .

قال : وحدثنا إبراهيمُ بنُ المنذر ، عن عثمانَ بن طلحة ، قال : كان عبدُ الله بنُ الزبير لا يُنازَع في ثلاثٍ : شجاعة ، وعبادة ، وبلاغة .

قال الزبير : وقال هشام بن عروة : رأيتُ عبدَ الله أيامَ حِصاره والحجرَ من المنجنيق يهوى حتى أقول : كاد يأخذ بلحيته ، فقال له أبي : أي ابن أمّ ، والله إنْ كادَ ليأخذُ بلحيتك ، فقال عبدُ الله : دعْني يا ابنَ أم ، فوالله ما هي إلا هَنَةٌ حتى كأنَّ الإنسانَ لم يكن ، فيقول أبي وهو يُقبِل علينا بوجهه : والله ما أخشى عليك إلّا من تلك الهَنَة .

قال الزبير : فذكر هشامٌ ، قال : والله لقد رأيتُه يُرْمَى بالمنجَنيق فلا يلتفت ولا يُرْعَد صوتُه ؛ وربما مرّت الشَّظيّة منه قريباً من نحره .

وقال الزّبير : وحدثنا ابنُ الماجِشون ، عن ابن أبي مُليكة عن أبيه قال : كنتُ أطوفُ بالبَيْت مع عُمَرَ بنِ عبد العزيز ، فلما بلغتُ الملتزم تخلّفتُ عنده أدعو ثم لحقتُ عمر ، فقال لي : ما خلفك ؟ قال : كنتُ أدعو في موضع رأيتُ عبدَ الله بنَ الزبير فيه يدعو ، فقال : ما تترك تحَنُّنَك على ابنِ الزبير أبدًا ! فقلتُ : والله ما رأيتُ

---

(١) ب : « الذي » .

أحداً أشدَّ جلداً على لحم، ولحماً على عظم من ابن الزبير؛ ولا رأيتُ أحداً أثبتَ قائماً، ولا أحسنَ مصلّياً من ابنِ الزبير، ولقد رأيتُ حجَراً من المنجنيق جاء فأصابَ شُرْفةً من المسجد، فمرّت قُذاذَةٌ منها بين لِحْيته[1] وحلقه، فلم يزُل من مقامه، ولا عرفنا ذلك في صوته، فقال عمر: لا إله إلا الله، لجاد ما وصفْت!

قال الزبير: وسمعتُ إسماعيلَ بنَ يعقوبَ التيميَّ يحدِّث، قال: قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مُلَيكةَ: صِفْ لنا عبدَ الله بنَ الزبير، فإنّه ترمرَم على أصحابنا فتَغَشْمَروا عليه، فقال: عن أيِّ حاليه تسأل؟ أعن دِينه، أم عن دُنياه؟ فقال: عن كلٍّ، قال: والله ما رأيتُ جلداً قطّ رُكّب على لحم ولا لحماً على عصَب، ولا عصَباً على عظم، مثل جِلده على لحمه ولا مثل لحمه على عصَبه، ولا مثل عصبه على عظمِه؛ ولا رأيتُ نفساً رُكّبت بين جنبين مثل نفسٍ له رُكّبت بين جنبين، ولقد قام يوماً إلى الصلاة، فمرّ به حجرٌ من حجارة المنجنيق؛ بلَبِنة مطبوخة من شُرُفات المسجدِ، فمرّت بين لحْيَيْه وصدرِه، فوالله ماخشع لها بصرُه، ولا قطَع لها قراءته، ولا ركع دونَ الركوع الذي كان يركع، ولقد كان إذا دَخَل في الصلاة خرَج من كلّ شيء إليها؛ ولقد كانَ يَركعُ في الصلاة فيقَعُ الرَّخَم على ظهرِه ويسجُد فكأنّه مطروح.

قال الزبير: وحدّث هشامُ بنُ عُرْوَة، قال: سمعتُ عمّي، يقول: ما أبالي إذا وجدتُ ثلثمائة يَصبِرون صبْري، لو أجلَب عليَّ أهلُ الأرض.

قال الزبير: وقَسَم عبدَ الله بن الزبير ثُلُثَ ماله وهو حيّ؛ وكان أبوه الزّبير قد أوصَى أيضاً بثُلُثِ مالِه. قال: وابنُ الزبير أحد الرّهْط الخمسة الّذين وقَع اتفاق أبي موسى الأشعريّ وعمرو بن العاص على إحضارِهم، والاستشارة بهم في يوم التحكيم

---

(١) ق: «لحيه».

وهم : عبدُ الله بن الزبير ، وعبدُ الله بن عمرو ، وأبو الجهم بن حُذيفة ، وجُبير بن مُطْعِم ، وعبدالرحمن ابن الحارث بن هشام .

قال الزبير : وعبدُ الله هو الذى صلّى بالناس بالبَصرة لمّا ظَهَر طَلْحة والزّبير على عثمانَ بن حَنيف ، بأمرٍ منهما له . قال : وأعطَت عائشةُ من بَشّرَها بأنّ عبد الله لم يُقتَل يومَ الجمَل عَشرةَ آلافِ درهم .

قلتُ : الذى يَغلِبُ على ظنّي أنّ ذلك كان يوم إفريقيّة ، لأنّها يومَ الجمل كانت فى شُغلٍ بنفسها عن عبدِ الله وغيره .

قال الزبير : وحدّثنى علىُّ بنُ صالح مرفوعاً أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله كلّم فى صِبْية ترعرعوا ، منهم عبدُ الله بنُ جعفر ، وعبدُ الله بن الزبير ، وعُمَر بن أبى سَلَمَة ، فقيل : يارسُولَ الله ، لو بايعتَهم فتصيبَهم بركتُك ، ويكونَ لهم ذِكْر ! فأُتِيَ بهم فكأنّهم تَكَعْكَعوا حين جِيء بهم إليه ، واقتحم ابنُ الزبير ، فتبسّم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ، وقال : إنه ابنُ أبيه ! وبايَعَهم .

قال : وسُئِل رأسُ الجالوتِ : ما عندكم من الفِراسة فى الصِّبيان ؟ فقال : ماعندنا فيهم شيء ، لأنّهم يُخلَقون خَلقاً بعد خَلق ؛ غيرَ أنّا نرمُقهم ، فإنْ سَمِعنا منهم من يقول فى لَعِبه : من يكون معى ؟ رأيناها همّة وحَنْواً صدق فيه ، وإن سمعناه يقول : مع مَن أكون ؟ كرِهناها منه . قال : فكان أوّلَ شيء سُمِع من عبدِ الله بنِ الزبير أنّه كان ذاتَ يوم يلعب مع الصّبيان ، فمرّ رجلٌ ، فصاح عليهم ، ففرّوا ، ومشى ابنُ الزبير القهقرى ، ثم قال : ياصبيان ؛ اجعلونى أميرَكم ، وشدّوا بنا عليه . قال : ومرّ به عمرُ بنُ الخطّاب وهو مع الصّبيان ، ففرّوا ووقف ، فقال له[1] : لمَ لمْ تفرّ مع أصحابك ؟ فقال : لم أُجرِم فأخافَك ، ولم تكن الطريق ضيّقة فأوسّع عليك !

وروَى الزّبير بنُ بكّار ، أنّ عبدَ الله بن سَعْد بن أبى سَرْح غزا إفريقيّة فى خلافة

---

(١) فى د : « فقال له عمر » ؛ وهو مستقيم أيضا .

عثمان ، فقتل عبدُ الله بنُ الزبير جرجيرَ أميرَ جيشِ الرُّوم ، فقال ابنُ أبى سَرْح : إنّى موجِّه بشيراً إلى أمير المؤمنين بما فتح علينا ، وأنتَ أولى مَن هاهنا ، فانطلقْ إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر ، قال عبدُ الله : فلما قدمتُ على عثمان أخبرته بفتح الله وصُنعه ونصره ، ووصفتُ له أمرَنا كيف كان ، فلما فرغت من كلامى قال : هل تستطيعُ أن تؤدّىَ هذا إلى الناس ؟ قلت : وما يَمنعنى من ذلك ! قال : فاخرج إلى النّاس فأخبرهم قال عبد الله : فخرجتُ حتى جئتُ المنبر فاستقبلتُ الناسَ ، فتلقّانى وجهُ أبى ، فدخلتنى له هَيْبة عرَفها أبى فى وَجْهى ، فقبَض قبضةً من حَصْباء وجَمعَ وجهَه فى وجهى وهمّ أن يحصِبَنى فاعتزمتُ ، فتكلّمتُ

فزعموا أنّ الزبير لما فرَغ عبدُ الله من كلامه قال : والله لكأنّى أسمع كلامَ أبى بكر الصدّيق : من أراد أن يتزوّج امرأةً فلينظرْ إلى أبيها وأخيها فإنّها تأتيه بأحدِهما .

قال الزّبير : ويلقّب عبدُ الله بعائذ البيت ، لاستعاذته به .

قال : وحدّثنى عمّى مُصعب بنُ عبد الله ، قال : إنّ الذى دعا عبدَ الله إلى التعوّذ بالكعبة شىء سَمِعه من أبيه حين سار من مكّة إلى البصرة ، فإنّ الزبير التفتَ إلى الكعبة بعد أنْ ودّع ووجهُه يريدُ الرّكوبَ ، فأقبلَ على ابنه عبدِ الله ، وقال : تاللهِ ما رأيتُ مثلَها لطالبِ رَغبةٍ أو خائف رَهْبة .

وروى الزّبير بنُ بكّار ، قال : كان سبب تعوّذ ابن الزّبير بالكعبة أنّه كان يمشى بعد عَتَمةٍ فى بعض شوارع المدينة؛ إذ لقِى عبد الله بنَ سعد بن أبى سَرْح متلثّماً لا يَبدُو منه إلّا عيناه . قال : فأخذتُ بيدِه وقلتُ : ابنُ أبى سَرْح ! كيف كنتَ بعدى ؟ وكيفَ تركتَ أميرَ المؤمنين ؟ يعنى معاويةَ ــ وقد كان ابنُ أبى سَرْح عندَه بالشام ــ فلم يكلّمنى ، فقلت . مالك ؟ أمات أميرُ المؤمنين ؟ فلم يكلمنى ، فتركته وقد أثبتّ معرفته ، ثم خرجتُ حتى لقيتُ الحسينَ بنَ علىّ رضى الله عنه ، فأخبرتُه خبره ، وقلتُ : ستأتيك رُسُل الوليد ، وكان الأميرُ على المدينة الوليد بن عُتبة بن

بن سُفيان ؛ فانظر ما أنتَ صانع ! واعلم أنّ رَواحِلى فى الدّار مُعدّة، والمَوعِد بينى وبينك أن تَغفل عنّا عيونهم ، ثمّ فارقته فلم ألبثْ أن أتانى رسولُ الوليد ، فجئته فوجدتُ الحسينَ عنده ، ووجدتُ عنده مَروانَ بنَ الحَكَم ، فنَعَى إلىّ معاوية ؛ فاسترجعت فأقبل علىّ، وقال : هلمّ إلى بيْعة يزيدَ ، فقد كتب إلينا يأمُرنا أن نأخذها عليك ! فقلت : إنّى قد علمتُ أنّ فى نفسه علىّ شيئاً لِتَركى بيعته فى حياة أبيه ، وإن بايعتُ له على هذه الحال توهّمَ أنّى مُكرَه على البَيعة ، فلم يقعْ منه ذلك بحيث أريد ولكن أُصبح ويجتمع الناس ، ويكون ذلك علانيةً إن شاء الله ؛ فنظر الوليد إلى مَروان فقال مَروان: هو الذى قلتُ لك؛ إنْ يخرج لم تَرَه . فأحببتُ أنْ ألقى بينى وبينَ مَروان شرّا نتشاغل به ، فقلتُ له : وما أنتَ وذاكَ يابنَ الزّرقاء ! فقال لى ، وقلتُ له ، حتى تواثبْنا ، فتناصيتُ أنا وهو ، وقام الوليد يحجز بيننا ، فقال مروان : أتحجزُ بيننا بنفسك ، وتدع أن تأمر أعوانَك ! فقال : قد أرى ما تُريد ، ولكن لا أتولّى ذلك منه والله أبداً، اذهب يابنَ الزّبير حيثُ شئتَ ؛ قال : فأخذتُ بيدِ الحسين،وخرجنا من الباب حتى صِرْنا إلى المَسجد وأنا أقول :

ولا تحسَبنّى يا مُسافِر شحمةً تعجّلها من جانب القِدرِ جائعُ

فلما دخل المسجدَ افترق هو والحسين ، وعَمَد كلّ واحد منهما إلى مُصلاه يُصلّى فيه ، وجعلت الرسلُ تختلف إليهما ، يَسمع وقْع أقدامهم فى الحَصْباء حتى هدأ عنهما الحسّ ، ثمّ انصرفا إلى منازلهما ، فأتى ابن الزبير رواحله ، فقعد عليها ، وخرج من أدبارِ داره ، ووافاه الحسينُ بن علىّ ، فخرجا جميعاً من ليلتهم ، وسلكوا طريق الفُرْع حتى مرّوا بالجثجاثة وبها جعفر بنُ الزبير قد أزدرعها ، وغمز عليهم بعيرٌ من إبلهم فانتهوْا إلى جعفر ، فلما رآهم قال : مات معاويةُ ؟ فقال عبدُ الله : نعم ، انطلِقْ

معنا وأعطنا أحدَ حَمَلَيْك ـ وكان يصيح على جمايل له ـ فقال جعفر متمثلا :

إخوتي لا تبعدوا أبداً وبَلَى واللهِ قد بَعُدُوا

قال عبدُ الله ـ وتطيّر منها: بفيك التراب فخرجوا جميعا حتى قدموا مكّة ، قال الزبير : فأمّا الحسين عليه السلام فإنّه خرج من مكّة يومَ التَّروية يطلب الكوفة والعراق ، وقد كان قال لعبد الله بن الزبير : قد أتتنى بيعةُ أربعين ألفاً يحلفون لى بالطلاق والعِتاق من أهل العراق ، فقال : أتخرُجُ إلى قوم قتلوا أباك وخذلوا أخاك !

قال : وبعضُ الناس يزعم أن [١] عبدَ الله بن عباس هو الذى قال للحسين ذلك.

قال الزبير : وقال هشام بن عُروة : كان أوّل ما أفصح به عمّى عبد الله وهو صغير : السّيف ، فكان لا يضعُه من فيه ، وكان أبوه الزبير إذا سمع منه ذلك يقول : أما والله ليكونَنّ لك منه يومٌ ويومٌ وأيّام !

* * *

فأما خبرُ مقتل عبد الله بن الزبير فنحن نوردُه من تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرىّ رحمه الله . قال أبو جعفر : حصَر [٢] الحجّاجُ عبدَ الله بنَ الزبير ثمانيةَ أشهر ، فروَى إسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك، قال : رأيتُ منجنيق أهل الشام يُرمَى به فرَعَدتِ السماء وبرَقتْ ، وعلا صوتُ الرعد على صوت المنجنيق ، فأعظم أهلُ الشام ما سمعوه ، فأمسكوا أيديهم، فرفَع الحجاج بِرْكَة [٣] قبائه، فغرزها فى منطقته ، ورفَع حجَر المنجنيق فوضعه فيه ، ثم قال : ارموا ، ورمَى معهم ؛ قال : ثم أصبحوا فجاءت

---

(١) كذا فى د ، وفى ب : « ابن » تصحيف .
(٢) تاريخ الطبرى ٢ : ٨٤٤ ، وما بعدها (طبعة أوربا) ، مع تصرف واختصار .
(٣) بركة قبائه : مقدمه .

صاعقةٌ يتبعها أخرى ، فقتلتْ من أصحاب الحجّاج اثنيْ عشرَ رجلا ؛ فأنكر أهلُ الشام فقال الحجّاج : يأهلَ الشام ، لا تنكروا هذا ، فإنّي ابنُ تِهامة ، هذه صَواعقُ تِهامةَ ، هذا الفتحُ قد حَضَر فأبشروا ، فإنّ القوم يُصيبُهم مِثل ما أصابَكم ، فصعقت من الغد فأصيبَ من أصحاب ابن الزبير عدّة ما أصاب الحجّاج ، فقال الحجّاج : ألا ترون أنهم يُصابُون وأنتم على الطّاعة ، وهم على خلاف الطاعة ! فلم تزلْ الحربُ بين ابنِ الزّبير والحجّاج حتّى تفرّق عامّة أصحاب ابن الزبير عنه ، وخرج عامّة أهلِ مَكّة إلى الحجّاج في الأمان .

قال : ورَوَى إسحاق بنُ عبدالله ، عن المُنذِر بن الجَهْم الأسلَميّ ، قال : رأيتُ ابنَ الزّبير ، وقد خذَلَه من معه خِذْلانا شديداً ، وجعلوا يخرجون إلى الحجّاج ، خرج إليه منهم نحو عشرة آلاف ، وذُكر أنّه كان ممّن فارقَه ، وخرج إلى الحجّاج ابناه : حُبَيب وحمزة ، وأخذا من الحجّاج لأنفسهما أمانا .

قال أبو جعفر : فروى محمد بن عمر ، عن ابن أبي الزّناد ، عن مَخْرمة بن سليمان الوالبيّ ، قال : دخل عبدُ الله بن الزبير على أمّه حين رأى من النّاس ما رأى من خِذْلانه ، فقال : يا أمّه ، خذَلني النّاس حتى وَلدي وأهلي ، ولم يَبقَ معي إلّا اليسير ممّن ليس عندَه من الدّفع أكثر من صَبْر ساعة ، والقوم يُعطونَني ما أردتُ من الدّنيا ، فما رأيُكِ ؟ فقالت : أنت يا بنيّ أعلَمُ بنفسك ، إن كنتَ تعلم أنّك على حقّ وإليه تدعو فامضِ له ، فقد قُتِل عليه أصحابُك ، ولا تُمكّن من رقبتِك يتلعّبْ بك غِلمانُ بني أميّة ، وإن كنتَ إنّما أردتَ الدُّنيا فلبئس العبدُ أنتَ ! أهلكتَ نفسَك وأهلكتَ من قُتِل معك ، وإن قلتَ : قد كنتُ على حقّ فلما وَهَن أصحابي وَهنْتُ وضعفت ، فليس هذا فعلُ الأحرار ولا أهلُ

الدّين ، وكم خُلودى فى الدنيا ! القَتل أحسن ؛ فدنا ابنُ الزبير فقبّل رأسها ؛ وقال : هذا والله رأيى الذى قمتُ به داعياً إلى يومى هذا ، وما ركنتُ إلى الدنيا ، ولا أحببتُ الحياةَ فيها ؛ ولم يَدْعُنى إلى الخرُوج إلّا الغَضَب لله أن تُستَحلّ محارمُه [(١)] ، ولكنّى أحببتُ أن أعلم رأيكِ ، فزدتنى بصيرةً مع بصيرتى ، فانظرى يا أمّه ، فإنّى مقتول من يومى هذا فلا يَشتدّ حُزْنك ، وسلّمى لأمر الله ، فإنّ ابنك لم يتعمّد إتيان مُنكَر ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يَجُرْ فى حُكْم ، ولم يغدِر فى أمان ، ولم يتعمّد ظُلْمَ مُسلِم ولا مُعاهِد ، ولم يبلغنى ظلمٌ عن عُمّالى فرضيتُ به بل أنكرتُه ، ولم يكن شىء آثرَ عندى من رِضا ربّى . اللهمّ إنى لا أقول هذا تزكيةً منّى لنفسى ، أنتَ أعلمُ بى ، ولكنّى أقوله تعزيةً لأمّى لتسلوَ عنّى . فقالت أمّه : إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسَناً إن تقدّمتَنى ، فلا أخرُج من الدنيا حتى أنظرَ إلى ما يصيرُ أمرُك ، فقال : جزاكِ الله يا أمّه خيراً ، فلا تَدَعى الدُّعاء لى قبلُ وبعد ، فقالت : لا أدَعُه أبداً ، فمن قُتِل على باطل فقد قُتلتَ على حقّ . ثمّ قالت : اللهمّ ارحمْ طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النّحيب والظمأ فى هَواجرِ المدينة ومكّة ، وبرّه بأبيه وبى ! اللهم إنّى قد سلّمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيتَ ، فأثِبْنى فى عبد الله ثوابَ الصّابرين الشاكرين .

قال أبو جعفر : وروَى محمّد بن عمر ، عن موسى بن يعقوب بن عبد الله ، عن عمّه ، قال : دخل ابنُ الزبير على أمّه وعليه الدّرع والمِغفَر ، فوقف فسلّم ، ثمّ دنا فتناول يدَها فقبّلها ، فقالت : هذا وَداع فلا تَبعُد ، فقال : نَعَم ، إنّى جئت مودّعاً ، إنّى لأرَى أنّ هذا اليومَ آخرُ يوم من الدنيا يمرّ بى ، واعلمى يا أمّه أنّى إنْ قُتِلتُ فإنّما أنا لحمٌ لا يَضرّه ما صُنِع به ، فقالت : صدقتَ يا بنىّ ، أتمم على بصيرَتك ، ولا تمكّن ابنَ

---

(١) المصرى : « أن يستحل حرمه »

أبى عَقِيل منك ، وادنُ منى أودِّعك ؛ فدنا منها فقبّلها وعانقها ، فقالت حيث مسّت الدِّرع : ماهذا صنيعُ مَن يريدُ ماتريد ! فقال : مالبستُها إلا لأشدّ منك ، فقالت : إنها لا تشدّ منى ؛ فنزعهـا ، ثم أدرَج[1] كمّيه وشـدّ أسفل قميصـه ، وعقد إلى جبّةِ خزّ تحت القميص ؛ فأدخل أسفلَ في المِنطقة ، فقالت أمه : شَمِّرْ ثيابك ، فشمّرها ، ثم انصرف وهو يقول :

إنى إذا أعرف يومى أصبِرْ   إذ بعضهم يعرف ثم يُنكِـرْ

فسمعت العجوز قوله،فقالت : تصبر والله ، ولِمَ لاتصبر؟أبوك أبو بكر والزبير، وأمك صفية بنت عبد المطلب !

قال : ورَوَى محمد بن عمر عن ثور بن يزيدَ عن رجل من أهل حمص قال : شهدته والله ذلك اليوم ونحن خمسمائة من أهل حِمص ، فدخَل من باب المسجد لا يدخل معه غيرنا ، وهو يَشُدّ علينا ونحن مُنهزمون وهو يرتجز :

إنى إذا أعرف يومى أصـبرْ   وإنما يعرف يومَيه الحـرّْ

* وبعضُهم يعرف ثم يُنكِرُ *

فأقول : أنت والله الحرّ الشريف ؛ فلقد رأيتُه يقف بالأبطح لا يدنو منه أحد حتى ظننا إنّه لايُقتَل .

قال : ورَوَى مُصعَب بنُ ثابت ، عن نافع مولَى بنى أسَد ، قال : رأيتُ الأبوابَ قد شُحِنتْ بأهل[2] الشام ،وجعلوا على كلّ باب قائدا ورجالا وأهل بلد ، فكان لأهل حِمصَ الباب الذى يواجه بابَ الكعبة ، ولأهلِ دمشق باب بنى شَيبة ، ولأهل الأُرْدُنّ بابُ الصفا ، ولأهل فِلَسطين باب بنى جُمَح ، ولأهلِ قِنَّسرينَ بابُ بنى سَهْم ، وكان الحجاج وطارقُ بن عمرو فى ناحية الأبطح إلى المَرْوة ، فمرة يحمـل ابن الزبير

(١) الطبرى : « أدرج » (٢) الطبرى : « من أهل الشام » .

فى هذه الناحية ، ولـكانه أسد فى أجمة ما يُقدِم عليه الرجال ، فيعدو فى أثر الرجال وهم على الباب حتى يخرجهم ، ثم يصيح إلى عبد الله بن صفوان ، يا أبا صفوان ، وَيلُ أمّه فتحا لو كان له رجال ! ثم يقول :

* لو كان قِرنى واحدا كَفيتُه[1] *

فيقول عبدُ الله بن صفوان : إى والله وألفا .

قال أبو جعفر : فلمّا كان يوم الثلاثاء ، صبيحة سبع عشرة من جُمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابنُ الزبير تلك الليلة يصلّى عامّة الليل ، ثم احتبى بحمائل سيفه ، فأغفى ثم انتبه بالفجر ، فقال : أذّنْ يا سعد ؛ فأذّن عند المقام ، وتوضأ ابنُ الزبير وركع ركعتى الفجر ، ثم تقدّم وأقام المؤذّن ، فصلّى ابنُ الزبير بأصحابه فقرأ ن والقلم ، حرفا حرفا ثم سلّم ، ثمّ قام ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : اكشفوا وجوهكم حتى أنظر ، وعليها المغافر والعمائم ، فكشفوا وجوههم ، فقال : يا آل الزبير ، لو طِبتم لى نفسا عن أنفسكم كنّا أهلَ بيتٍ من العرب اصطُلِمْنا ، لم تُصِبْنا مذلّة ، ولم نقِرّ على ضيم . أمّا بعد يا آل الزبير ، فلا يرُعْكم وَقعُ السيوف ، فإنى لم أحضر موطنا قطّ ارتُثِثْتُ فيه بين القتلى ، وما أجد من دواء جراحها أشدّ عليّ مما أجد من ألم وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم . لا أعلم امرأ كسر سيفه واستبقى نفسه . فإنّ الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل . غضّوا أبصاركم عن البارقة ، وليشغل كلُّ امرىء قِرنه ، ولا يُلهيَنّكم السؤالُ عنّى ، ولا تقولُنّ : أين عبدُ الله بن الزبير ؟ ألا من كان سائلا عنّى فإنّى فى الرَّعيل الأوّل ، ثم قال :

---

(١) من أبيات لدويد بن زيد بن نهد ، طبقات الشعراء ٢٧ ، ٢٨

أبى لابن سَلْمى أنّه غيرُ خالدٍ ... يُلاقِى المَنايا أىَّ وجهٍ تيمّما[1]
فلستُ بمُبتاعِ الحياةِ بسُبّةٍ ... ولا مُرتَقٍ من خشيةِ الموتِ سُلَّما

ثمّ قال : احملوا على بركة الله ، ثمّ حمل حتّى بلغ بهم إلى الحَجُون ، فرُمى بحجَر ، فأصاب وجهه ، فأرعش ودَمِىَ وجهُه ، فلمّا وجد سُخونة الدّم تسيلُ على وجهه ولحيته قال :

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا تَقطُرُ الدّما[2]

قال : وتغاووا عليه ، وصاحتْ مولاةٌ له مجنونة : وا أميرَ المؤمنيناه ! وقد كان هوَى ، ورأته حين هوَى فأشارتْ لهم إليه ، فقُتِل وإنّ عليه لثيابُ خزّ ، وجاء الخبرُ إلى الحجّاج ، فسجد وسار هو وطارقُ بنُ عمرو ، فوقفا عليه ، فقال طارق : ما ولَدتِ النّساء أذكرَ من هذا ، فقال الحجّاج : أتمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ! فقال طارق : هو أعذرُ لنا ، ولولا هذا ما كان لنا عُذر ، إنّا محاصروه وهو فى غير خندق ولا حِصن ولا مَنَعة منذ ثمانيةِ أشهرٍ ينتصف منّا ، بل يَفضُل علينا فى كلّ ما التقينا نحن وهو ؛ قال : فبلغ كلامُهما عبد الملك ، فصوّب طارقا .

قال : وبعث الحجّاجُ برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صَفْوان ورأس عمارة بن عمرو ابن حَزم إلى المدينة ، فنُصبت ثلاثة بها ، ثمّ حملتْ إلى عبد الملك .

* * *

ونحن الآن نذكرُ بقيّة أخبار عبد الله بن الزبير ملتقطة من مواضع متفرقة :

رُئِىَ عبدُ الله بنُ الزبير فى أيام معاوية واقفاً بباب ميّةَ مولاة معاوية ، فقيل له :

(١) الحصين بن الحمام المرى ، الأغانى ١٤ : ٨ .
(٢) الحصين بن الحمام المرى ، ديوان الحماسة ١ : ١٩٢ — بشرح التبريزى .

يا أبا بكر ، مِثلُكَ يَقِفُ بباب هـذه ! فقال : دا أعيَتْكم الأمورُ مِن رُءوسها فخذوها من أذنابها .

ذكر معاويةُ لعبد الله بن الزبير يزيد ابنه ، وأراد منه البيْعة له ، فقال ابنُ الزّبير : أنا أناديك ولا أناجيك ، إنّ أخاك مَنْ صَدَقك ، فانظر قبل أن تقدم ، وتفكّر قبل أن تَندَم ؛ فإنّ النظر قبل التقدّم ، والتفكّر قبل التندّم ؛ فضَحِكَ معاويةُ وقال : تعلمتَ يا أبا بكر الشّجاعة عند الكِبَر .

* * *

كان عبدُ الله بنُ الزبير شديدَ البُخل ، كان يُطعِم جندَه تمرا ، ويأمُرهم بالحرب ، فإذا فرّوا مِن وَقع السّيوف لامَهم وقال لهم : أكلتم تَمْرى ، وعَصَيتم أمرى فقال بعضهم :

ألم تَرَ عبدَ الله والله غالبٌ   على أمره يبغى الخلافةَ بالتّمرِ

وكَسَرَ بعضُ جنده خمسة أرماح فى صُدور أصحاب الحجّاج ، وكلّما كسَرَ رُمحا أعطاه رُمحا ، فشقّ عليه ذلك ، وقال : خمسة أرماح . لا يَحتمل بيتُ مال المسلمين هذا .

قال : وجاءه أعرابىّ سائلٌ فردّه ، فقال له : لقد أحرقَتِ الرّمضاءُ قدَمَىّ فقال : بُلْ عليهما يبردان .

* * *

جَمع عبد الله بنُ الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس فى سبعة عشر رجلا من بنى هاشم ، منهم الحسن بنُ الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وحصرَهم فى شِعْب بمكة يُعرَف بشعب عارم ، وقال : لا تمضى الجمعة حتى تُبايعوا إلىّ أو أضرب أعناقكم ، أو أحرّقكم بالنار ، ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنّار ؛ فالتزمه

ابنُ مِسْوَر بن مخرمة الزهري، وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة ، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفيّة بغسول وثياب بيض، فاغتسل وتلبّس وتحنّط؛ لا يَشُكُّ في القتل، وقد بعث المختار بن أبي عُبيد من الكوفة أبا عبدِ الله الجَدَليّ في أربعة آلاف ، فلما نزلوا ذات عِرْق ؛ تعجّل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافَوْا مكة صبيحة الجمعة يُنادُون : يا محمد ، يا محمد ! وقد شهروا السّلاح حتى وافَوْا شِعْبَ عارم ، فاستخلصوا محمد بن الحنفيّة ومن كان معه ، وبعث محمد بنُ الحنفيّة الحسن بنَ الحسن يُنادي : من كان يَرَى أن لله عليه حقًا فليشِمْ سَيْفَه ، فلا حاجة لي بأمر الناس ، إنْ أُعطِيتُها عفوا قَبِلْتُها ، وإن كَرِهوا لم أَبْتَزّهم[1] أمرَهم .

وفي شِعب عارم وحصار بن الحنفيّة فيه يقول كثيرُ بنُ عبدِ الرحمن :

ومن يَرَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ مِن مِنىً ... مِنَ الناس يعلم أنه غيرُ ظالمِ

سَمِيّ النبيّ المصطفى وابنُ عمّه ... وحَمّالُ أثقالٍ وفَكّاكُ غارمِ

تخـــبِّرُ من لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المحبوسُ في سِجْن عارمِ

وَرَوَى المَدائنيُّ قال : لما أخرج ابنُ الزبير عبدَ الله بن عباس من مكة إلى الطائف مرّ بنَعمان ، فنزل فصلّى ركعتين ، ثم رفع يدَيْه يدعو ، فقال : اللهمّ إنك تعلم أنه لم يكنْ بلدٌ أحبَّ إليّ من أن أعبدَك فيه من البلد الحرام ، وأنني لا أحب أن تقبض رُوحي إلا فيه ، وأن ابن الزبير أخرجني منه ، ليكون الأقوى في سلطانه . اللهم فأَوْهِن كيدَه ، واجعل دائرة السَّوْء عليه . فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها ، فقالوا : مرحبًا يابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ! أنتَ والله أحبُّ إلينا وأكرم علينا ممن أخرجك ؛ هذه منازلُنا تخيّرها ، فانزلْ منها حيث أحببت ! فنزل منزلا ، فكان

---

(١) لم أبتزهم أمرهم : لم أسلبه منهم عنوا .

يجلس إليه أهلُ الطائف بعد الفجر وبعد العصر؛ فيتكلّم بينهم ، كان يحمد الله ويذكر النبيّ صلى الله عليه وآله والخلفاء بعده ، ويقول : ذهبوا فلم يَدَعوا أمثالهم ولا أشباههم ولا مَن يُدانيهم ؛ ولكنْ بقي أقوامٌ يطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، ويلبَسون جلود الضأن؛ تحتها قلوبُ الذئاب والنمور ، لِيظنّ الناسُ أنهم من الزاهدين في الدنيا، يُراءون الناس بأعمالهم ، ويُسْخِطون الله بسرائرهم ؛ فادعوا الله أن يقضي لهذه الأمة بالخير والإحسان ، فيولّي أمرها خيارَها وأبرارَها ، ويُهلك فجّارها وأشرارها ، ارفعوا أيديكم إلى ربّكم وسلُوه ذلك. فيفعلون .

فبلغ ذلك ابن الزبير ، فكتب إليه :

أما بعد ، فقد بلغني أنك تجلس بالطائف العصرَين فتفتيهم بالجهل ، وتَعيب أهلَ العقل والعلم ؛ وإنّ حِلْمي عليك ، واستدامتي فَيْئك جرّآك عليّ ، فاكفُفْ لا أبا لغيرك من غَرْبك ، واربَعْ على ظَلْعِك[1] ، واعقل إن كان لك معقول ، وأكرم نفسك فإنك إن تُهِنْها تجدها على الناس أعظم هوانا ، ألم تسمع قول الشاعر :

فنفسَكَ أكرِمْها فإنك إن تَهُنْ ... عليكَ فلن تلقى لها الدهرَ مُكْرِمَا

وإنّي أقسم بالله لئن لم تنته عمّا بلغني عنك لتجدنّ جانبي خَشِنا ، ولتجدنّي إلى ما يَرْدعك عنّي عجِلا ، فَرَ رأيك ، فإن أشقى بك شقاوتك على الرّدى فلا تلُم إلا نفسك .

فكتب إليه ابنُ عباس :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ؛ قلت : إنّي أفتي الناس بالجهل ، وإنما يُفتي بالجهل مَن لم يعرف من العلم شيئا ، وقد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك . وذكرت أنّ حِلمك عني ، واستدامتك فيئي جرّآني عليك ، ثمّ قلت : اكفُفْ من غَرْبك ، واربَعْ على

(١) يقال : اربع على ظلعك ؛ أي اعمل بقدر ما تطيق ، ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق

ظلمك؛ وضربت لي الأمثال، أحاديث الضبع، متى رأيتني لعُرامك[1] هائبا، ومن حدّك ناكلا! وقلت: لئن لم تكفف لتجدنّ جانبي خشنا، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت، ولا أرعى عليك إن أرعيت! فوالله لا أنتهي عن قول الحق، وصفة أهل العدل والفضل، وذمّ الأخسرين أعمالا، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعا؛ والسلام.

* * *

قدِم معاوية المدينة راجعا من حجّة حجّها، فكثُر الناسُ عليه في حوائجهم، فقال لصاحب إبله: قدّم إبلك ليلا حتى أرتحل؛ ففعل ذلك، وسار ولم يعلم أمره إلاّ عبدُالله بنُ الزبير؛ فإنه ركب فرسه وقفا أثره، ومعاوية نائم في هودجه على جمل، يسير إلى جانبه، فانتبه معاويةُ، وقد سمع وقع حافر الفرس، فقال: من صاحب الفرس؟ قال: أنا أبو خُبيب، لو قد قتلتك منذ الليلة لأرحته، فقال معاوية: كلاّ لستَ من قتلة الملوك، إنما يصيد كلُّ طائر قدْرَه. فقال ابنُ الزبير: إليّ تقول هذا، وقد وقفتُ في الصفّ بإزاء عليّ بن أبي طالب؛ وهو من تعلم! فقال معاوية: لا جرم! إنه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيتْ يده اليمنى فارغة يطلب مَنْ يقتله بها. فقال ابن الزبير: أما والله ما كان ذلك إلاّ في نصر عثمان فلم نُجْزَ به، فقال معاوية: خلّ هذا عنك، فوالله لولا شدّة بُغضك ابن أبي طالب لجررتَ برِجل عثمان مع الضبُع. فقال ابن الزبير: أفعلتَها يامعاوية! أما إنّا قد أعطيناك عهدا، ونحنُ وافون لك به ما دمتَ حيّا، ولكن ليعلمنّ مَنْ بعدك. فقال معاوية: أما والله ما أخافك إلاّ على نفسك، ولكأنّي بك وأنت مشدودٌ مربوط في الأنشوطة[2]، وأنت تقول: ليت أبا عبد الرحمن كان حيًّا، وليتني كنتُ حيا يومئذ فأحلّك حلاًّ رفيقا، ولبئس المُطلق والمعتق والممنون عليه أنت يومئذ!

---

(١) العرام: الشراسة والشدة

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاوية وعنده عمرو بنُ العاص، فتكلم عمرو ـ وأشار إلى ابن الزبير ـ فقال: هـذا والله يا أميرَ المؤمنين لدى عرّته أناتك، وأبطره حِلمك، فهو يَنزُو في نَشطته نزوَ العِيرِ في حبالته، كلّما قمصته العِقواء والشرّة حكّمت الأشوطةُ منه النفرة، وأخّره أن يئول إلى القِلّة أو الذلّة. فقال ابنُ الزبير: أما والله يا ابنَ العاص، لولا أنّ الإيمان ألزمنا بالوفاء، والطاعةِ للخلفاء، فنحن لا نريد بذلك بدلًا، ولا عنه حِولًا؛ لكان لنا وله ولك شأن، ولو وكّله نفساه إلى رأيك، ومشورة نظرائك لدافعناه بمنكِب لا تئوده المزاحمة، ولقادفناه بحجر لا تنكؤه المراجمة؛ فقال معاوية: أما والله يا ابنَ الزبير لولا إيثاري الأناةَ على العجل، والصفحَ على العقوبة، وأنّي كما قال الأوّل:

أجامل أقواماً حياءً، وقد أرى قلوبَهم تَغلي عليّ مراضُها

إذاً لقرنتك إلى سارية من سواري الحرم تُسكّن بها غلواءَك، وينقطع عندها طمعك، وتنقص من أملك، ما لعلك قد نويته فشربه، ونلته فأرمته. وايمُ الله إنك من ذلك لعلى شرف جُرُف بعيدِ المهوى، فكن على نفسك ولها، فاتوق ولا تعتقد غيرها، فشأنك وإياها.

***

قطع عبدُ الله بن الزبير في الخطبة ذِكْرَ رسول الله صلّى الله عليه وآله جُمَعاً كثيرة، فاستعظم الناسُ ذلك، فقال: إني لا أرغب عن ذِكره، ولكنّ له أُهَيلَ سوء إذا ذُكِرَ أتلعوا أعناقهم، فأنا أحبّ أن أكبتهم

***

لما كاشف عبدُ الله بنُ الزبير بني هاشم وأظهر بغضهم وعابهم، وهمّ بما همّ به في

أمرِه ، ولم يذكر رسولَ الله صلى الله عليه وآله في خُطبةٍ ، لا يومَ الجمعة ولا غيرها ، عاتبَه على ذلك قومٌ من خاصته ، وتشاءموا بذلك منه ، وخافوا عاقبته ، فقال : والله ما تركتُ ذلك علانيةً إلا وأنا أقوله سِرًّا وأكثر منه ؛ لكني رأيتُ بني هاشم إذا سمعوا ذِكرَه اشرأبّوا واحمرّت ألوانهم ، وطالت رقابهم ، والله ما كنتُ لآتي لهم سروراً وأنا أقدِر عليه ، والله لقد هممتُ أن أحظر لهم حظيرةً ثم أضرمها عليهم نارا ، فإني لا أقتلُ منهم إلا آثماً كفّارا سحّارا ، لا أنماهم[1] الله ولا بارك عليهم ، بيت سوء لا أوّل لهم ولا آخر ، والله ما ترك نبيّ الله فيهم خيرا ، استفرغ نبيّ الله صدقهم فهم أكذب الناس .

فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقّاص فقال : وفّقك الله يا أمير المؤمنين ! أنا أوّل من أعانك في أمرِك ، فقام عبدُ الله بن صفوان بن أمية الجمحيّ ، فقال : والله ما قلتَ صوابا ، ولا هممتَ برُشد ، أرهطَ رسول الله صلّى الله عليه وآله تعيب ، وإياهم تقتُل ، والعرب حولك ! والله لو قتلتَ عِدّتهم أهل بيت من الترك مُسلمين ما سوّغه الله لك ، والله لو لم[2] ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره . فقال : اجلس أبا صفوان فلستَ بناموس[3] .

فبلغ الخبرُ عبدَ الله بن العباس ، فخرج مُغضَبا ومعه ابنُه حتى أتى المسجد ، فقصد قصْد المنبر فحمد اللهَ وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله صلّى الله عليه وآله ثمّ قال : أيها الناس ، إنّ ابن الزبير يزعُم أن لا أوّل لرسول الله صلّى الله عليه وآله ولا آخِر ، فيا عجبا كلَّ العجبِ لافترائه ولكذبه ! والله إن أوّل من أخذ الإيلاف وحمى عيرات[4]

---

(١) لا أنماهم : لا أكثر عددهم
(٢) في د « ولا » .
(٣) الناموس : الحاذق
(٤) العير ــ بالكسر : الإبل تحمل الميرة ؛ بلا واحد من لفظها ، وجمعه عيرات

قريش لهاشم ، وإن أول من سقى بمكة عذبا[١] ، وجعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب ، والله لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش وإن كنا لقالتهم[٢] إذا قالوا ، وخطباءهم إذا خطبوا ؛ وما عُدّ مجد كمجد أولنا ، ولا كان في قريش مجد لغيرنا ؛ لأنها في كفر ماحق ، ودين فاسق ، وضلة وضلالة ، في عشواء[٣] عمياء ، حتى اختار الله تعالى لها نورا ، وبعث لها سراجا ، فانتجبه[٤] طيبا من طيبين ، لا يسبّه بمسبة ، ولا يبغي عليه غائلة ، فكان أحدنا وولدنا ، وعمنا وابن عمنا[٥] ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا ، ثم تلاه في السبق ، أهلنا ولحمتنا[٦] واحدا بعد واحد .

ثم إنا خير الناس بعده وأكرمهم أدبا ، وأشرفهم حسبا ، وأقربهم منه رحما .

واعجبا كل العجب لابن الزبير ! يعيب بني هاشم ، وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم ؛ أما والله إنه لمصلوب قريش ، ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب ! قيل للبغل : من أبوك يا بغل ؟ فقال : خالي الفرس . ثم نزل .

* * *

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر ؛ وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر ، فقال : إن هاهنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، يزعم أن متعة النساء حلال من الله ورسوله ، ويفتي في القملة والنملة ؛ وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس ، وترك المسلمين بها يرتضخون[٧] النوى ؛ وكيف ألومه في ذلك ، وقد قاتل أم المؤمنين وحواريّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن وقاه بيده !

---

(١) في الطبري : « وعبد المطلب هو الذي كشف عن زمزم بئر إسماعيل بن إبراهيم واستخرج ما كان فيها مدفونا » .

(٢) القالة : جمع قائل .

(٣) ليلة عشواء ، من العشى ؛ وهو سوء البصر بالليل والنهار .

(٤) انتجبه : اختاره .

(٥) ابن عمنا ، أي علي بن أبي طالب .

(٦) اللحمة : القرابة .

(٧) يرتضخون النوى : يكسرونه .

فقال ابنُ عباس لقائده سعد بن جُبير بن هشام مولى بنى أسد بن خُزيمة : استقبل بى وجهَ ابنِ الزبير ، وارفعْ من صَدْرى ؛ وكان ابنُ عباس قد كُفَّ بصرُه فاستقبل به قائدُه وجهَ ابنِ الزبير ، وأقام قامته فحسَرَ عن ذِرَاعَيْه ، ثم قال يابنَ الزّبير :

قد أنصفَ القارةَ مَن راماها[1] إنّا إذا ما فئـــــةٌ نلقاها

نردّ أولاهـــــا على أُخراها حتى تصيرَ حَرَضاً دَعْواها[2]

يابنَ الزّبير ؛ أما العَمَى فإنّ الله تعالى يقول : ﴿ فإنّهـا لا تَعْمَى الأبصارُ ولـكنْ تَعْمَى القلوبُ التى فى الصدور ﴾[3] ؛ وأمّا فُتْيَاىَ فى القَمْلة والنَّملة ؛ فإنّ فيها حُكْمين لا تعلمُها أنت ولا أصحابك . وأما حَمْلى المال فإنه كان مالاً جَبَيْناه فأعطينا كلَّ ذى حقٍّ حقَّه ، وبقيتْ بقيّةٌ هى دونَ حقّنا فى كتاب الله فأخذْناها بحقّنا . وأما المُتعة فسَلْ أمَّك أسماء إذا نزلت عن بُرْدَىْ عَوْسَجة . وأما قتالُنا أمّ المؤمنين فبنا سُمّيَتْ أمّ المؤمنين لا بك ولا بأبيك ؛ فانطلق أبوك وخالُك إلى حِجاب مدّه الله عليها ، فهتكاه عنها ، ثم اتخذاها فتنة يقاتِلان دُونَها ، وصانا حلائلهما فى بيُوتِهما ، فما أنصفا الله ولا محمدًا من أنفسِهما أن أبرَزَا زوجةَ نبيّه وصانا حلائلهما . وأما قتالنا إيّاكم فإنّا لقينا كم زَحْفاً ، فإن كنّا كفّارًا فقد كفَرْتم بفِرارِكم منّا ، وإنْ كنّا مؤمنين فقد كفَرْتم بقتالِكم إيّانا ، وأيمُ الله لولا مكانُ صَفيّة فيكم ، ومكانُ خديجة فينا ، لما تركتُ لبنى أسد بن عبدِ العُزّى عظْماً إلّا كسَرْته .

فلما عادَ ابنُ الزبير إلى أمّه سألَها عن بُرْدَىْ عَوْسجة ، فقالت : ألم أنهك عن ابن عباس وعن بنى هاشم ! فإنّهم كُعُمُ[4] الجوابِ إذا بُدِهوا ، فقال : بلى ، وعصيتُكِ .

---

(١) فى اللسان : القارة : قوم رماة من العرب ، وفى المثل : « قد أنصف القارة من راماها » .

(٢) الحرض : الفساد فى النفس والعقل والبدن .

(٣) سورة الحج آية ٤٦

(٤) كعم البعير : شدفاه لئلا يعض أو يأكل ، والكعام ، ككتاب : ما يجعل على فمه ، والجمع كعم ، والمعنى أنهم ذوو أجوبة مسكتة مخرسة تلجم أفواه مناظريهم .

فقالت: يا بُنَيّ، احذرْ هذا الأعمى الذى ما أطاقتْه الإنسُ والجنّ، وأعلمْ أنّ عندَه فضائحَ قريش ومخازيَها بأسرِها، فإيّاك وإيّاه آخرَ الدهر، فقال: أيمنُ بنُ خُريم بنِ فاتِك الأسدىّ:

يابنَ الزّبيرِ لقد لاقيتَ بائقةً ... مِن البوائقِ فالطُفْ لُطفَ مُحتالِ

لاقيتَه هاشميًا طابَ مَنبتُه ... فى مَغرِسَيه كريمُ العمِّ والخالِ

مازال يقرَعُ عنكَ العظمَ مقتدرا ... على الجواب بصوتٍ مُسمِعٍ عالِ

حتى رأيتُك مثلَ الكلبِ مُنجحِرا ... خلفَ الغبيطِ وكنتَ الباذخَ العالِي

إنّ ابنَ عباسٍ المعروفَ حِكمتُه ... خيرُ الأنامِ له حالٌ مِن الحالِ

عيّرتَه المُتعةَ المَتبوعَ سُنّتُها ... وبالقتالِ وقد عُيِّرتَ بالمالِ

لما رماكَ على رِسْلٍ بأسهُمِه ... جرَتْ عليكَ بسيفِ الحالِ والبالِ

فاحتزَّ مِقْوَلَكَ الأعلى بشَفرتِه ... حزًّا وحِيًّا بلا قِيلٍ ولا قالِ (١)

وأعلمْ بأنك إن عاوَدتَ غَيبتَه ... عادتْ عليكَ مَخازٍ ذاتُ أذيالِ

• • •

ورَوَى عثمانُ بنُ طلحةَ العَذَرِيّ، قال: شهدتُ مِن ابنِ عباس رحمه الله مَشهدا ما سمعتُه من رجلٍ من قريش، كان يُوضَع إلى جانب سريرِ مَروان بن الحكَم وهو يومئذ أميرُ المدينة سريرٌ آخرُ أصغرُ من سريره؛ فيجلس عليه عبدُ الله بنُ عباس إذا دخل، وتُوضَع الوسائد فيما سِوى ذلك، فأذِن مروانُ يوما للناس، وإذا سريرٌ آخر قد أُحدِث تِجاه سريرِ مَرْوان، فأقبل ابنُ عباس فجلس على سريره، وجاء عبدُ الله بنُ الزّبير فجلس على السريرِ المُحدَث، وسكت مروانُ والقوم، فإذا يدُ ابنِ الزبير تتحرك

---

(١) وحيا: سريعا.

فعلم أنه يريدُ أن ينطق ، ثم نطق فقال : إنّ ناسا يزعمون أنّ بيعةَ أبي بكر كانت غلطا وفلتة ومغالبة؛ ألا إن شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا ، ويزعمون أنه لولا ما وقع لكانَ الأمرُ لهم وفيهم ، والله ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أحدٌ أثبتَ إيمانا ، ولا أعظمَ سابقةً من أبي بكر ، فمَنْ قال غيرَ ذلك فعليه لعنة الله ! فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر ، فلم يكن إلا ما قال ، ثم ألقى عمرُ حظَّهم في حُظوظ ، وجدَّهم في جُدود ، فقسمت تلك الحظوظ ، فأخّر الله سَهمَهم ، وأدحض جدَّهم ، وولِيَ الأمرَ عليهم من كان أحقّ به منهم ، فخرجوا عليه خروجَ اللصوص على التاجر خارجا من القرية ، فأصابوا منه غِرّة فقتلوه ، ثم قتلهم الله به كل قِتلة ، وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب .

فقال ابنُ عباس : على رِسْلِكَ[1] أيها القائل في أبي بكر وعُمر والخلافة ، أما والله ما نالَا ولا نال أحدٌ منهما شيئاً إلّا وصاحبنا خيرٌ ممّن نالا ، وما أنكرْنا تقدّم من تقدّم لعيب عِبناه عليه ! ولو تقدّم صاحبُنا لكانَ أهلا وفوقَ الأهل ، ولولا أنك إنما تذكر حظَّ غيرك وشرفَ امرئ سواكَ لكلمتك ، ولكن ما أنتَ وما لاحظَّ لك فيه ! اقتصِر على حظّك ، ودَعْ تيماً لِتَيم ، وعَدِيّاً لِعَدِيّ ، وأميّة لأميّة ، ولو كلّمني تيميٌّ أو عدويّ أو أمويٌّ لكلّمته وأخبرتُه خبرَ حاضرٍ عن حاضر ، لاخبرَ غائبٍ عن غائب ، ولكن ما أنت ، وما ليس عليك ! فإن يكن في أسدِ بنِ عبدِ العُزّى شيء فهو لك ، أما والله لنحنُ أقربُ بك عهدا ، وأبيض عندك يدًا ، وأوفر عندك نعمة ممن أمسيت؛ تظنّ أنك تصول به علينا ، وما أخلق ثوبُ صفيّة بعد ! والله المستعان على ما تصفون .

* * *

(١) الرسل : الرفق والتؤدة

أوصى معاويةُ يزيدَ ابنه لما عَقَد له الخلافة بعده؛ فقال: إنى لا أخاف عليك إلا من
أوصيك بحفظ قرابته ورعاية حقِّ رحمه، من القلوبُ إليه مائلة، والأهواء نحوه جانحة،
والأعين إليه طامحة، وهو الحسين بن على، فقسم له نصيبا من حِلمك، وأحصصه
بقسط وافر من مالك؛ ومَتِّعه بروح الحياة، وأبلغ له كلَّ ما أحب فى أيامك، فأما من
عداه فثلاثة: وهم عبدُ الله بن عمر رجلٌ قد وقذته العبادة؛ فليس يريدُ الدنيا إلا أن
تجيئه طائعة، لا تراق فيها محجمةُ دم، وعبد الرحمن بن أبى بكر، رجل مِقْلٌ(١)
لا يحمل ثِقلا، ولا يستطيع نهوضا؛ وليس بذى همة ولا شرف ولا أعوان، وعبدُ الله
ابن الزبير وهو الذئب الماكر، والثعلب الخاتر؛ فوجِّه إليه جِدَّك وعزمَك وتَنكيرك
ومكرك؛ واصرف إليه سطوتك، ولا تثق به فى حال، فإنه كالثعلب، راغ بالختل
عند الإرهاق، والليث صال بالجراءة عند الإطلاق؛ وأما ما عدا هؤلاء فإنى قد وطأتُ
لك الأمم، وذللت لك أعناق المنابر، وكفيتك من قرب منك، ومن بعد عنك
فكن للناس كما كان أبوك لهم يكونوا لك كما كانوا لأبيك.

* * *

خطب عبدُ الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال فى خطبته: يزيد القُرود، يزيد
الفُهود، يزيد الخمور، يزيد الفُجور! أما والله لقد سمى أنه لا يزال مخموراً يخطُب الناس
وهو طافِحٌ فى سُكره. فبلغ ذلك يزيدَ بنَ معاوية، فما أمسى ليلته حتى جهز جيش الحرة،
وهو عشرون ألفا، وجلس والشموعُ بين يديه، وعليه ثيابٌ مُعصفرة، والجنود تُعرَض
عليه ليلا، فلما أصبح خرج فأبصر الجيش، ورأى تعبيته فقال:

أبلغْ أبا بكرٍ إذا الجيشُ انبرى ... وأخذ القومُ على وادى القُرى

(١) المقل: الفقير من المال

أجمع سكرانُ من القوم ترى   عشرين ألفاً بين كهلٍ وفتى
• أم جمع ليثٍ دونه ليثُ الشرى •

* * *

لمّا خرج الحسينُ عليه السلام من مكّة إلى العراق ضرب عبدُ الله بنُ عباس بيدِه على منكب ابنِ الزبير، وقال :

يا لكِ من قُبَّرةٍ بمعمرِ   خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفِري (١)
ونقّري ما شئتِ أن تنقّري   هذا الحسينُ سائرٌ فأبشري

خلا الجوُّ والله لك يابن الزبير ! وسار الحسين إلى العراق ، فقال ابنُ الزبير : يابن عباس ، والله ما ترَوْن هذا الأمر إلا لكم ، ولا ترون إلا أنكم أحق به من جميع الناس ، فقال ابنُ عباس : إنما يرى من كان في شكّ ، ونحن من ذلك على يقين ولكن أخبرني عن نفسك ، بماذا تروم هذا الأمر ؟ قال : بشرفي ، قال : وبماذا شرفتَ إن كان لك شرف ؟ فإنما هو بنا ، فنحن أشرف منك ، لأنّ شرفك منّا . وعلت صواتهما ، فقال غلام من آل الزبير : دعْنا منك يابن عباس ؛ فو الله لا تحبّونا يابني هاشم ولا نحبّكم أبداً ! فلطمه عبدُ الله بن الزبير بيده وقال : أتتكلّم وأنا حاضر ! فقال ابنُ عباس : لِمَ ضربت الغلامَ ، والله أحقُّ بالضرب منهُ من مزّق ومرّق ، قال : ومَن هو ؟ قال : أنت .

قال : واعترض بينهما رجالٌ من قريش فأسكتوهما .

* * *

---

(١) تنسب الأبيات إلى طرفة ، العقد الثمين ١٨٥ .

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاوية ، فقال : اسمع أبياتاً قلتُها أعاتبك فيها ، قال : هاتِ ، فأنشده :

لَعمرِكَ ما أدرى وإنّى لأوْجَلُ	على أيِّنا تَعدو المنيةُ أوّلُ
وإنّى أخوكَ الدائمُ العَهدِ لم أَزَلْ	إن أعياكَ خصمٌ أو نبا بكَ منزلُ
أحاربُ من حاربْتَ من ذى عداوةٍ	وأحبسُ يوماً إن حُبِسْتَ فأعقلُ
وإن سؤتَنى يوماً صفحتُ إلى غدٍ	ليعقبَ يومٌ منك آخرُ مُقبلُ
ستقطعُ فى الدّنيا إذا ما قطعْتنى	يمينَك فانظرْ أىَّ كفٍّ تَبدَّلُ
إذا أنت لم تُنصفْ أخاك وجدتَه	على طرفِ الهِجْران إن كان يعقلُ
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيمَه	إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مَعدِلُ
وكنتُ إذا ما صاحبٌ ملَّ صحبتى	وبدّل شرّاً بالذى كنتُ أفعلُ
قلبتُ له ظهرَ المِجَنِّ ولم أقِمْ	على الضيمِ إلاّ رَيثما أتحوّلُ
وفى الناسِ إن رَثّتْ حبالُك واصلٌ	وفى الأرضِ عن دارِ القِلى متحوَّلُ
إذا انصرفتْ نفسى عن الشىء لم تكدْ	إليه بوجهٍ آخرَ الدهرُ تُقبلُ

فقال معاوية : لقد شعرتَ بعدى يا أبا خُبيب ! ولم يلبث أن دخل معنُ بنُ أوسٍ المُزنىّ ، فقال له معاوية : إيهٍ ! هل أحدثتَ بعدنا شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : قل ! فأنشد هذه الأبيات ، فعجب معاويةُ وقال لابن الزبير : ألم تُنشدْها لنفسك آنفاً ؟ فقال : أنا سوّيتُ المعانى ، وهو ألّف الألفاظَ ونظَمها ، وهو بعدُ ظئرى[١] ، فما قال من شىء فهو لى — وكان ابن الزّبير مسترضَعاً فى مُزَينة — فقال معاوية : وكذِباً يا أبا خبيب ! فقام عبدُ الله فخرج .

(١) يقال : هى ظئره وهو ظئره ، وهم وهن أظآره ، أى أخواته من رضاعه

وقال الشعبيّ : فقد رأيت تحت فناء الكعبة أنا وعبد الله بن الزبير وعبدُ الملك بنُ مروان ومصعب بن الزبير ، فقام القوم بعد ما فرَغوا من حديثهم ، فقالوا : ليَقُمْ كلُّ واحد منكم؛ فيأخذ بالرُّكن اليمانيّ ، ثم يسأل الله تعالى حاجته ، فقام عبد الله بن الزبير فالتزم الرُّكن وقال : اللّهم إنك عظيم تُرجَى لكلّ عظيم ، أسألك بحُرمة وجهك وحُرمة عرْشك وحرمة بيتك هذا ، ألاّ تخرجني من الدنيا حتى أَلِيَ الحجاز ، ويسلَّم عليّ بالخلافة ، وجاء فجلس .

فقام أخوه مصعب فالتزم الركن وقال اللهمّ ربّ كلّ شيء ، وإليك مصيرُ كلّ شيء ، أسألك بقُدرتك على كل شيء ، ألاّ تُميتَني حتى أَلِيَ العراق ، وأتزوّج سُكينة بنت الحسين بن عليّ عليه السلام ثمّ جاء فجلس .

فقام عبد الملك فالتزم الركن وقال : اللّهمّ ربّ السموات السّبع ، والأرض ذات النبت والقَفْر ، أسألك بما سألك به المطيعون لأمرك ، وأسألك بحق وجهك ، وبحقك على جميع خلقك ، ألاّ تُميتَني حتى ألِي شرق الأرض وغربها ، لا يُنازعني أحد إلاّ ظَهَرتُ عليه ، ثم جاء فجلس .

فقام عبد الله بنُ عمرَ فأخذ بالرّكن وقال : يا رحمن يا رحيم ، أسألك برحمتك التي سبقتْ غضبك ، وبقدرتك على جميع خلقك ، أن لا تُميتني حتى توجِب لي الرحمة .

قال الشّعبي : فو الله ما خرجتُ من الدّنيا حتى بلغ كلّ من الثلاثة ما سأل ، وأحِقّ بعبدِ الله بن عمر أن تجاب دعوتهُ ، وأن يكون من أهل الرحمة .

* * *

قال الحجّاج فى خطبته يوم دخل الكوفة : هذا أدبُ ابن نهية ، أما والله لأؤدّبنّكم غيرَ هذا الأدب .

قال ابن ماكولا فى كتاب الإكمال : « يعنى مُصعب بن الزبير وعبد الله أخاه ، وهى نَهية بنتُ سعيد بن سهم بن هُصَيْصٍ ، وهى أمّ ولد أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ » ، وهذا من المواضع الغامضة .

* * *

وروى الزبير بنُ بكّار فى كتاب أنساب قريش قال : قَدِم وفدٌ من العراق على عبد الله بن الزبير ، فأتوه فى المسجد الحرام ، فسلموا عليه ، فسألهم عن مصعب أخيه وعن سيرته فيهم ، فأثنَوْا عليه ، وقالوا : خيراً ، ودمث فى يوم جمعةٍ ، فصلّى عبد الله بالناس الجمعة ، ثمّ صَعِد المنبر ، فحمِد الله ثم تمثّلَ :

قد جرَّبونى ثمّ جرَّبونى   من غلوتَيْنِ ومِن المئين[(١)]
حتى إذا شابُوا وشيَّبونى   خلَّوا عِنانى ثمّ سيَّبونى[(٢)]

أيّها النـاس ، إنى قد سألتُ هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير فأحسنوا الثناء عليه ، وذكروا عنه ما أحبّ ، ألا إن مصعباً أطْبَى[(٣)] القلوب حتى لا تعدل به ، والأهواء حتى لا تحوّل عنه ، واستمال الألسن بثنائها ، والقلوب بنصائحها ، والأنفس بمحبّتها وهو المحبوب فى خاصّته ، المأمونُ فى عامّته ، بما أطلق اللهُ به لسانه من الخير وبَسَط به يديه من البذل ، ثم نزل .

وروى الزّبير قال : لمـا جاء عبـد الله بنَ الزّبير نعى المصعب صَعِد المنبرَ فقـال :

---

(١) غلوة : الغاية   (٢) سيبونى : تركونى

(٣) أطبى القلوب : استمالها .

الحمدُ لله الذى له الخلق والأمر ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويُعزّ من يشاء ، ويُذلّ من يشاء ، ألا وإنه لم يُذلل اللهُ من كان الحقّ معه ولو كان فردا ، ولم يُعزّز اللهُ وليّ الشيطان وحزبه وإن كان الأنام كلهم معه ، ألا وإنه قد أتانا من العراق خبرٌ أحزننا وأفرحنا ، أتانا قتلُ المصعب رحمه الله ، فأما الذى أحزننا فإنّ لفراق الحميم لذعة يجدها حميمُه عند المصيبة ، ثم يرعوى بعدها ذو الرأى إلى جميل الصبر وكريم العزاء ، وأما الذى أفرحنا فإن قتله كان عن شهادة ، وأنّ الله تعالى جعل ذلك لنا وله ذخيرة ، ألا إنّ أهلَ العراق ، أهلُ الغدر والنفاق ، أسلموه وباعوه بأقلّ الثمن فإن يُقتل المصعب فإنا لله وإنا إليه راجعون ما نموت حتفا كما يموت بنو العاص ، ما نموتُ إلّا قتلا ، قعصاً[1] بالرماح ، وموتاً تحت ظلال السيوف ، إلا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ، فإن تُقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الأشر البطر[2] ، وإن تُدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الخرِف المهتر ، وإن يَهلِك المصعب فإنّ فى آل الزبير خلفا ، ثم نزل .

***

وروى الزبير بن بكّار قال : خطب عبدُ الله بنُ الزبير بعد أن جاءه مقتل المصعب ، فحمد اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال : لئن أُصبتُ بمصعب فلقد أصبت بإمامى عثمان فعظمت مصيبته ، ثم أحسن الله وأجمل ، ولئن أُصبت بمُصعب فلقد أصبت بأبى الزبير ، فعظمت مُصيبتُه ، فظننتُ أنى لا أجبرها ، ثم أحسن الله وسلّم واستمرت مريرتى ، وهل كان مُصعبٌ إلّا فتى من فتيانى ، ثم غلبه البكاء فسالتْ دموعُه وقال : كان والله سَرِيًّا مَريًّا ثم قال :

---

(١) القعص : الموت السريع .
(٢) الأشر والبطر كلاهما بمعنى واحد .

همُ دَفعوا الدّنيا على حين أعرَضَتْ كِراماً وسنّوا للكِرامِ التأسّيـا

* * *

ورَوَى أبو العبّاس في الكامل أنّ عروةَ حينَ صُلِبَ عبدُ الله جاء إلى عبدِ الملك فوَقَفَ ببابه ، وقال للحاجب : أعلِمْ أميرَ المؤمنين أنّ أبا عبدِ الله بالباب ، فدخل الحاجب فقال : رجلٌ يقول قولا عظيما . قال : وما هو ؟ فتهيّب ، فقال : قل . قال : رجلٌ يقول : قلْ لأميرِ المؤمنين : أبو عبد الله بالباب ، فقال عبد الملك : قلْ لعروةَ يدخُل ، فدَخَل فقال : تأمرُ بإنزالِ جيفةِ أبي بكر؟ فإنّ النساء يَجزَعْنَ ، فأمَر بإنزالِه . وقد كان كَتَبَ الحجّاجُ إلى عبدِ الملك يقول : إنّ خزائنَ عبدِ الله عند عُرْوة ، فمُرْه فليُسلِّمْها ؛ فدَفَع عبدُ الملك الكتابَ إلى عروة ، وظنّ أنّه يتغيّر ، فلم يَحفِل بذلك كأنّه ما قرأه ، فكَتَب عبدُ الملك إلى الحجّاج أن لا يَعرِض لعروة .

* * *

ومن الكلام المشهور في بُخل عبدِ الله بن الزبير الكلامُ الذي يُحكَى أنّ أعرابيًّا[1] أتاه يَستحمِله ، فقال : قد نَقِبَ خُفُّ راحِلَتي فاحمِلني[2] إنّي قطعتُ الهواجِرَ إليك عليها فقال له ارْقَعْها بسِبْت ، واخصِفْها بهُلْب ، وأنجِدْ بها ، وسِرْ بها البردين[3] ، فقال : إنّما أتيتُك مستحمِلا ، لم آتِك مستوصِفا ، لعنَ الله ناقةً حملتني إليك ، قال : إنّ وراكِبَها[4] .

---

(١) الخبر في الأغاني ١ : ١٥ ، ١٦ .

(٢) الأغاني : « قد نقبت خفي ، ونقبت راحلتي » ونقب البعير : إذا رقت أخفافه .

(٣) السبت : جلود البقر المدبوغة بالقرظ تحذى منها النعال السبتية . والخصف : أن يظاهر الجلدين بعضهما إلى بعض ويخرزهما . والهلب : شعر الخنزير الذي يخرز به ، الواحد هلبة ، وأنجد : إذا دخل بلاد نجد ، وهو موصوف بالبرد ؛ والبردان : الغداة والعشي .

(٤) في الأغاني عن اليزيدي : « إن » هاهنا بمعنى نعم ، كأنه أقر بما قال ، ومثله قول ابن قيس الرقيات :

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقَدْ كَبِرْتَ ، فقلتُ إنّهْ

وهذا الأعرابي هو فضالة بن شريك، فهجاه فقال :

أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ[1]

من الأعياصِ أو مِن آلِ حَرْبٍ أغرَّ كغُرَّةِ الفرَسِ الجوادِ

* * *

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تدعَنَّ مروانَ يرمي جماهيرَ قُريش بمشاقصه[2] ، ويضرب صفاتَهم بمعوله ، أما والله، إنه لولا مكانُك لكان أخفَّ على رقابنا من فَراشة ، وأقلَّ في أعيننا من خُشاشة[3] وايمُ الله لئن مَلَكَ أعنَّةَ خيلٍ تنقادُ له لتركبَنَّ منه طبَقاً[4] تخافه .

فقال معاوية : إنْ يطلبْ مروانُ هذا الأمر فقد طَمِعَ فيه مَن هو دونه ، وإنْ يتركْه يتركْه لمن فوقه ، وما أراكم منتهين حتى يبعثَ الله عليكم من لا يَعطِف عليكم بقرابة ، ولا يذكركم عند مُلِمَّة ، يسومكم خَسْفاً ، ويسوقكم عَسْفاً .

فقال ابن الزبير : إذنْ والله يطلق عقال الحرب بكتائبَ تمور[5] كرِجْل الجراد ، تتبع غِطْرِيفاً[6] من قريش لم تكن أمُّه راعيةَ ثَلَّة[7]

فقال معاوية : أنا ابن هند، أطلقتُ عقال الحرب ، فأكلتُ ذِروة السَّنام ، وشربتُ عُنْفُوان المكرَع[8] وليس للآكل بعدي إلا الفِلْذة[9] ، ولا للشارب إلا الرَّنق[10] .

(١) من ستة أبيات في الأغاني . وأبو خبيب كنية ابن الزبير ؛ وخبيب ولده الأكبر . ويقال : نكده حاجته ؛ إذا منعه إياها

(٢) المشاقص : جمع مشقص ؛ وهو النصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

(٣) الخشاشة : واحدة الخشاش ؛ وهي حشرات الأرض والعصافير ونحوها .

(٤) الطبق : الحال ؛ وفي قوله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾ .

(٥) تمور : تضطرب (٦) الغطريف : السيد الشريف

(٧) الثلة : جماعة الغنم ؛ أو الكثيرة منها

(٨) عنفوان الشيء : أوله ، أو أول بهجته . والمكرع : المورد ، مفعل من كرع في الماء أو الإناء

(٩) الفلذة : القطعة من اللحم (١٠) ماء رنق : كدر .

فسكت ابنُ الزبير .

• • •

قَدِم عبد الله بنُ الزّبير على معاوية وافدا ، فرحّب به وأدناه حتّى أجلسه على سريره ، ثم قال : حاجَتَك أبا خُبيب ، فسأله أشياء ، ثم قال له : سَلْ غيرَ ماسألتَ ؟ قال : نعم . المهاجرون والأنصار تَرُدُّ عليهم فيئهم ، وتحفظ وصيّةَ نبيّ الله فيهم ، تقبَل من مُحسِنهم ، وتتجاوز عن مُسيئهم .

قال معاوية : هَيْهاتَ هَيهات ، لا والله ما تأمَن النعجةُ الذئبَ وقد أكَل أليتَها[1] .

قال ابنُ الزّبير : مَهلا يامعاوية ، فإنّ الشاةَ لتدرّ للحالب وإنّ المُدْية في يده وإنّ الرجل الأديبَ ليصانع ولدَه الّذى خرجَ من صُلْبه ، وما تدور الرحَى إلّا بقُطْبها ، ولا تَصلُح القوسُ إلّا بمَعجِسها[2] .

قال : ياأبا خُبيب ، لقد أجررتَ الطَّرُوقة قبل هِباب الفَحْل[3] هيهات ، وهى لا تصطكّ لحاتُها اصطكاكَ القروم السواى[4] .

قال ابنُ الزبير : العَطَن بعد العَلَ والعلُّ بعد النَّهَل ، ولا بدّ للرحاء من الثِّفال[5]

ثمّ نهض ابنُ الزبير .

فلما كان العِشاء أخذتْ قُريش مجالسَها ، وخرج معاويةُ على بنى أميّة فوجَد عمرو

---

(١) الألية : ماركب فى العظم من شحم ولحم .   (٢) المعجس : المقبض .

(٣) ناقة طروقة الفحل : بلغت أن يضربها الفحل . وأجره رسنه : جعله يجره . وهب الفحل من الإبل وغيرها هبابا وهبيبا ، أراد السفاد .

(٤) تصطك : تضطرب . والقروم : جمع قرم ؛ وهو الفحل . والسواى : جمع سام ، وصف من سما الفحل سماوة تطاول على الناقة التى تشول بذنبها رغبة اللقاح .

(٥) العطن : مبرك الإبل حول الحوض . والعل والعلل : الشرب الثانى ، والنهل : الشرب الأول . والثفال : جلد أو نحوه يبسط تحت الرحى ليقع عليه الطحين .

ابنَ العاص فيهم ، فقال : ويحكم يابنى أمية ! أفيكم من يكفينى ابنَ الزبير؟ فقال عمرو : أنا أكفيكه ياأميرَ المؤمنين ؛ قال ما أظنك تفعل ؟ قال : بلى والله لأربدنَّ وجهه[١] ولأخرسنَّ لسانه ، ولأردنّه ألينَ من خبلة[٢] .

قال : دونك ، فاعرض له إذا دخل ، فدخل ابنُ الزبير ، وكان قد بلغه كلامُ معاوية وعمرو ، فجلس نصب عينى عمرو ، فتحدثوا ساعةً ثمّ قال عمرو :

وإنى لنارٌ ما يطاقُ اصطلاؤها لدىّ كلامٌ معضِلٌ متفاقمُ[٣]

فأطرق ابنُ الزبير ساعةً ينكتُ فى الأرض ، ثمّ رفع رأسه وقال :

وإنّى لبحرٌ ما يُسامَى عُبابُه متى يَلْقَ بحرى حرٌ نارك يخمدُ

فقال عمرو : والله يابن الزبير إنك ماعلمتَ لتجذبُ أحلابيبَ الفتنة متأزر بوصائل[٤] التّيه ، تتعاطى الذُّرَا الشاهقة ، والمعالىَ الباسقة . وما أنت من قريش فى لباب جوهرها ولامؤنق حسبها[٥] .

فقال ابن الزبير : أما ماذكرتَ من تعاطىّ الذرا فإنّه طال بى إليها وسما ، ما لايطول بك مثلُه أنفٌ حمِىٌّ ، وقلبٌ ذكىٌّ ، وصارمٌ مشرقٌ ، فى تليد فارع[٦] ، وطريفٍ مانعٍ ، إذ قعد بك انتفاخ سَحْرك[٧] ، ووَجيب قلبك[٨] . وأمّا ماذكرت من أنى لستُ من قريش فى لُباب جوهرها ، ومؤنق حسبها ، فقد حضرتنى وإياك الأكفاء العالمون بى وبك ، فاجعلهم بينى وبينك .

---

(١) أى لأصيرنه أربد ؛ والربدة : لون إلى الغبرة .
(٢) الخبلة : القديمة .
(٣) الوصائل : جمع وصيلة ؛ وهى ثوب مخطط يمان .
(٤) تفاقم الأمر ، إذا عظم .
(٥) آنق الشىء إيناقا ؛ أعجب فهو مؤنق .
(٦) فارع : عال .
(٧) السحر : الرئة ؛ ويقال : انتفخ سحره ، أى عدا طوره .
(٨) وجيب القلب : خفقانه واضطرابه .

فقال القوم : قد أنصفك ياعمرو ، قال : قد فعلتُ .

فقال ابن الزبير : أما إذ أمكننى اللهُ منك فلأربِنَّ وجهَك ، ولأخرسنّ لسانك ولترجعنّ فى هذه الليلة ، وكأن الّذى بين مَنكِبَيك مشدود إلى عُروق أخدعَيك ؛ ثمّ قال : أقسمتُ عليكم يامعاشرَ قريش ، أنا أفضلُ فى دين الإسلام أم عمرو ؟ فقالوا : اللهمّ أنت ، قال : فأبى أفضلُ أم أبوه ؟ قالوا : أبوك حوارىّ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وابنُ عمّته ؛ قال : فأمى أفضلُ أم أمّه ؟ قالوا : أمّك أسماء بنتُ أبى بكر الصّدّيق، وذاتُ النّطاقين؛ قال : فعمّتى أفضلُ أم عمّتُه؟ قالوا : عمّتُك خديجة أمّ المؤمنين صاحبةُ رسول الله صلى الله عليه وآله أفضلُ من عمّته ، قال : فخالتى أفضلُ أم خالته ؟ قالوا : خالتك عائشةُ أمُّ المؤمنين ، قال : فجدّتى أفضلُ أم جدّته؟ قالوا : جدّتك صفيّة بنتُ عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فجدى أفضلُ أم جدُّه ؟ قالوا : جدُّك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال :

قَضَت الغطارفُ من قُريش بيننا ... فاصبر لفصْل خِصامِها وقضائها[1]

وإذا جرَيْتَ فلا تُجارِ مبرّزا ... بذّ الجياد على احتفال جرائها[2]

أما والله يابن العاص لو أن الذى أمرَك بهذا واجهنى بمثله لقصرّت إليه من سامى بصره ولتركته يتلجلَج لسانه ، وتضطرم النار فى جوفه ، ولقد استعان منك بغير واب ولجأ إلى غيرِ كافٍ ، ثمّ قام فخرج .

* * *

وذكر المسعودىّ فى كتاب مُرُوج الذهب أنّ الحجّاج لما حاصر ابن الزبير لم يزل يزحَف حتى مَلَك الجبل المعروف بأبى قُبَيْس ، وقد كان بيدِ ابن الزبير ، فكتب

(١) الغطارف : جمع غطريف ؛ وهو السيد .

(٢) برز تبريزا : فاق أصحابه ، وبذ : فاق وغلب . واحتفل القوم : اجتمعوا . والجراء والمجاراة ، مصدر «جارى» .

بذلك إلى عبد الملك ، فلما قرأ كتابه كبّر وكبّر من كان فى داره حتى اتّصل التكبير بأهل السّوق ، فكبّروا ، وسأل الناسُ ما الخبر؟ فقيل لهم : إن الحجاج حاصرَ ابنَ الزبير بمكة ، وظفر بأبى قُبَيْس ، فقال الناس : لا نرضى حتى يَحمل أبو خُبَيْب إلينا مكبّلاً على رأسه بُرْنُس ، راكبُ جمل ، يُطاف به فى الأسواق تراه العيون .

***

وذكر المسعوديُّ أنّ عمة عبد الملك كانت تحت عروة بن الزّبير ، وأنّ عبد الملك كتب إلى الحجّاج يأمره بالكفّ عن عُرْوَة ، وذلك قبل أن يقتل عبدُ الله وألاّ يسوءه إذا ظَفِر بأخيه فى ماله ولا فى نفسه ؛ قال : فلما اشتدّ الحصار على عبد الله خرج عُرْوَة إلى الحجّاج فأخذ لعبد الله أماناً ورجع إليه ، فقال : هذا عمرو بنُ عثمان ، وخالدُ بنُ عبدِ الله بن خالد بن أسيد ، وهما فتيا بنى أمية يعطيانك أمان عبدِ الملك ابن عمّهما على ما أحدثتَ أنتَ ومن معك ، وأن تنزل أىّ البلادِ شئت ، ولك بذلك عهدُ الله وميثاقُه ، فأبَى عبدُ الله قبول ذلك ، ونهته أمّه وقالت : لا تموتَنّ إلاّ كريما فقال لها : إنى أخاف إنْ قُتِلتُ أن أُصلَبَ أو يمثّل بى ، فقالت : إنّ الشاة بعد الذّبح لا تُحِسّ بالسّلخ .

***

وروى المسعوديُّ أنّ عبد الله بن الزّبير بعد موت يزيد بن معاوية طلَبَ مَن يؤمّره على الكوفة ، وقد كان أهلها أحبّوا أن يليهم غير بنى أمية ، فقال له المختار بنُ أبى عُبَيد : اطلُبْ رجلا له رِفق وعلم بما تدبر قوله إياها يستخرجْ لك منها جندا تغلب به أهل الشام، فقال: أنت له، فبعثه إلى الكوفة فأتاها وأخرج ابن مطيع منها ، وابتنى لنفسه داراً وأنفق عليها مالاً جزيلا ، وسأل عبد الله بن الزّبير أن يحتسب له به من مال العراق ، فلم يفعل ، فخلعه وجحَد بيعته ، ودعا إلى الطالبيين .

قال المسعودي : وأظهرَ عبدُ الله بن الزّبير الزّهدَ في الدّنيا ، وملازمةَ العبادة مع الحرْص على الخلافة وشِبَر بَطْنِه ، فقال : إنما بَطْني شِبْر ، فما عَسَى أن يَسَع ذلك الشِّبْر ! وظهَرَ عنه شُحٌّ عظيم على سائرِ الناس ، ففي ذلك يقول أبو حمزة مولى آلِ الزّبير :

إن الموالىَ أمستْ وهي عاتبةٌ   على الخليفةِ تَشْكُو الجوعَ والحَرَبا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا   أيّ الملوك على ما حولنا غلبا !

وقال فيه أيضا :

لو كان بطنُك شبراً قد شبعتَ وقد   أفضلتَ فضلا كثيراً للمساكين
ما زلتَ في سُورةِ الأعراف تَدرُسها   حتى فؤادُك مِثْلُ الخَزّ في اللّين

وقال فيه شاعرٌ أيضا ، لمّا كانت الحرب بينه وبين الحصين بن نُمير قبل أن يموت يزيدُ بن معاويةَ :

فيا راكباً إمّا عرضْتَ فبلّغنْ   كبيرَ بني العوّام إن قيلَ مَنْ تَعْني
تُخبّر مَنْ لاقيتَ أنّك عائذٌ   وتُكثِر قتلَى بين زمزمَ والرُّكن

وقال الضّحّاكُ بن فيروز الدّيلميّ :

تخبّرنا أنْ سوفَ تكفيكَ قبضةٌ   وبطنُك شِبرٌ أو أقلُّ من الشّبْر
وأنتَ إذا ما نلتَ شيئا قضمتَه   كما قضمتْ نارُ الغَضا حطَبَ السّدر
فلو كنتَ تَجزِي أو تُثيبُ بنعمةٍ   قريبا لردّتك العطوفُ على عَمرو

قال : هو عمرو بنُ الزّبير أخوه ، ضربه عبدُ الله حتى مات وكان مباينا له[1] .

---

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٤ ، ٨٥

كان يزيدُ بنُ معاوية قد ولّى الوليدَ بنَ عُتْبة بن أبى سُفْيان المدينة ، فسرّح الوليدُ منها جيشًا إلى مكّة لحرب عبدِ الله بن الزّبير ، عليه عمرو بنُ الزبير ، فلمّا تصافّ القومُ انهزم رجالُ عمرٍو وأسلموه ، فظفِر به عبدُ الله ، فأقامه للناس بباب المسجد مجرّدًا ، ولم يزل يضرِبه بالسِّياط حتى مات (١) .

وقد رأيتُ فى غيرِ كتاب المسعودىّ أنّ عبدَ الله وجد عمرًا عنـد بعض زوجاته ، وله فى ذلك خبرٌ لا أحِبُّ أن أذكره .

* * *

قال المسعودىّ : ثمّ إنّ عبدَ الله بنَ الزبير حبَس الحسنَ بنَ محمّد بن الحنفيّة فى حبْس مظلم (٢) ، وأراد قتله ، فأعمل الحيلةَ حتى تخلّص من السّجن ، وتعسّف الطريقَ على الجبال ، حتى أتى مِنًى ، وبها أبوه محمّد بنُ الحنفيّة (٣) .

ثمّ إنّ عبد الله جمع بنى هاشم كلَّهم فى سجن عارم ، وأراد أن يُحرقهم بالنار ، وجعل فى فم الشِّعب حطبًا كثيرا ، فأرسل مختارٌ أبا عبد الله الجدَلىّ فى أربعة آلاف ، فقال أبو عبدِالله لأصحابه : وَيْحَكم ! إن بلغ ابنَ الزبير الخبرُ عجّل على بنى هاشم فأتى عليهم ، فانتدب هو بنفسه فى ثمانمائة فارس جريدةً ، فما شعَر بهم ابن الزبير إلّا والرايات تخفُق بمكّة ، فقصد قَصْدَ الشِّعب ، فأخرج الهاشميّين منه ، ونادى بشعار محمّد بن الحنفيّة ، وسمّاه المهدىّ ، وهرب ابنُ الزبير ، فلاذ بأستار الكعبة ، فمنعهم محمّدُ بنُ الحنفيّة عن طلبه

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٥

(٢) مروج الذهب : « سجن عارم » .

(٣) فى مروج الذهب : « فى ذلك يقول كثير :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنّكَ عائذٌ	بل العائذُ المظلومُ فى سِجْنِ عارِمِ
ومَنْ يرَ هذا الشيخَ بالخيفِ مِنْ مِنًى	مِن الناسِ يعلمْ أنّه غيرُ ظالِمِ
سَمِىُّ نبىِّ الله وابنُ وصيِّهِ	وفكّاكُ أغلالٍ وقاضى مغارِمِ

وعن الحرب ، وقال : لا أريد الخلافة إلا إن طلبني الناس كلهم واتفقوا على كلهم، ولا حاجة لي في الحرب [1] .

* * *

قال المسعودي : وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب ، وجمعه الحطب ليحرقهم ويقول : إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة ، ولا يختلف المسلمون ، وأن يدخلوا في الطاعة ، فتكون الكلمة واحدة ، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر ، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار [2] .

* * *

قال المسعودي : وخطب ابن الزبير يوم قدم أبو عبد الله الجدلي قبل قدومه بساعتين ، فقال : إن هذا الغلام محمد بن الحنفية قد أبى بيعتي ، والموعد بيني وبينه أن تغرب الشمس ثم أضرم عليه مكانه نارا ، فدخل إنسان إلى محمد فأخبره بذلك ؛ فقال : سيمنعه مني حجاب قوي ، فجعل ذلك الرجل ينظر إلى الشمس ، ويرقب غيبوبتها ليعلم ما يصنع ابن الزبير ، فلما كادت تغرب حاست [3] خيل أبي عبد الله الجدلي ديار مكة وجعلت تمعج [4] بين الصفا والمروة ، وجاء أبو عبد الله الجدلي بنفسه فوقف على فم الشعب ، واستخرج محمد ، ونادى بشعاره ، واستأذنه في قتل ابن الزبير ، فكره ذلك ولم يأذن فيه ، وخرج من مكة فأقام بشعب رضوى حتى مات [5] .

* * *

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٥ (٢) مروج الذهب ٣ : ٨٦

(٣) حاست الخيل : أحاطت بها من كل جانب

(٤) تمعج : تشتد في عدوها يمينا وشمالا .

(٥) مروج الذهب ٣ : ٨٦ ، ٨٧

وروى المسعودىُّ عن سعيد بن جُبير ، أنّ ابن عبّاس دخل على ابن الزبير فقال له ابنُ الزبير : إلامَ[1] تؤنّبنى وتنتقّصنى ! قال ابنُ عبّاس : إنّى سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول : « بئس المرء المُسلِم يَشبَع ويَجوعُ جارُه ! » ، وأنت ذلك الرّجل ، فقال ابنُ الزّبير : والله إنّى لأكتُمُ بُغضَكم أهلَ هذا البيت منذُ أربعين سنة . وتشاجرا ، فخرجَ ابنُ عباسٍ من مكّة ، [خوفاً على نفسه] فأقام بالطّائف حتّى مات[2] .

* * *

وروى أبو الفرج الأصفهانىّ[3] قال : أتى فضالة بن شريك الوالبىّ ثمّ الأسدىّ من بنى أسد بن خزيمة عبدَ الله بنَ الزّبير فقال : نفِدتْ نفقتى ، ونَقِبَتْ ناقتى ، فقال : أحضِرْنيها، فأحضرَها ، فقال : أقبِلْ بها، أدبِرْ بها ، ففعل، فقال : ارقَعْها بِسِبْت،واخصِفْها بهُلْب ، وأنجِدْ بها يَبرُدْ خُفُّها ، وسِر البَردَين تصِحّ . فقال فضالة : إنّى أتيتُك مستحمِلاً ، ولم آتِكَ مستوصِفاً ، فلعنَ اللهُ ناقةً حملَتنى إليكَ ! فقال : إنّ وراكبَها ! فقال فضالة :

أقول لِغِلمةٍ شُدّوا رِكابى ... أُجاوزْ بطنَ مكّةَ فى سَوادِ
فمالى حينَ أقطعُ ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابنِ الكاهِليّةِ من مَعادِ[4]
سيُبعِد بينَنا نَصُّ المطايا ... وتَعليقُ الإداوَى والمَزادِ[5]
وكلُّ مُعبَّدٍ قد أعلمَتْه ... مَناسِمُهنّ طِلاعَ النِّجادِ[6]

---

(١) فى د : « علام » .
(٢) مروج الذهب ٣ : ٨٩ والزيادة منه
(٣) الأغانى ٩ : ١٥ ، ١٦
(٤) ذات عرق : مهل أهل العراق ؛ وهو الحد بين نجد وتهامة .
(٥) نص المطايا : استخراج أقصى ما عندها من السير . والأداوى : جمع إداوة ؛ وهى وعاء الماء والمزاد : جمع مزادة ؛ وهى الراوية يحمل فيها الماء .
(٦) المعبد : الطريق المذلل . وأعلمته مناسمهن ، أثرت فيه بأخفافها . والنجاد : جمع نجد ؛ وهو ما غلظ من الأرض .

أرى حاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ
من الأعياصِ أو مِن آلِ حَرْبٍ أغرّ كغُرّة الفرس الجوادِ

ـ قال : ابنُ الكاهليّة هو عبدُ الله بن الزبير ، والكاهليّة هذه هي أمّ خُوَيْلد بن أسد بن عبدِ العُزّى ، وأمُّها زُهْرة بنت عمرو بن خَنْثر بن رُوَيْبة بن هِلال ، من بني كاهِل بن أسد بن خزيمة ـ قال : فقال عبدُ الله بنُ الزبير لما بلغه الشعر : عَلِم أنها شرُّ أمهاتي فعيّرني بها ، وهي خيرُ عمّاته .

* * *

وروى أبو الفرج قال : كانت صفيّة بنتُ أبي عبيد بن مسعود الثقفيّ تحتَ عبدِ الله ابن عمر بن الخطاب فمشَى ابن الزبير إليها ، فذكر لها أنّ خروجَه كان غضباً لله عزّ وجلّ ولرسوله صلّى الله عليه وآله وللمهاجرين والأنصار من أثَرَة معاوية وابنه بالفَيْء ، وسألها مسألةَ زوجِها عبد الله بن عمر أن يبايعه ، فلما قدّمت له عشاءه ذكرتْ له أمرَ ابن الزبير وعبادته واجتهاده ، وأثنتْ عليه ، وقالت : إنه ليدعو[1] إلى طاعة الله عزّ وجلّ ، وأكثرتْ القولَ في ذلك ، فقال لها : ويحكِ ! أما رأيتِ البَغَلات الشُّهْب التي كان يحجّ معاوية عليها ، وتقدم إلينا من الشام ؟ قالت : بلى ؛ قال : والله ما يريدُ ابنُ الزبير بعبادته غيرَهن[2] !

---

(١) د : « إنه لا يدعو إلا إلى طاعة الله » . (٢) الأغاني ١ : ٢٢ ، ٢٣ .

(٤٥٩)

الأصْلُ :

وقال عليه السلامُ :

مالابْنِ آدمَ والفَخْرِ ! أوّلُهُ نُطْفَةٌ ، وآخِرُهُ جِيفَةٌ . لا يَرْزُقُ نَفْسَهُ ، ولا يَدْفَعُ حَتْفَهُ .

***

الشَّرْحُ :

قد تقدّم كلامُنا في الفَخْر ، وذكرْنا الشِّعْرَ الّذي أُخِذَ من هذا الكلام ، وهو قولُ القائل :

مابالُ مَنْ أوّلُه نُطفةٌ ... وجيفةٌ آخِرُه يفخَرُ

يُصبِح مايَملِكُ تقديمَ ما ... يَرجُو ولا تأخيرَ مايَحذَرُ !

***

[فصل في الفخر وما قيل في النهي عنه]

وقال بعضُ الحكماء : الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان ، وذلك نهايةُ الحمق لمن نظر بعيْن عقله ، وحَسَر عنه قِناعَ جهله ، فأعراض الدّنيا عاريةٌ مستَرَدّة ، لا يؤمَن في كلّ ساعة أن تُرتجَع ، والمباهِي بها مُباهٍ بما في غير ذاته .

وقد قال لبعض مَن فخرَ بثروته ووَفره : إن افتخرتَ بفرَسِك فالحسنُ والفراهة له دونَك ، وإن افتخرتَ بثيابك وآلاتك فالجمالُ لها دونَك ، وإن افتخرتَ بآبائك

وسَابِقك فالفضلُ فيهم لا فيك ، ولو تكلّمتْ هذه الأشياء لقالتْ لك : هذه محاسنُنا فما محاسِنُك !

وأيضا فإن الأعراض الدنيويّة كما قيل : سحابةُ صَيف عن قليلٍ تقشّع ، وظلٌّ زائل عن قريب يضمحِلّ ، كما قال الشاعر :

إنّما الدّنيا كرُؤيا فرّحتْ ... مَن رآها ساعةً ثمّ انقضتْ

بل كما قال تعالى : ﴿ إنّما مَثَل الحياة الدّنيا كماء أنزلناه من السماء فاختَلَط به نباتُ الأرض ممّا يأكل النّاس والأنعامُ حتّى إذا أخذَتِ الأرضُ زخرفَها وازّينتْ وظنّ أهلُها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهارا فجعلناها حَصِيدا كأنْ لم تَغْن بالأمسِ ﴾ (١) .

وإذا كان لا بدّ من الفَخرفليفخَر الإنسانُ بعلمه وشَريف خُلُقه ، وإذا أعجبَك من الدّنيا شيء فاذكرْ فناءك وبقاءه ، أو بقاءك وفناءه ، أو فناءكما جميعا ، وإذا راقَك ماهوَ لكَ فانظرْ إلى قُرْب خرُوجه من يَدِك ، وبُعد رجوعِه إليك ، وطُول حِسابكَ عليه ، وقد ذَمّ الله الفَخُور فقال : ﴿ واللهُ لا يُحِبّ كلّ مختالٍ فخورٍ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة يونس ٢٤   (٢) سورة الحديد ٢٣

(٤٦٠)

الأصْـلُ

الغِنَى والفَقْرُ بَعْدَ العَرْضِ عَلَى اللهِ تعالى .

* * *

الشَّـرْحُ

أى لا يُعَدّ الغنى غنيا في الحقيقة إلا من حصل له ثواب الآخرة الذى لا يَنقطع أبدا ولا يعدّ الفقير فقيراً إلّا مَنْ لم يَحصُل له ذلك ، فإنه لا يزال شقيًا معذّبا ، وذاك هو الفَقْر بالحقيقة .

وأمّا غِنى الدنيا وفقرُها فأمران عَرَضيّان ، وزوالهما سريع ، وانقضاؤهما وَشِيك .

وإطلاق هاتَيْن اللفظتين على مَعْنَيَيْهما الدّنيوىّ على سبيلِ المجاز عند أربابِ الطريقة ، أعنِي العارفين .

الأمثال :

وسُئِلَ عَنْ أشْعَرِ الشُّعَراءِ ، فقال عليه السلامُ .

إنَّ القَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الغايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِها ، فإنْ كانَ ولا بُدَّ فالمَلِكُ الضِّلِّيلُ .

قال : يُرِيدُ امْرَأَ القَيْسِ .

***

[فى مجلس على بن أبى طالب]

النص :

قرأتُ فى أمالى ابن دُرَيد ، قال : أخبرنا حرمُوزىّ ، عن ابن المهلّبى ، عن ابن الكلبىّ ، عن شدّاد بن إبراهيم ، عن عبيد الله بن الحسن العنبرىّ ، عن ابن عرادة ، قال : كان علىّ بنُ أبى طالب عليه السلام يُعشّى الناسَ فى شهر رمضان باللحم ولا يتعشّى معهم ، فإذا فرغوا خطَبهم ووعظَهم ، فأفاضوا ليلةً فى الشُّعراء وهم على عَشائهم ، فلمّا فرَغوا خطَبهم عليه السلام وقال فى خُطبته : اعلموا أنّ مِلاكَ أمرِكم الدِّين ، وعِصمتَكم التقوى ، وزينتَكم الأدب ، وحُصون أعراضكم الحِلْم ؛ ثم قال : قل يا أبا الأسود : فِيمَ[1] كُنتمْ تفيضون فيه؟ أىّ الشعراء أشعر ؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين الذى يقول :

ولقد أغتدى يُدافِعُ رُكْنِي أعوجىٌّ ذو ميعةٍ إضريجُ[2]

(١) فى د : « ما كنتم » ؛ وهو وجه أيضاً (٢) ديوان أبى دواد ٢٩٩ .

مِخَطٌ مِزْيَلٌ مِقَرٌّ مِفَرٌّ مِنفَح مِطرَح سَبُوحٌ خَرُوجُ

يعني أبا دُواد الإيادىّ ، فقال عليه السلام : ليس به ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لو رُفعتْ للقوم غايةٌ فجرَوْا إليها معاً علمنا مَن السابقُ منهم ، ولكنْ إنْ يكن فالذى لم يَقُل عن رَغبة ولا رَهْبة . قيل : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو الملِكُ الضِّلِّيل ذو القُروح ، قيل : امرؤُ القيس يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو . قيل : فأخبِرْنا عن ليلة القَدْر ؟ قال : ما أخلو من أن أكون أعلمها فأسْتُرَ علمها ، ولستُ أشُكّ أنّ الله إنما يَسْتُرها عنكم نظراً لكم ، لأنه لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها ، وأرجو أن لا تُخطئكم إن شاء الله ، انهضوا رحمكم الله

وقال ابن دُرَيد لما فرغ من خبر الحديث : يشتق في عَدْوِه ، وقيل واسعُ الصَّدْر ومنفح : يُخرِج الصَّيد من مواضعه ، ومِطْرَح : يطرح بصره ، وخَرُوج : سابقٌ . والغاية بالغين المعجمة : الراية ، قال الشاعر :

وإذا غايةُ مجدٍ رُفعتْ   نهَضَ الصَّلْتُ إليها فحواها

ويُروى قولُ الشمّاخ :

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ   تلقّاها عَرابةُ باليمينِ[1]

بالغين ، والراء أكثر . فأما البيت الأول فالغين لا غير ، أنشده الخليل في عَرُوضه ، وفي حديثٍ طويلٍ في الصحيح : « فيأتونكم تحت ثمانين غايةً ، تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفاً » . والمَيعة : أوّل جَرْى الفرَس ؛ وقيل : الجرْى بعد الجرْى .

* * *

---

(١) ديوانه ٩٧

[اختلاف العلماء فى تفضيل بعض الشعراء على بعض]

وأنا أذكرُ فى هذا الموضع ما اختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، وأبتدئ فى ذلك بما ذكره أبو الفرج علىّ بن الحسين الأصفهانى فى كتاب الأغانى .

قال أبو الفرج : الثلاثة المقدَّمون على الشعراء : امرؤ القيس ، وزُهير ، والنابغة ، لا اختلاف فى أنّهم مقدَّمون على الشعراء كلِّهم ، وإنما اختُلِف فى تقديم بعض الثلاثة على بعض (١) .

قال : فأخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلّام ، عن أبى قيس ، عن عكرمة بن جرير ، عن أبيه ، قال : شاعرُ أهل الجاهليّة زهير .

قال : وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدثنى عمرُ بنُ شبّة ، عن هارون بن عمر ، عن أيوب بن سُوَيد ، عن يحيى بن زياد ، عن عمر بن عبد الله اللَّيثىّ ، قال : قال عمرُ بنُ الخطاب ليلةً فى مسيره إلى الجابية : أين عبدُ الله بنُ عبّاس ؟ فأُتى به ، فشكا إليه تخلُّف علىّ بن أبى طالب عليه السلام عنه . قال ابن عبّاس : فقلتُ له : أو لم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت : فهو ما اعتذر به . قال : ثم أنشأ يحدّثنى فقال : إن أوّل من رابكم عن هذا الأمر أبو بكر ؛ إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة . قال أبو الفرج : ثمّ ذكر قصةً طويلةً ليستْ من هذا الباب (٢) ، فكرهتُ ذكرها ثمّ قال : يا ابن عبّاس ، هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومَن هو ؟ قال : وَيْحَكَ ! شاعرُ الشعراء ، الذى يقول :

فلو أنّ حَمْداً يُخْلِدُ النّاسَ خُلِّدوا ولكنّ حَمْدَ النّاسِ ليس بمُخْلِدِ

---

(١) الأغانى ١٠ : ٢٨٨

(٢) ذكرت هذه القصة مفصلة فى الطبرى ٤ : ٢٢٢ — ٢٢٤ (طبع المعارف)

فقلتُ : ذاك زُهَير ، فقال : ذاك شاعرُ الشعراء ؛ قلتُ : وبِمَ كان شاعرَ الشعراء ؟ قال : إنه كان لا يُعاظِل الكلام ، ويتجنّب وحشيّه ، ولا يمدح أحداً إلا بما فيه .

قال أبو الفرج : وأخبرني أبو خليفة قال : قال ابن سلّام : وأخبرني عمرُ بنُ موسى الجمحيّ ، عن أخيه قدامة بن موسى — وكان من أهل العِلم — أنه كان يقدِّم زُهَيرا ، قال : فقلتُ له : أيُّ شعره كان أعجب إليه ؟ فقال : الذي يقول فيه :

قد جَعَل المبتغون الخيرَ في هَرِمٍ والسائلون إلى أبوابه طرقا[1]

قال ابن سلّام : وأخبرني أبو قيس العنبريّ — ولم أرَ بدويّا يفي به — عن عكرمة ابن جرير ، قال : قلت لأبي : يا أبت ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أعَن أهل الجاهلية تسألني ، أم عن أهل الإسلام ؟ قال : قلتُ : ما أردت إلا الإسلام ، فإذ كنتَ قد ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ؛ فقال : زُهير أشعرُ أهلها ، قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نبعة الشّعر ؛ قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيدُ مَدح الملوك ، ويصيب وصف الخمر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : إني نحرت الشّعر نحرا[2] .

قال : وأخبرني الحسن بن عليّ قال : أخبرنا الحارثُ بن محمد عن المدائنيّ ، عن عيسى بن يزيد ، قال : سأل معاويةُ الأحنف : أشعرَ الشعراء ؟ فقال : زُهَير ؛ قال : وكيف ذاك ؟ قال : ألقى عن المادحين فضول الكلام ، وأخذ خالصَه وصفوته ؛ قال : مِثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

وما يكُ من خير أتَوْه فإنما توارثه آباء آبائهم قبلُ
وهل يُنبتُ الخطّيَّ إلاّ وَشيجُهُ وتُغرَس إلا في مَنابتِها النخلُ[3]

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، قال : حدّثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدثنا

---

(١) الأغاني ١٠ : ٢٨٨ ، ٢٨٩
(٢) الأغاني ١٠ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ وفي « نحرت الشعر نحراً » .
(٣) الأغاني ١٠ : ٢٩٠

عبد الله بن عمرو القيسي قال : حدثنا خارجة بن عبد الله بن أبي سفيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : خرجتُ مع عمر في أول غزاة غزاها ، فقال لي ليلة : يابن عباس ، أنشدني لشاعر الشعراء ؛ قلتُ : مَن هو ؟ قال : ابن أبي سُلمى . قلتُ : ولِمَ صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يَتْبَع حُوشيَّ الكلام ، ولا يُعاظِل في مَنطِقه ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، أليس هو الذي يقول :

إذا ابتدرَتْ قيسُ بنُ عَيلانَ غايةً ... إلى المجد مَن يَسْبِقْ إليها يُسَوَّدِ

سَبَقتَ إليهـا كلَّ طَلْقٍ مبرِّزٍ ... سَبُوقٍ إلى الغايات غيرِ مُزَنَّدِ

قال : أي لا يحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسَّوْط

كفضل جَواد يسبق الخيلَ عَفْوُه الـــسَّريعَ وإن يَجْهَد ويَجْهَدْنَ يَبْعُدِ

فلو كان حمداً يخلد الناسَ لم تَمُتْ[1] ... ولكنَّ حمدَ الناسِ ليس بمُخْلِدِ

أنشدني له ، فأنشدته حتى بَرَقَ الفجر ، فقال : حسبُك الآن ، اقرأ القرآن . قلت : ما أقرأ ؟ قال : الواقعة ، فقرأتها ، ونزل فأذّن وصلّى[2] .

وقال محمد بن سلاّم في كتاب " طبقات الشعراء " : دخل الحطيئة على سعيد بن العاص متنكِّرًا ، فلما قام الناسُ وبقي الخواصّ أراد الحاجبُ أن يقيمه ، وأبى أن يقوم ، فقال سعيد : دعْه ؛ وتذاكروا أيام العرب وأشعارها ، فلما أسهبوا قال الحطيئة : ما صنعتم شيئًا ؛ فقال سعيد : فهل عندك علمٌ من ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعرُ العرب ؟ قال : الذي يقول :

قد جَعَلَ المُبتَغون الخيرَ في هَرِمٍ ... والسائلون إلى أبوابه طُرُقا

قال : ثُمَّ مَن ؟ قال : الذي يقول :

---

(١) في د « خلدوا » .   (٢) الأغاني ١٠ : ٢٩٠ ، ٢٩١

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعَتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ

يعني زُهيرا ، ثمّ النابغة ؛ ثمّ قال : وحسْبك بى إذا وضعتُ إحدى رجلىّ على الأخرى ثم عوَيْتُ فى إثْر القوافى كما يعوى الفَصِيل فى أثْرِ أمه ! قال : فمن أنت ؟ قال : أنا الحطيئة ، فرحّب به سعيد ، وأمر له بألف دينار .

قال : وقال من احتج لزهير : كان أحْسَنَهم شعرا ، وأبعدَهم من سُخْف ، وأجمعهم لكثير من المعنى فى قليلٍ من المنطق ، وأشدَّهم مبالغة فى المدح ، وأبعدهم تكلّفا ومجرفيّة وأكثرهم حكمة ومَثَلا سائرا فى شِعْره .

وقد روى ابن عبّاس عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضلُ شُعَرائكم القائل ومَن ومَن » ، يعنى زهيرا ، وذلك فى قصيدته التى أوّلها : « أمِنْ أمّ أوْفى » يقول فيها :

ومَن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضله ... على قومِه يُستغن عنه ويُذْمَمِ
ومن لم يَذُدْ عن حَوضِه بسلاحِهِ ... يُهدَّمْ ، ومن لا يظلِمِ الناسَ يُظلَمِ
ومن هابَ أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ ... ولو نال أسبابَ السَّماء بسُلَّمِ
ومَن يجعلِ المعروفَ من دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ ومن لا يتّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

* * *

فأما القول فى النابغة الذُّبْيانىّ فإن أبا الفرج الأصبهانى قال فى كتاب الأغانى : كُنْيَة النابغة أبو أمامة ، واسمُه زياد بن معاوية ، ولُقّب بالنابغة لقوله [1] :

* فقد نَبَغَتْ لهم مِنّا شئون *

وهو أحدُ الأشراف الذين غضّ الشعر منهم ، وهو من الطبقة الأولى المقدّمين على سائر الشعراء .

---

(١) الأغانى ١١ : ٣

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر قالا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني أبو نعيم ، قال : شريك عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ربعي ابن حراش ، قال : قال لنا عمر . يامعشر غطفان ، من الذي يقول :

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي   على خوفٍ تُظَنّ بيَ الظنونُ

قلنا : النابغة ، قال : ذاك أشعر شعرائكم[1] .

قلتُ : قولُه : «أشعر شعرائكم» ، لا يدلّ على أنه أشعرَ العرب ، لأنه جعله أشعر شعراء غطفان ، فليس كقوله في زهير شاعرُ الشعراء ، ولكنّ أبا الفرج قد روى بعدَ هذا خبراً آخرَ صريحاً في أنّ النابغة عند عمر أشعرُ العرب . قال : حدثني أحمدُ وحبيب ، عن عمرَ بنِ شبّة ، قال : حدثنا عبيد بن جناد ، قال : حدثنا معن بنُ عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَمي ، عن جدّه ، عن الشعبي قال : قال عمر يوما : مَن أشعر الشعراء ؟ فقيل له : أنتَ أعلم ياأميرَ المؤمنين ؛ قال : من الذي يقول :

إلّا سليمانَ إذ قال المليكُ له   قُم في البريّة فاحدُدها عن الفَنَدِ[2]

وخيّس الجنّ إني قد أذنتُ لهم[3]   يبنون تدمُرَ بالصُّفّاح والعَمَدِ[4]

قالوا : النابغة ؛ قال : فمن الذي يقول :

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي   على خوفٍ تُظَنّ بيَ الظنونُ

قالوا : النابغة ؛ قال : فمن الذي يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبةً   وليس وراء الله للمرء مذهبُ

لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّي خيانةً   لَمُبْلِغُك الواشي أغشُّ وأكذبُ[5]

(١) الأغاني ١١ : ٣ ، ٤ .   (٢) فاحددها : فامنعها . والفند : الخطأ .

(٣) خيس الجن : أي ذللهم ؛ وفي الأغاني : « وخبّر الجن » .

(٤) تدمر : مدينة مشهورة قديمة كانت ببرية الشام . والصفاح : حجارة دقاق عراض واحدها صفاحة ، والعمد : جمع عمود .   (٥) بعده في الأغاني :

وَلَسْتَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمّهُ   على شَعَثٍ ؛ أيّ الرجال المهذّبُ !

قالوا : النابغة ، قال : فهو أشعرُ العرب[1] .

قال : وأخبرني أحمدُ ، قال : حدثنا عمر، قال : حدثني عليُّ بنُ محمد المدائنيّ قال : قام رجل إلى ابن عباس ، فقال له : أيُّ الناس أشعر ؟ قال : أخبِرْه يا أبا الأسود ، فقال أبو الأسود : الذي يقول :

فإنك كالليلِ الذي هو مُدرِكي ... وإن خلتُ أنّ المُنتأى عنكَ واسعُ

يعني النابغة[2] .

قال أبو الفرج : وأخبرني أحمدُ وحبيب ، عن عمرَ عن أبي بكر العُلَيميّ ، عن الأصمعيّ ؛ قال : كان يُضرب للنابغة قبّةٌ أدَمٍ بسوقِ عُكاظ فتأتيه الشعراء فتعرِض عليه أشعارَها ، فأنشده مرةً الأعشى ، ثم حسانُ بنُ ثابت ، ثمّ قوم من الشعراء ، ثم جاءت الخنساء فأنشدته :

وإنّ صخراً لتأتمّ الهُداةُ به ... كأنّه علَمٌ في رأسِه نارُ

فقال : لولا أنّ أبا بصير ـ يعني الأعشى ـ أنشدني آنفاً لقلتُ : إنّكِ أشعرُ الإنس والجنّ . فقام حسان بنُ ثابت فقال : أنا والله أشعر منها ومنك ومن أبيك ، فقال له النابغة : يابنَ أخي ، أنت لا تُحسِن أن تقول :

فإنك كالليـــلِ الذي هو مُدرِكي ... وإن خلتُ أنّ المُنتأى عنكَ واسعُ
خطاطيفُ حُجْنٌ في حبالٍ متينـــةٍ ... تمُدّ بهـــا أيدٍ إليكَ نوازعُ[3]

قال : فخنَس حسان لقوله[4] .

قال : وأخبرني أحمد وحبيب ، عن عمرَ ، عن الأصمعيّ ، عن أبي عمرو بنِ العلاء

---

(١) الأغاني ١١ : ٤ ، ٥ (٢) الأغاني ١١ : ٥

(٣) الخطاطيف : جمع خطاف ، وخطاف البئر حديدة حجناء تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن : معوجة ، واحدها أحجن ، والأنثى حجناء . ونوازع : جواذب .

(٤) خنس : انقبض ، والخبر في الأغاني ١١ : ٦

قال : حدثني رجل سمّاه أبو عمرو وأُنيسته ، قال : بينا نحن نسيرُ بين أنقاء[1] من الأرض ، فتذاكرْنا الشعر ، فإذا راكب أُطَيْلِس يقول : أشعر الناس زيادُ بنُ معاوية ، ثمّ تملّس فلم نره .

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبدالعزيز ، عن عمر بن شبّة ، عن الأصمعيّ ، قال : سمعتُ أبا عمرو بنَ العلاء يقول : ما ينبغي لزُهير إلّا أن يكون أجيرًا للنابغة . قال أبو الفرج : وأخبرنا أحمدُ عن عمر ، قال قال عمرو بن المنتشر المُراديّ : وفَدْنا على عبدِ الملك بنِ مَرْوان ، فدخَلْنا عليه ، فقام رجل فاعتذر من أمرٍ وحَلَف عليه ، فقال له عبدُ الملك : ما كنتَ حَرِيًّا أن تفعل ولا تعتذر ، ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيُّكم يروِي اعتذارَ النابغة إلى النُّعمان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِكَ رِيبةً ... وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذهَبُ

فلم يجدْ فيهم من يَرْويه ، فأقبل عليّ وقال : أترويه ؟ قلتُ : نعم ، فأنشدتُه القصيدةَ كلَّها ، فقال : هذا أشعر العرب .

قال : وأخبرني أحمدُ وحبيب عن عُمَر ، عن مُعاويةَ بن بكر الباهليّ ، قال : قلتُ لحمّاد الراوية : لِمَ قدّمت النابغة ؟ قال : لاكتفائكَ بالبيْت الواحد مِن شِعره ، لا بل بنصف البيت ، لا بل برُبْع البيت ، مِثل قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسكَ رِيبةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَـذهَبُ
ولستَ بمُستبْقٍ أخًا لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ ، أيّ الرجالِ المهذَّبُ

رُبْع البيْت يُغنيك عن غيره ، لو تمثّلتَ به لم تحتجْ إلى غيره .

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، عن عمرَ بن شبّة ، عن هارون بن عبد الله

---

(١) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . وأُطيلس : تصغير أطلس ؛ وهو ما في لونه غبرة إلى السواد . وتملّس : تخلّص وأفلت .

الزُّبيري[١] ، قال : حدّثني شيخٌ يُكنى أبا داود ، عن الشعبيّ ، قال : دخلتُ على عبدِ الملك وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه ، وذلك أوّل يومٍ وَفَدتُ فيه من العراق على عبدِ الملك ، فقلتُ حين دخلتُ : عامر بن شراحيل الشَّعبيّ يا أميرَ المؤمنين ، فقال : على علمٍ ما أذِنّا لك ، فقلتُ : هذه واحدة على وافد أهلِ العراق ـ يعني أنّه أخطأ ـ قال : ثمّ إنّ عبد الملك سأل الأخطلَ : مَن أشعَر الناس ؟ فقال : أنا ، فعجلتُ وقلتُ لعبد الملك : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم ، وقال : الأخطل ؛ فقلتُ في نفسي : اثنتان على وافدِ أهلِ العراق ، فقلتُ له : أشعَر منكَ الذي يقول :

هـــــــذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُهُ   مُستقبَلُ الخيرِ سريعُ التمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الـ   أصغرِ فالأعرجِ خيرُ الأنامْ
ثم لهندٍ ولهندٍ وقد   أسرعَ في الخيرات منه أمامْ[٢]

قال : هي أُمامةُ أمّ عمرو الأصغر بن المنذر بن امرئ القَيس بن النعمان بن الشقيقة :

خمســـــةٌ آباؤه هُمْ ماهُمُ   أفضلُ مَن يشرب صَوبَ الغَمامْ

والشِّعر للنابغة ، فالتفت إليّ الأخطل فقال : إنّ أمير المؤمنين إنّما سألني عن أشعَر أهلِ زمانه ، ولو سألني عن أشعَر أهلِ الجاهليّة كنتُ حريًا أن أقول كما قلتَ أو شبيهًا به ؛ فقلتُ في نفسي : ثلاثٌ على وافدِ أهلِ العراق .

قال أبو الفرج : وقد وجدتُ هذا الخبرَ أتمّ من هذه الرواية ، ذكره أحمدُ بنُ الحارث الخرّاز في كتابه ، عن المدائنيّ ، عن عبدِ الملك بن مُسلِم ، قال : كتب عبدُ الملك بنُ مَروانَ إلى الحجّاج : إنّه ليس شيءٌ من لذّة الدنيا إلّا وقد أصبتُ منه ، ولم يبقَ

(١) ب : « الزهري » ، وصوابه في ا ، د والأغاني
(٢) في الأغاني : « ثم لهند ولهند فقد »

عندى شىء ألذّ من مُناقلة الإخوان الحديثَ ، وقد لَكَ عامرُ الشَّعبيّ فابعثْ به إلىّ ، فدعا الحجّاج الشّعبيّ ، فجهّزه وبعثَ به إليه ، وقرّظه وأطراه فى كتابه ، فخرج الشعبيُّ حتى إذا كان بباب عبدِالملك قال للحاجب : استأذِن لى ، قال : مَن أنت ؟ قال : أنا عامرٌ الشّعْبىّ قال : يرحمُك[1] الله ؛ قال : ثمّ نهض فأجلسَنى على كرسيّه ، فلم يلبَثْ أن خرج إلىّ فقال : ادخُل يرحمك الله ؛ فدخلتُ ، فإذا عبد الملك جالسٌ على كرسىّ ، وبين يديه رجلٌ أبيضُ الرأس واللحية، جالسٌ على كرسىّ ، فسلّمتُ ، فردّ علىّ السلام ، فأومأَ إلىّ بقضيبه ، فجلستُ عن يساره، ثمّ أقبل على ذلك الإنسان الّذى بين يديه فقال له : مَن أشعَر الناس ؟ فقال : أنا يا أميرَ المؤمنين ؛ قال الشّعبىّ : فأظلمَ ما بينى وبينَ عبدِ الملك ، فلم أصبِرْ أن قلتُ : ومَن هذا الذى يزْعم أنّه أشعَرُ الناس يا أميرَ المؤمنين ؟ فعَجِب عبدُ الملك من عَجَلتى قبل أن يسألنى عن حالى ، فقال : هذا الأخطل ؛ فقلتُ : يا أخطَل ، أشعرُ والله منكَ الّذى يقول :

هــذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُهُ   مستقبِلَ الخيرِ سريعُ التّمامْ

الأبيات .

قال : فاستحسنَها عبدُ الملك ، ثمّ ردّدتُها عليه حتّى حفِظَها ، فقال الأخطل : مَن هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : هذا الشّعبىّ ؛ فقال : والإنجيلِ ما استعذتُ بالله من شرٍّ إلا من هذا — أى والإنجيل — صَدَق والله يا أميرَ المؤمنين ، النابغةُ أشعرُ منّى ، قال الشّعبىّ : فأقبل عبدُ الملك حينئذ علىّ فقال : كيف أنتَ يا شَعبىّ ؟ قلتُ : بخير يا أمير المؤمنين، فلا زلتَ به ثمّ ذهبتُ لأصنَعَ معاذيرَ لما كان من خلافى مع ابْن الأشعث على الحجّاج ، فقال : مَهْ إنّا لا نحتاج إلى هذا المَنطِق ، ولا تراه منّا فى قولٍ ولا فعلٍ حتّى تفارقنا ؛ ثمّ أقبل علىّ فقال : ما تقول فى النّابغة ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمرُ بنُ الخطّاب فى غـيرِ

(١) وفى نسخة : يرحمك الله .

مُوَطنٍ على جميع الشُّعراء ، ثمّ أنشدْتُه لشِعْر الذى كان عمرُ يُعجَب به من شِعْره ، وقد تقدّم ذِكْرُه . قال : فأقبل عبدُ الملك على الأخطل فقال له : أتُحِبُّ أنّ لك قياسًا بشعرك شِعْرَ أحــدٍ من العرب ، أم تحبّ أنك قلته ؟ قال : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين إلّا أنّى وَدِدْتُ أنى كنتُ قلتُ أبياتًا قالها رجلٌ منّا ، ثمّ أنشدَه قولَ القطامىّ :

إنّا مُحيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّهـــا الطَّلَلُ ... وإنْ بَلِيتَ وإن طالَتْ بكَ الطِّيَلُ[1]

ليس الجــديد به تَبْقَى بشاشتُهُ[2] ... إلّا قليلا ولاذو خُــــلَّةٍ يَصِلُ

والعَيْشُ لا عيشَ إلّا ما تقَرُّ به ... عيْنٌ ولا حالَ إلّا سوفَ تنتقِــلُ

إنْ تَرجِعِى من أبى عثمانَ مُنجِحةً ... فقد يَهُون على المستنجِح العَمَلُ[3]

والناسُ مَن يَلْقَ خيرًا قائلون له ... ما يَشتهِى ولأُمِّ المخطِىءِ الهَبَــلُ

قد يُدرِكُ المتأنّى بعضَ حاجتِــــه ... وقد يكون مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

قال الشَّعبىّ : فقلتُ : قد قال القطامىّ أفضلَ من هــذا ؛ قال : وما قال ؟ قلتُ : قال :

طَرَقَتْ جَنوبُ رحالَنــا من مَطْرَقِ ... ما كنتُ أحسَبُها قريبَ المُعْنَقِ[4]

إلى آخرها[5] ، فقال عبدُ الملك : ثَــكِلَتِ القطامىَّ أمُّه ! هذا واللهِ الشِّعرُ ، قال : والتفت إلىّ الأخطلُ فقال : ياشعبىّ ، إنّ لك فنونًا فى الأحاديث ، وإنّما لى فنٌّ واحد فإن رأيتَ ألّا تحمِلنى على أكتافِ قومِك فتدعَهم حَرَضًا[6] ، فقلتُ : لا أعرض لك فى شىء من الشِّعْر أبدًا ، فأقِلْنى هــذه المرّة ، فقــال : مَن يتكفّل بك ؟ قلتُ :

---

(١) الطلل : ما شخص من آثار الديار . والطيل : جمع طيلة ، وهى الدهر .

(٢) الضمير فى « به » يعود على الدهر   (٣) منجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .

(٤) المعنق : المكان الذى أعنقت منه ، والعنق (بالتحريك) : ضرب من السير السريع .

(٥) أوردها صاحب الأغانى   (٦) الحرض : الردىء من الناس ، أى اجعلهم بهجائى من أراذل الناس .

أميرُ المؤمنين ، فقال عبد الملك : هو عَلَيَّ أنه لا يَعرِض لك أبدا ، ثم قال عبدُ الملِك : ياشَعْبِيّ ، أيّ نساء الجاهلية أشعَر ؟ قلتُ : الخنساء ؟ قال : ولم فَضَّلْتَها على غيرِها ؟ قلتُ : لقولها :

وقائلةٍ والنَّعْشُ قد فاتَ خَطْوَها ... لِتُدرِكَه : يالَهفَ نفسى على صَخْرِ !

ألا هَبِلَتْ أمُّ الذين غَدَوْا به ... إلى القبرِ ، ماذا يَحمِلون إلى القَبْرِ !

فقال عبدُ الملك : أشعَرُ منها والله التى تقول [1] :

مُهَفْهَفٌ أهضَمُ الكَشْحَين مُنخرِقٌ [2] ... عنه القميصُ بِسَيْرِ الليلِ مُحتقِرُ

لا يأمَنُ الدهرَ مُمساهُ ومُصبَحَه ... من كلِّ أوْبٍ وإن لم يَغْزُ يُنتَظَرُ

قال : ثم تبسَّم عبدُ الملك وقال : لا يَشُقَّنَّ عليك ياشَعْبِيّ ، فإنما أعلَمْتُك هذا لأنه بلغنى أنّ أهلَ العراق يتطاولون على أهل الشام ، ويقولون : إن كانوا غلَبونا على الدَّولة فلم يَغلِبونا على العِلم والرِّواية ، وأهل الشام أعلَمُ بعِلْمِ أهلِ العراق من أهلِ العراق ، ثم ردّد علىّ أبيات لَيلى حتى حفِظتُها ، ثم لم أزل عنده أوّلَ داخلٍ وآخِرَ خارج ، فمكثتُ كذلك سنينَ ، وجعلنى فى ألفين من العطاء ، وجعلَ عشرين رجلا من ولدى وأهل بيتى فى ألف ألف ، ثم بعثنى إلى أخيه عبدِ العزيز بمصرَ ، وكتب إليه : ياأخى ، قد بعثتُ إليك بالشَّعْبى ، فانظرْ هل رأيتَ قطُّ مثلَه [3] ؟

قال أبو الفرَج الأصبهانىّ فى ترجمة أوْس بن حَجَر : إنّ أبا عبيدة قال : كان أوسُ شاعرَ مُضَر حتى أسقَطَه النابغة ؛ قال : وقد ذَكَر الأصمعىّ أنه سمع أبا عمرو بن العلاء يقول : كان أوسُ بنُ حَجَر فحلَ العرب ، فلما نشأ النابغةُ طأطأ منه [4] .

وقال محمدُ بنُ سَلّام فى كتاب طبقات الشعراء : وقال من احتجّ للنابغة : كان أحسَنهم

---

(١) هى ليلى أخت المنتشر بن وهب الباهلى . (٢) مهفهف الكشح : ضامره .

(٣) الأغانى ١١ : ٢١ ـ ٢٦

ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا ؛ كان شعره كلام ليس بتكلف ، والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر ، لأن الشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي ، والمتكلم مطلق ، يتخير الكلام كيف شاء ، قالوا : والنابغة نبغ بالشعر بعد أن احتنك ، وهلك قبل أن يهتر .

قلت : وكان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي البصري يفضل النابغة ، وسمعته يقرأ يوما وبيدي ديوان النابغة قصيدته التي يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويذكر مرضه ، ويعتذر إليه مما كان اتهم به ، وقذفه به أعداؤه ، وأولها .

كتمتك ليلا بالجومين ساهرا ... وهمين : همّا مستكنا وظاهرا[1]

أحاديث نفس تشتكي ما يريبها ... وورد هموم لن يجدن مصادرا

تكلفني أن يفعل الدهر همها ... وهل وجدت قبلي على الدهر ناصرا !

يقول . هذه النفس تكلفني ألا يحدثها الدهر همّا ولا حزنا ، وذلك مما لم يستطعه أحد قبلي .

ألم تر خير الناس أصبح نعشه ... على فتية قد جاوز الحيّ سائرا !

كان الملك منهم إذا مرض حمل على نعش وطيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة والخورنق والنجف ، ينزهونه .

ونحن لديه نسأل الله خلده ... يرد لنا ملكا وللأرض عامرا[2]

ونحن نرجي الخير إن فاز قدحه ... ونرهب قدح الدهر إن جاء قامرا

لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا ... وأصبح جد الناس بعدك عاثرا

وردت مطايا الراغبين وعريت ... جيادك لا يحفي لها الدهر حافرا

---

(١) ديوانه ٣٩ ـ ٤٢ ، والجومان : موضع

(٢) الخلد : البقاء

رأيتكَ ترعانى بعين بصيرةٍ ... وتبعث حراساً علىَّ وناظرا

وذلكَ مِنْ قول أتاكَ أقولُه ... ومن دَسّ أعداء إليكَ المآبر(١)

فآليتُ لا آتيكَ إن كنتُ مُحرماً ... ولا أبتغى جاراً سِواكَ مجاورا

أى لا آتيك حتى يثبتَ عندك أنى غيرُ مجرم .

فهل فيه : لامرئ إن أتيته ... تقبلَ معروفى وسدَّ المفاقرا(٢)

سأربط كفى أن يريبكَ سخطُه ... وإن كنتُ أرعى مسحلانَ وحامرا(٣)

أى سأمنعك لسانى عن هجائك وإن كنتُ بالشام فى هذين الواديين البعيدين عنك

وحلت بيوتى فى يفاعٍ ممنّع ... تخالُ به راعى الحمولة طائرا(٤)

تزلّ الوعولُ العصمُ عن قذفاته ... وتضحى ذراه بالسحاب كوافرا

حِذاراً على ألا تنال مقادتى ... ولا نسوتى حتى يمتْنَ حرائرا

يقول : أنا لا أفخرك وإن كنت من المنعة والرفعة على هذه الصفة . .

أقولُ وقد شطّت بى الدارُ عنكمُ ... إذا ما لقيتُ من معدٍّ مسافرا

ألا أبلغ النعمانَ حيثُ لقيتَه ... فأهدى له اللهُ الغيوثَ البواكرا

وأصبحه فلجاً ولا زال كعبُه ... على كل من عادى من الناس ظاهرا

وربُّ عليه اللهُ أحسَنَ صنعه ... وكان على كلِّ المعادين ناصرا(٥)

فقال أبو جعفر رحمه الله يهتز ويضطرب : نعم . والله لو مرحتْ هذه القصيدة شعر البحترى لكادت تمتزج لسهولتها وسلامة ألفاظها ، وما عليها من الديباجة والرونق ؛ من يقول إن امرأ القيس وزهيراً أشعرُ من هذا ؟ هلمّوا فنحكا كوى

(١) المآبر : النمائم (٢) تقبل : تعنى قبل . والمفاقر : جمع فقر
(٣) ديوان « ــ » كمع كفى ، ، أى سأمنعها . ومسحلان وحامر : موضعان
(٤) يفاع : المشرف من الأرض . والحمولة : الإبل التى أطاقت الحمل (٥) ربه : أتمه

فأما امرؤ القيس بن حُجْر، فقال محمد بن سلاّم الجمحيّ فى كتاب " طبقات الشعراء " : أخبرنى يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدّمونه على الشعراء كلهم ، وأن أهل الكوفة كانوا يقدّمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية يقدّمون زهيرا والنابغة[1].

قال ابن سلاّم : فالطبقة الأولى إذن أربعة . قال : وأخبرنى شعيب بن صخر ، عن هارون بن إبراهيم ، قال : سمعت قائلا يقول للفرزدق : مَن أشعر الناس يا أبا فراس ؟ فقال : ذو القروح ، يعنى امرأ القيس ، قال : حين يقول : ماذا ؟ قال حين يقول :

وَقاهمْ جَدُّهم ببنى أبيهمْ وبالأَشْقَيْن ما كان العِقابُ

قال : وأخبرنى أبان بن عثمان البجلىّ ، قال : مرّ لبيد بالكوفة فى بنى نهد ، فأتبعوه رسولا يسأله : من أشعر الناس ؟ فقال : الملكُ الضِّلِّيل . فأعادوه إليه ، فقال : ثمّ مَن ؟ فقال : الغلامُ القتيل ـ يعنى طرفة بن العبد ـ وقال غيرُ أبان : قال : ثمّ ابن العشرين ، قال : ثمّ مَن ؟ قال : الشيخ أبو عقيل يعنى نفسه[2] .

قال ابن سلاّم : واحتج لامرئ القيس من يقدّمه فقال : إنه ليس[3] قال ما لم يقولوه ، ولكنه سبق العربَ إلى أشياء ابتدعها استحسنتها العرب ، واتّبعه فيها الشعراء ، منها استيقاف صحبه ، والبكاء فى الديار ، ورقّة النسيب ، وقرب المأخذ ، وتشبيهُ النساء بالظباء وبالبيض ، وتشبيهُ الخيل بالعقبان والعصىّ ، وقيد الأوابد ، وأجاد فى التشبيب ، وفصل بين النسيب وبين المعنى ، وكان أحسنَ الطبقة تشبيها[4] .

قال : وحدثنى معلّم لبنى داود بن علىّ قال : بينا أنا أسير فى البادية إذا أنا برجل على ظليم قد زمّه وخطمه وهو يقول :

---

(١) طبقات الشعراء ٤٤ (٢) طبقات الشعراء ٤٤
(٣) طبقات الشعراء : « ما قال ما لم يقولوا » (٤) طبقات الشعراء ٤٦

هل يُبلِّغَنِّيهِمْ إلى الصَّباح هِقْلٌ كأنّ رأسَه جُماحُ

قال : فما زال يذهب به طَبيعُهُ وَيَجيء به حتى أَنِستُ به وعَلِمتُ أنّه ليس بإِنسيّ فقلت : ياهذا ، من أشعرُ العرب ؟ فقال . الذى يقول :

أغرّكِ منّى أنّ حُبّكِ قاتِلى وأنّكِ مهما تأمرى القلبَ يَفعلِ

يعنى امرأ القيس ، قلتُ : ثمّ مَن ؟ قال : الذى يقول :

وتَبْرُدُ بَرْدَ رِداءِ العَرُو سِ بالصَّيف رقرقتَ فيه العبيرا
وتَسخُنُ ليلةَ لا يَستطيعُ نُباحًا بها الكَلْبُ إلّا هَريرا

ثمّ ذَهب به طَبيعه فلم أرَه [١] .

* * *

قال : وحدّث عَوانةُ ، عن الحسن أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال لحسّان بن ثابت : من أشعرُ العرَب ؟ قال : الزُّرقُ العيونِ من بنى قَيْس ، قال : لستُ أسألك عن القبيلة ، إنما أسألك عن رَجُلٍ واحدٍ ، فقال حسّان : يا رسولَ الله ؛ إنّ مَثَلَ الشّعراء والشِّعرِ كمَثَلِ ناقةٍ نُحِرتْ ، فجاء امرؤ القَيْس بنُ حُجْر فأخذ سَنامها وأطايبها ، ثمّ جاء المتجاوِران من الأَوْس والخَزْرج فأخذا ما والَى ذلك منها ، ثم جَعَلت العربُ تمزّعها حتى إذا بقى الفَرْثُ والدَّمُ جاء عمرو بنُ تميمٍ والنمِر بنُ قاسط فأخذاه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله : « ذاك رجلٌ مذكورٌ فى الدنيا شريفٌ فيها خاملٌ يوم القيامة ، معه لواء الشّعراء إلى النار » [٢] .

* * *

فأمّا الأعشى فقد احتجّ أصحابه بتفضيله بأنه كان أكثرَهم عَرُوضا ، وأذهبَهم فى فنون الشعر ، وأكثرَهم قصيدةً طويلةً جيّدة ، وأكثرَهم مَدحًا وهجاءً ، وكان أوّلَ من سأل

بشعره ، وإن لم يكن له بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه الثلاثة .

وقد سُئل خلف الأحمر : من أشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهي إلى واحد يُجتمع عليه كما لا يُنتهى إلى واحد هو أشجع الناس ، ولا أخطب الناس ، ولا أجمل الناس ، فقيل له : يا أبا محرز ، فأيهم أعجب إليك ؟ قال : الأعشى كان أجمعهم .

قال ابن سلام : وكان أبو الخطاب الأخفش مستهترا به يقدمه ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره . ويقول : نظيره في الإسلام جرير ، ونظير النابغة الأخطل ، ونظير زهير الفرزدق (١) .

* * *

فأما قول أمير المؤمنين عليه السلام « ملك الضليل » فإنما سُمي امرؤ القيس ضِلّيلا لما يُمان به في شعره من الفسق ، والضِّلِّيل : الكثير الضلال ، كالشرِّيب ، والخِمِّير والسِّكِّير ، والفِسِّيق ، الكثير الشرب وإدمان الخمر والسُّكر والفسق ، فمن ذلك قوله :

فمثلك حُبلى قد طرقتُ ومُرضِعاً ... فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ (٢)

إذا ما بكى من خلفها انصرفتْ له ... بشِقٍّ وتحتي شِقُّها لم يُحوَّلِ

وقوله :

سَمَوتُ إليها بعد ما نام أهلُها ... سُموَّ حَبابِ الماء حالاً على حالِ (٣)

فقالتْ لحاكَ اللهُ إنك فاضِحِي ... ألستَ ترى السُّمّارَ والناسَ أحوالي

فقلتُ لها تاللهِ أبرحُ قاعداً ... ولو قطَعوا رأسي لديكِ وأوصالي

---

(١) طبقات الشعراء   (٢) ديوانه ١٢

(٣) ديوانه ٣١ ـ ٣٢

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذي شماريخ ميّالِ

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ... ورضتُ فذلّت صعبةً أيّ إذلالِ

حلفتُ لها بالله حلفةَ فاجـرٍ ... لناموا فما إن من حديثٍ ولا صالِ

فأصبحتُ معشوقا وأصبح بعلها ... عليه القتام كاسفَ الوجه والبالِ

وقوله في اللامية الأولى :

وبيضةِ خدرٍ لا يُرامُ خباؤها ... تمتّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعجَلِ (١)

تجاوزتُ أحراساً إليها ومعشراً ... عليّ حِراصاً لو يُسِرّون مَقتلي

فجئتُ وقد نضّت لنومٍ ثيابها ... لدى السِّتر إلاّ لِبسةَ المتفضّلِ

فقالت يمينَ الله مالكَ حيـلةٌ ... وما إن أرى عنكَ الغواية تنجلي

فقمتُ بها أمشي تجرُّ وراءنا ... على إثرنا أذيالَ مِرطٍ مرجّلِ

فلما أجزنا ساحةَ الحيّ وانتحى ... بنا بطنُ خبتٍ ذي حِقافٍ عَقَنقلِ

هصرتُ بفودَي رأسها فتمايلتْ ... عليّ هضيمَ الكشحِ ريّا المُخلخلِ

وقوله :

فبتّ أكابدُ ليلَ التمام ... والقلبُ من خشيةٍ مقشعرْ

فلما دنوتُ تسدّيتها ... فثوباً نسيتُ وثوباً أجرْ

ولم يرَنا كالئٌ كاشحٌ ... ولم يفشُ منّا لدى البيت سِرْ

وقد رابني قولها يا هنا ... هُ ويحكَ ألحقتَ شرّاً بشرْ

---

(١) ديوانه ١٣ ـ ١٥

وقوله :

تقولُ وقد جرّدتُها من ثيابها … كما رُعْتَ مكحولَ المدامعِ أتلعا (١)

لعمرُك لو شيءٌ أتانا رسولُه … سواك ولكنْ لم نجدْ لك مدفعا

فبتنا نصدّ الوحشَ عنّا كأنّنا … قتيلان لم يعلم لنا الناسُ مصرعا

تُجافي عن المأثور بيني وبينها … وتُدْني عليّ السابريَّ المُضلَّعا

وفي شعر امرىء القيس من هذا الفنّ كثير ، فمن أراده فليَطلُبْه من مجموع شعره .



(١) ديوانه ٢٤٤

(٤٦٢)

الأصْــلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

ألا حُرٌّ يَدَعُ هذِهِ اللُّماظَةَ لأهلِها ! إنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إلاَّ الجَنَّةَ ، فَلا تَبِيعُوها إلاَّ بِها .

• • •

الشَّــرْحُ :

اللُّماظة بفتح اللام : ما تبقّى في الفم من الطعام ؛ قال يصف الدنيا :

• لماظةُ أيامٍ كأحلامِ نائمِ •

ولَمَظ الرجل يَلمُظ بالضم لَمْظاً ، إذا تتبع بلسانه بقيّة الطعام في فيه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه ، وكذلك التلمّظ ، يقال : تلمّظت الحيّة إذا أخرجتْ لِسانَها كما يتلمّظ الآكل .

وقال : « ألا حرٌّ » ، مبتدأ ، وخبرُه محذوف أي في الوجود . وألا حرفٌ، قال :

ألا رجلٌ جزاه الله خيراً ... يدُلّ على مُحَصِّلةٍ تبيتُ

ثم قال : إنه ليس لأنفسكم ثمنٌ إلاّ الجنة ، فلا تبيعوها إلا بها ، من الناس من يبيعُ نفسه بالدراهم والدنانير ، ومن الناس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء وأهونها ، ويتبع هواهُ فيهلك ، وهؤلاء في الحقيقة أحمقُ الناس ، إلا أنه قد رِين على القُلوب، فعظُمت الذنوب، وأظلمت الأنفسُ بالجهل وسوء العادة ، وطال الأمد أيضاً على القلوب فقَسَتْ ، ولو أفكر الإنسانُ حقّ الفِكْر لما باع نفسه إلاّ بالجنّة لا غير .

(٤٦٣)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مَنْهُومانِ لا يَشْبَعانِ : طالِبُ عِلْمٍ وطالِبُ دُنْيا .

• • •

الشرح :

تقول : نُهِم فلانٌ بكذا فهو مَنْهوم ، أى مُولَع به ، وهذه الكلمة مَرْوِيّة عن النبى صلّى الله عليه وآله : « مَنْهومان لا يَشْبَعان : منهومٌ بالمالِ ، ومنهومٌ بالعلم » والنَّهَم بالفتح : إفراطُ الشَّهْوة فى الطعام ، تقول منه : نَهِمْتُ إلى الطعام بكسر الهاء أنْهَمُ فأنا نَهِم ، وكان فى القرآن آية أُنزلت ثم رُفعت : « لو كان لابن آدم واديانِ من ذَهَبٍ لابتغى لهما ثالثا ، ولا يَملأُ عينَ ابنِ آدم إلّا التراب ، ويتوبُ الله على مَنْ تاب » .

فأمّا طالبُ العِلمِ العاشِقُ له ، فإنه لا يَشْبَع منه أبداً ، وكلّما استكثَرَ منه ازدادَ عِشْقُه له ، وتهالُكُه عليه . مات أبو عثمانَ الجاحظُ والكتابُ على صَدْرِه .

وكان شيخُنا أبو علىّ رحمه الله فى النَّزْع وهو يُملِى على ابنه أبى هاشم مسائلَ فى عِلْمِ الكلام . وكان القاضى أحمدُ بنُ أبى دُواد يأخذُ الكتابَ فى خُفّه وهو راكب ، فإذا جلَسَ فى دارِ الخليفة اشتغَلَ بالنظر فيه إلى أن يَجلِس الخليفة ، ويَدْخُل إليه . وقيل : مافارقَ ابنُ أبى دُواد الكتابَ قَطّ إلّا فى الخلاء . وأعرف أنا فى زَماننا مَن مَكَثَ نحو خمسِ سنينَ لا ينامُ إلّا وقتَ السَّحَر ضيّقا وشاء مُتّكِئًا على كتابٍ صنّفه ، وكانت وسادته التى ينامُ عليها الكتاب .

(٤٦٤)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

علامَةُ الإيمانِ أنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حيثُ يَضُرُّكَ ، عَلَى الكَذِبِ حيثُ يَنْفَعُكَ ، وألّا يَكُونَ في حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ ، وأنْ تَتَّقِيَ اللهَ في حَدِيثِ غَيْرِكَ .

• • •

الشرح :

قد أخذ المعنى الأول القائلُ :

عليكَ بالصِّدْقِ ولَوْ أنّهُ أحْرَقَكَ الصِّدْقُ بنارِ الوَعِيدْ

وينبغي أن يكونَ هذا الحُكْمُ مقيدا لا مطلقا ، لأنه إذا أضرَّ الصِّدْقُ ضررا عظيما يؤدّي إلى تلفِ النَّفْسِ أوْ إلى قطعِ بعضِ الأعضاء لم يَجُزْ فِعْلُه شرعا ، ووجبَتِ المعاريضُ حينئذ .

فإن قلتَ : فالمعاريض صِدْقٌ أيضا ، فالكلامُ على إطلاقه ! قلتُ : هي صِدْقٌ في ذاتها ، ولكنّ مستعملَها لم يَصْدُقْ فيما سُئل عنه ، ولا كَذَبَ أيضا ، لأنه لم يُخبِر عنه ، وإنّما أخبرَ عَنْ شيء آخرَ وهي المعاريض ؛ والتاركُ للخبر لا يكون صادقاً ولا كاذبا ، فوجب أن يقيَّد إطلاقُ الخبَر بما إذا كان الضَّرَرُ غيرَ عظيم ، وكانت منفعةُ الصِّدْقِ أعظمَ نفعا من تلك المَضَرّة .

قال عليه السلام : «وأن لا يكونَ في حديثك فضل عن علمك » ، متى زاد منطق الرجل على عِلْمِه فقد لغا وظهر نقصهُ ، والفاضلُ مَن كان عِلْمُه أكثرَ من مَنطقه . قوله : «وأن تتقي الله في حديث غيرك» ، أي في نقله وروايته فترويه كما سمعته من غير تحريف

الاحتمال :

وقالَ عليهِ السلامُ :

يَغلِبُ المِقدارُ على التَّقديرِ ، حتَّى تَكونَ الآفةُ في التَّدبيرِ .

قال : وقد مضى هذا المعنى فيما تقدَّم بروايةٍ تخالف بعض هذه الألفاظ .

***

التبرع :

قد تقدَّم هذا المعنى ، وهو كثيرٌ جداً ، ومن جيّده قول الشاعر :

لعَمرُكَ مالامَ امرُؤٌ أعطَبَ نفسَهُ ولكنَّه من يخذُلِ اللهُ يُخذَلِ

لجاهدَ حتى تبلُغَ النفسُ عُذرَها وقَلقَلَ يبغي العِزَّ كلَّ مُقلقَلِ

وقال أبو تمام :

ورَكبٍ كأطرافِ الأسِنَّةِ عرَّسوا على مثلِها والليلُ تَسطو غياهبُه[1]

لأمرٍ عليهمْ أنْ تتمَّ صدورُه وليسَ عليهمْ أنْ تتمَّ عواقبُه

وقال آخر :

فإنْ نَبسِ حيطاناً عليه فإنَّما أولئك عُقّالاتُه لا مَعاقِلُه

---

(١) ديوانه ١ : ٢٢٩ .

(٤٦٦)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الحِلْمُ والأناةُ توأمانِ ، يُنْتِجُهُما عُلُوُّ الهِمَّة

* * *

الشرح :

قد تقدم هذا المعنى وشرحه مرارا .

وقال ابن هانئ :

وكلّ أناةٍ في المواطن سؤددٌ ولا كأناةٍ من قديرٍ محكَّمِ (١)

ومَن يتبيَّنْ أنّ للسَّيفِ موضِعاً مِنَ الصَّفحِ يَصفحْ عن كثيرٍ ويحلمِ

وقال أربابُ المعاني : علَّمنا الله تعالى فضيلةَ الأناة بما حكاه عن سليمانَ ، ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴾ (٢)

وكان يقال : الأناة حِصنُ السلامة ، والعَجلة مفتاحُ الندامة .

وكان يقال : التأنِّي مع الخيبة ، خيرٌ من التهوُّر مع النجاح .

وقال الشاعر :

الرِّفقُ يُمنٌ والأناةُ سعادةٌ فتأنَّ في أمرٍ تلاقِ نجاحا

---

(١) ديوانه ١٢٣ وفي د « من قدير محكم » (٢) سورة النمل ٢٧

وقال مَن كره الأناة وذمّها : لو كانت الأناة محمودة والعَجَلة مذمومة ، لما قال موسى لربّه : ﴿ وعَجِلتُ إليكَ ربِّ لِترضَى ﴾ [1] .

وأنشدوا :

عَيبُ الأناةِ وإنْ سَرّتْ عواقِبُها ... أن لا خُلودَ وأن ليسَ الفتى حَجَرا

وقال آخر :

كم من مضيِّعِ فرصةٍ قد أمكنَتْ ... لغدٍ وليسَ له غـدٌ بموافِي

حتى إذا فاتتْ وفاتَ طِلابُها ... ذهبتْ عليها نفسُه حَسَراتِ

(١) سورة طه ٨٤

الأصـــلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الغِيبة جُهْدُ العاجزِ .

• • •

الشَّــرحُ :

قد تقدّم كلامُنا في الغِيبة مُستقصًى .

وقيل للأحنف : مَنْ أشرفُ الناس ؟ قال : من إذا حضَر هابُوه، وإذا غاب اغتابوه .

وقال الشاعر :

وَيغتابُني مَن لو كَفاني اغتيابَهُ ... لكنتُ له العينَ البصيرةَ والأُذْنا

وعندي من الأشياء ما لو ذكرتُها ... إذن قرَعَ الأسنــانَ من ندَمٍ سِنّا

وقد نظمتُ أنا كلمةَ الأحنف فقلتُ :

أكلُ عِرضي إن غبتُ ذمًّا وإن أُبْـ ... ـتُ فمــدحٌ ورَهْبــةٌ وسُجودُ

هكذا يفعلُ الجبانُ ، شجاعٌ ... حين يخلو، وفي اللقا رِعْـــــديدُ

لكَ مِنّي حالان في غَيْبك الخشـ ... ـــية خشيا وفي الفــؤادِ وَقودُ

الأصْـلُ

وقالَ عليه السلامُ :

رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ .

* * *

الشّـرْحُ :

طالمًا فُتِنَ الناسُ بثناء الناس عليهم ، فيقصِّر العالِمُ في اكتساب العلم اتّـكالا على ثناء الناس عليه ، ويقصِّر العابدُ في العبادة اتّـكالا على ثناء الناس عليه ، ويقول كلّ واحد منهما : إنّما أردتُ ما شُهِرتُ به للصِّيت ، وقد حصَل ، فلماذا أتكلّف الزّيادة ، وأعاني التّعب ! وأيضا فإنّ ثناء الناس على الإنسان يقتضي اعتراء العُجْب له ، وإعجـاب المرء بنفسه مُهلِك .

واعلمْ أنّ الرّضيّ رحمه الله قطع كتابَ نهج البلاغة على هذا الفصْل ، وهكذا وجدتُ النُّسخة بخطّه وقال : « هذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قَطْع المنتزَع من كلام أمير المؤمنين عليـه السلام ؛ حامِدِين لله سبحانَه على ما مَنّ به من توفيقنا لضمِّ ما انتشَر من أطرافه وتقريب ما بَعُد من أقطاره ، مقرّرِين العزم كما شرطْنا أوّلا على تفضيل أوراقٍ من البياض في آخر كلّ باب من الأبواب ، لتكون لاقتناص الشارِد ، واستِلحاقِ الوارِد ، وما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض ، ويقع إلينا بعد الشّذوذ ، وما توفيقُنا إلا بالله ، عليـه توكّلنا ، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل ، نعمَ المولَى ونعمَ النّصير » .

ثم وجـدْنا نسخاً كثيرةً فيها زيادات بعد هذا الكلام ، قيل : إنها وُجِدَتْ في نسخةٍ كُتبتْ في حياةِ الرَّضيّ رحمه الله وقُرِئَتْ عليه فأمضاها ، وأذِنَ في إلحاقِها بالكِتاب ونحن نذكرها .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الدُّنيا خُلِقَتْ لِغَيْرِها ، ولَمْ تُخلَقْ لِنَفْسِها .

* * *

الشرح :

قال أبو العلاء المعري ـمع ما كان يرمى به في هذا النص ما يطابق إرادة أمير المؤمنين عليه السلام بلفظه هذا :

خُلِقَ النّاسُ للبَقاءِ فضلَّتْ ... أُمّةٌ يَحسَبونَهم للنَّفادِ (١)

إنّما يُنقَلونَ مِن دارِ أعمـ ... ـالٍ إلى دارِ شِقوةٍ أو رَشادِ

(١) سقط الزند ٩٧٨ ؛ ٦٢٩

(٤٧٠)

الأَصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ ، وَلَوْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَوْ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ .

* * *

قَالَ الرضيُّ رحمَهُ اللهُ تعالَى : وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الكَلامِ وَأَغْرَبِهِ ، وَالمِرْوَدُ هاهنا مِفْعَلٌ مِنَ الإِرْوَادِ ، وَهُوَ الإِمهالُ وَالإِنْظَارُ ، فَكَأَنَّهُ عليهِ السلامُ شَبَّهَ المُهْلَةَ التى هم فيها بالمِضْمَارِ الَّذِى يَجْرُونَ فيه إلى الغاية ، فإذا بلغوا مُنْقَطَعَها انتقض نظامُهُمْ بعدَها

* * *

الشَّرْحُ :

هذا إخبارٌ عن غيب صريح ، لأن بنى أمية لم يزل مُلكهم منتظماً لما لم يكن بينهم اختلاف ، وإنما كانت حروبهم مع غيرهم كحَرْب معاوية فى صِفِّين ، وحرب يزيدَ أهلَ المدينة ، وابنَ الزبير بمكة ، وحرب مروانَ الضحاكَ ، وحَرْب عبدالملك ابنَ الأشعث وابنَ الزبير ، وحرب يزيد ابنه بنى مُهلَّب ، وحرب هشام زيدَ بن علىّ ، فلما ولى الوليد ابن يزيد وخرج عليه ابنُ عمه يزيد بن الوليد وقتله ، اختلفت بنو أمية فيما بينهما ، وجاء الوعدُ — وصدَق من وعد به — فإنه منذ قتل الوليد دَعَتْ دعاةُ بنى العباس بخراسان ، وأقبل

مروانُ بنُ محمّد بن الجزيرة يَطْلُب الخلافة ، فخلع إبراهيم بن الوليد ، وقَتَل قوما من بنى أميّة ، واضطرب أمرُ الملك وانتشر ، وأقبلت الدولةُ الهاشميّة وتمّتْ ، وزال مُلْك بنى أميّة ، وكان زَوال مُلْكهم على يد أبى مُسْلِم ، وكان فى بدايته أضعفَ خَلْق الله وأعظمَهم فقْرا ومَسكَنة ، وفى ذلك تَصْـديقُ قوله عليـه السلام : « ثمّ لو كادَتْهم الضّباع لغَلَبَتْهم » .



(٤٧١)

الأصلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ في مدحِ الأنصارِ :

هُمْ وَاللهِ رَبَّوُا الإِسْلامَ كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ ، وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلاطِ .

* * *

الشرحُ

الفِلْوُ : المُهْر .

ويُروَى : « بأيديهم البِساط » ، أي الباسطة ، والأولى جمع سَبْط يعني السَّماح ، وقد يقال للحاذق بالطَّعن : إنه لسَبْط اليدين ، يريدُ الثقافة . وألسنتهم السِّلاط ، يعني الفصيحة .

وقد تقدّم القولُ في مدح الأنصار ، ولو لم يكن إلا قولُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله فيهم : « إنكم لتكثرون عند الفزَع ، وتقِلّون عند الطّمع » ، ولو لم يكن إلا ما قاله لعامر ابن الطُّفيل فيهم ، قال له : « لأغزوَنّك في كذا وكذا من الخيل » يتوعّده ، فقال عليه السلام : « يكفي الله ذلك وأبناء قيلة » ، [يعني الأنصار] وهذا عظيمٌ جداً وفوق العظيم ، ولا ريبَ أنهم الذين أيّد الله بهم الدّين ، وأظهرَ بهم الإسلام بعد خفائه ، ولولاهم لعجَز المهاجرون عن حرْب قريش والعرب ، وعن حِماية رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، ولولا مدينتهم لم يكن للإسلام ظَهر يلجئون عليه ، ويكفيهم فخراً يوم حَمْراء الأسد ،

يوم خرج بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إلى قريش بعد انكسار أصحابه، وقتل من قُتل منهم، وخرجوا نحوَ القوم والجراحُ فيهم فاشية، ودماؤهم تسيل، وإنهم مع ذلك كالأُسْد الغِراث تتواثب على فرائسها، وكم لهم من يوم أغرّ محجّل! وقالت الأنصار: لولا عليّ بنُ أبي طالب عليه السلام في المهاجرين لأبَيْنا لأنفسنا أن يُذكَر المهاجرون معنا، أو أن يُقرَنوا بنا، ولكنْ رُبَّ واحدٍ كألف؛ بل كألوف.

وقد تقدّم ذكرُ الشِّعر المنسوب إلى الوزير المغربيّ وما طعن به القادر بالله الخليفة العباسيّ في دينه بطريقه، وكان الوزيرُ المغربيّ يتبرّأ منه ويجحده، وقيل: إنه وُجد مسوّدة بخطّه في رقعة إلى القادر بالله.

ومما وُجد بخطّه أيضاً وكان شديدَ العصبيّة للأنصار ولقحطانَ قاطبةً، على عدنانَ، وكان ينتمي إلى الأزد، أزد شنوءة، قوله:

إنّ الذي أرسى دعائمَ أحمدٍ ... وعلا بدعوته على كيوانِ
أبناء قَيْلة وارثو شرفِ العلا ... وعرانِينُ الأملاكِ من قحطانِ
بسيوفهم يومَ الوغى وأكفّهم ... ضرَبتْ مصاعبُ مُلْكه بجِرانِ[1]
لولا مصارعُهم وصدقُ قراعهم ... خَرَّت عروشُ الدِّين للأذقانِ
فليشكرنّ محمدٌ أسيافَ مَنْ ... لولاه كانَ كخالدِ بنِ سنانِ

وهذا إفراطٌ قبيح، ولفظٌ شنيع؛ والواجب أن يُصانَ قدرُ النبوّة عنه، وخصوصاً البيتُ الأخير، فإنه قد أساء فيه الأدب، وقال ما لا يجوز قولُه، وخالدُ بنُ سنان كان من بني عَبْس بن بَغيض، من قيس عيلان، ادّعى النبوّة، وقيل: إنه كانت تظهر عليه آياتٌ ومعجزات، ثمّ مات وانقرض دينه ودثرتْ دعوته، ولم يبقَ إلا اسمُه، وليس يعرفه كلّ الناس، بل البعض منهم.

---

(١) يقال: ضرب بعير بجرانه: إذا برك.

(٤٧٢)

الأصْلُ :

وقال عليه السلامُ :

العَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ .

* * *

قالَ الرَّضيُّ رحمهُ اللهُ تعالى : وهذهِ مِنَ الاستعاراتِ العَجيبةِ ، كأنَّهُ شبَّهَ السَّهَ بالوعاءِ والعينَ بالوِكاءِ ، فإذا أُطلِقَ الوِكاءُ لمْ ينضبطِ الوعاءُ . وهذا القولُ في الأشهرِ الأظهرِ مِنْ كلامِ النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ ، وقدْ رواهُ قومٌ لأميرِ المؤمنينَ عليهِ السلامُ ؛ وذكرَ ذلكَ المبرّدُ في الكتابِ المقتضبِ في بابِ اللفظِ المعروفِ .

قالَ الرّضيُّ : وقدْ تكلَّمْنا على هـذهِ الاستعارةِ في كتابِنا الموسومِ بمجازاتِ الآثارِ النبويّةِ .

* * *

الشّـرْحُ :

المعروف أنّ هذا من كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ذكره المحدّثون في كتبهم وأصحابُ غريب الحديث في تصانيفهم ، وأهلُ الأدب في تفسير هذه اللفظة في مجموعاتهم اللغوية ، ولعل المبرّد اشتبه عليه فنسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، والرواية بلفظ التثنية : « العينان وِكاء السَّهِ » ، والسَّهُ : الاستُ .

وقد جاء فى تمام الخبر فى بعض الروايات : « فإذا نامت العينان استطلق الوكاء » ، والوكاء : رِباطُ القِربة ، فجعل العينين وِكاء ــ والمرادُ اليقظة ــ للسَّه كالوكاء للقِربة ، ومنه الحديث فى اللُّقَطة : « احفظ عِفاصَها ووِكاءها ، وعرِّفها سنةً ، فإن جاء صاحبُها وإلا فشأنَك بها » ، والعِفاص : السِّداد ، والوكاء : الشِّداد ، وهذه من الكِنايات اللطيفة .

***

[فصل فى ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها]

وقد كنّا قدّمنا قطعةً صالحةً من الكِنايات المستحسَنة ، ووعدْنا أن نعاوِدَ ذِكرَ طرَف منها ، وهذا الموضعُ موضعه ، فمن الكِناية عن الحدث الخارج ــ وهو الذى كَنَى عنه أميرُ المؤمنين عليه السلام ، أو رسول الله صلى الله عليه ــ الكِناية التى ذكرها يحيى ابن زياد فى شِعره ، قيل : إن يحيى بن زياد ومطيعَ بن إياس وحمّادا الرّاوية جلسوا على شراب لهم ، ومعهم رجلٌ منهم ، فأحدث وكانوا ، فاستحيا وخرج ، ولم يعُدْ إليهم ، فكتب إليه يحيى بنُ زياد :

أمِن قُلوصٍ غدَتْ لم يُؤذِها أحدٌ ... إلاّ تذكُّرُها بالرَّمل أوطانا

خانَ العِقالُ لها فانبتّ إذ نفرتْ ... وإنّما الذنبُ فيها للّذى خانا

هجرتَنا مِنك هِجراناً ومَقلِيَةً ... وما تزُرنا كما قد كنتَ تَغشانا

خفِّضْ عليك فما فى الناس ذو إبلٍ ... إلاّ وأينُقه يشرُدن أحيانا

وليس هذا الكتابُ أهلاً أن يضمَّن حكاية سخيفة أو نادرة خليعة ، فنذكر فيه ما جاء فى هذا المعنى ، وإنما جرأْنا على ذكر هذه الحكاية خاصّةً كِناية أمير المؤمنين عليه السلام أو رسول الله صلى الله عليه وآله عنه ، ولكنا نذكر كنايات كثيرة فى غير هذا المعنى مستحسَنة ، ينتفع القارئ بالوقوف عليها .

يقال : فلانٌ من قوم موسى ، إذا كان مَلُولا ، إشارةً إلى قوله تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ ﴾[1] .

قال الشاعر :

فيا مَنْ ليس يَكفيه صَديقٌ ولا ألفا صَديقٍ كلَّ عامِ
أظنُّك مِنْ بقايا قوم مُوسى فهمْ لا يَصبرون على طعامِ

وقال العبّاس بنُ الأحنف :

كتبتْ تلومُ وتستريبُ زِيارتي وتقولُ : لستَ لنا كعَهْدِ العاهِدِ
فأجبْتُها ودُموعُ عَيْنِيَ سُجَّمٌ تَجري على الخدَّيْن غير جَوامِدِ
يا فَوْزُ لم أَهْجُرْكُمُ لملالةٍ عَرَضَتْ ولا لمقالِ واشٍ حاسدِ
لكنّني جَرَّبْتُكم فوجَدْتُكمْ لا تَصبرون على طعامٍ واحدِ

ويقولون للجارية الحسناء : قد أُفْلِتَتْ من رِضْوان ، قال الشاعر :

جَنَتِ العُودَ بالنَّسِيمِ الحَسَنِ وتثنّت كأنّها غُصْنُ بانِ
فسجَدْنا لها جميعاً وقلنا إذ شغَفْتَنا بالحسن والإحسانِ
حاشَ للهِ أن تكوني من الإ نسِ ولكنْ أُفلِتِّ مِنْ رِضوانِ

ويقولون لمكشوف الأمر الواضح الحال : ابن جَلاَ ، وهو كناية عن الصُّبْح

ومنه ما تمثّل به الحجّاج :

أنا ابنُ جَلاَ وطَلاّعُ الثّنايا متى أضعِ العمامةَ تعرفوني[2]

ومنه قولُ القلاخ بن حَزْن :

---

(١) سورة البقرة ٦١ .

(٢) الكامل ١ : ٢٢٤ ، ونسبه إلى سحيم بن وثيل الرياحي .

* أنا القُلاخُ بنُ القُلاخِ ابنِ جَلاَ *

ومنه قولُهم : فلان قائدُ الجَمَل لأنه لا يحقّ لعظم الجمل وكِبَر جثته ، وفى المَثَل : ما استَتَر مَن قاد جَمَلا . وقالوا : كَفَى بُرُغائها نِداء ، ومثلُ هذا قولُهم : مايومُ حَليمة بسِرّ يقال : ذلك فى الأمر المشهور الذى لا يُستَر ، ويومُ حَليمة يوم ألتقَى المنذرُ الأكبرُ والحارثُ الغسانىّ الأكبر ، وهو أشهر أيام العرب ، يقال : إنه ارتفع من العجاج ماظهرتْ معه الكواكبُ نهاراً ، وحليمة : اسمُ امرأةٍ أضيفَ اليومُ إليها ، لأنها أخرجَتْ إلى المعركة مَراكنَ الطِّيب ، فكانتْ تُطَيِّب بها الداخلين إلى القتال ، فقاتلوا حتى تفانَوْا .

ويقولون فى الكِناية عن الشيخ الضعيف : قائدُ الجدار ، إشارةٌ إلى ما أنشده الأصمعى .

آتى النّدِىَّ فلا يُقرَّبُ مَجلِسى وأقودُ للشَّرَفِ الرَّفيعِ حِمارى

أى أقوده من الكِبَر إلى موضع مرتفع لأركبه لضعفى . ومثلُ ذلك كِنايتُهم عن الشيخ الضعيف بالعاجن ، لأنه إذا قام عَجَن فى الأرض بكفّيه ، قال الشاعر :

فأصبحتَ كُنتِيًّا وأصبحتَ عاجناً وشرُّ خِصالِ المرء كُنتٌ وعاجنُ

قالوا : الكُنتِىُّ الذى يقول كنتُ أفعَل كذا ، وكنتُ أركَب الخيل ، يتذكّر ما مضَى من زمانِه ، ولا يكونُ ذلك إلّا عند الهَرَم أو الفقر والعجز .

ومثله قولُهم للشيخ : راكع ، قال لبيد :

أخبِّرُ أخبارَ القرونِ التى مضَتْ أدِبُّ كأنى كلّما قمتُ راكِعُ [1]

والرُّكوعُ : هو التطاطؤُ والانحناء بعد الاعتدال والاستواء ، ويقال للإنسان إذا انتقل من الثروة إلى الفقر ، قد رَكَع ، قال

لا تُهينَ الفقيرَ علّكَ أنْ تَرْ كَعَ يوماً والدّهرُ قد رفعَهْ [2]

---

(١) ديوانه ١٧١ (٢) للأضبط بن قريع السعدى ، أمالى القالى ١ : ١٠٨

وفى هذا المعنى قال الشاعر :

ارفعْ ضَعيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُه ... يوماً فتُدرِكَه الحوادثُ قد نَمَى[1]

يَجزِيكَ أو يُثنِى عليكَ وإنَّ مَنْ ... يُثنِى عليكَ بما فعلتَ فقد جزَى

ومثلُه أيضا :

وأكْرِمْ كريمًا إنْ أتاكَ لحاجةٍ ... لعاقبةٍ إنَّ العِضَاةَ تَرَوَّحُ

تروّح الشجر : إذا أمطر بالنّبت ، يقول : إن كان فقيرا فقد يستغنى ، كما أنّ الشجر الذى لا وَرَق عليه سيكتسى وَرَقا ، ويقال : رَكِم الرجل ، أى سقط .

وقال الشاعر :

حرقٌ إذا رَكِمَ المَطِىُّ من الوَجَى ... لم يطلُ دونَ رفيقه ذا المِزْوَدِ

حتّى يؤوبَ به قليلاً فضلُه ... يَحمدْ الرفيقُ نداكَ أو لم يَحمدِ

وكما يشبّهون الشيخ بالرّاكم فيكنُون به عنه ، كذلك يقولون : يَحجِل فى قيده لتقارُب خَطْوه ، قال أبو الطَّمَحان القَيْنىّ :

حَنَتنِى حانياتُ الدّهرِ حتّى ... كأنّى خاتلٌ أدنو لصَيْدِ

قريبُ الخطْو يَحسَبُ مَن رآنى ... ولستُ مُقيّدا أنّى بقَيْدِ

ونحو هذا قولهم للكبير : بَدَتْ له الأرنب ، وذلك أنّ من يختِل الأرنبَ ليَصيدَها يتمايل فى مِشيته ، وأنشد ابن الأعرابىّ فى النوادر :

وطالتْ بىَ الأيامُ حتى كأنّنى ... من الكِبَرِ العالى بَدَت لىَ أرنبُ

ونحوه يقولون للكبير : قِيدَ بفلانٍ البعير ، أى لا قوّة ليده على أن يُصرِّف البعيرَ تحته على حسَب إرادته ، فيقودُه قائدٌ يحمله حيثُ يريد .

---

(١) للسموءل بن عادياء ، ملحق ديوانه ٤٣

ومن أمثالهم : لقد كنتُ وما يقادُ بىَ البعير : يضرب من كان ذا قوّة وعَزْم ، ثم عَجَز وفَتَر .

ومن الكنايات عن شَيب المتفقّة قولهم : قد عضّ على صُوفه .

ويَكْنُون عن المرأة التى كَبِرت سنّها فيقولون : امرأة قد جمعت الثياب ، أى تلبَس القِناعَ والخمار والإزار ، وليست كالفتاة التى تلبَس ثوبا واحدا .

ويقولون لمن يخضب : يسوِّد وجه النذير ، وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وجاءكم النذير ﴾[1] : إنه الشَّيب . وقال الشاعر :

وقائلةٍ لىَ اخضِبْ فالغوانى ... تطيّرُ من ملاحظة القتيرِ
فقلت لها المَشيبُ نذيرُ موتى ... ولستُ مسوِّدا وجهَ النذيرِ

وراحَم شابٌّ شيخا فى طريق فقال الشاب : كم ثمن القوس ؟ يعيّره بانحناء الظهر ، فقال الشيخ : يابنَ أخى : إن طال بكَ عمرٌ فسوف تشتريها بلا ثمن .

وأنشد لابن خلف :

تعيّرنى وخطَ المَشيبِ بعارضى ... ولولا المعقولُ النبْلِ لم تُعرَف الدُّهْمُ
حَنَا الشَّيبُ ظَهْرى فاستمرت مَريرتى ... ولولا انحناء القوسِ لم ينفذِ السهمُ

ويقولون لمن رشا القاضى أو غيره : صَبَّ فى قِنديله زيتا ، وأنشد :

وعند قُضاتنا خُبثٌ ومَكرٌ ... وزرْعٌ حين تَسقيه يُسنبِلْ
إذا ما صُبَّ فى القِنديل زيتٌ ... تحوّلت القضيّة للمُقنْدِلْ

وكان أبو صالح كاتبُ الرَّشيد يُنسب إلى أخذ الرّشا ، وكان كاتب أمّ جعفر .

---

(١) سورة فاطر ٣٧

وهو سعدانُ بنُ يحيى كذلك ، فقال له الرشيد يوما : أما سمعتِ ماقيل في كاتبك ؟ قالت : ماهو ؟ فأنشدَها :

صبَّ في قنديل سَعْدا نَ مع التنّيم زيتـــا
وقنـــديل تيه قبل أن تعمى الكميتا

قالت : ما قيل في كاتبك أشنع ، وأنشدته :

قنديلُ سَعْدانَ علا ضوءهُ فرخٌ لقنديلِ أبى صــالح
تراهُ في تحليه أحوصـــة من لحمِه للدّرمِ الـــلائح

ويقولون : لمن طلَّق ثلاثا (فطارت أجنحته)

ويقولون أيضا . أعطاه نصف النقة

ويقولون لمن يفخر بآبائه : هو عِظامىّ ، ولمن يفخر بنفسه هو عِصامىّ ، إشارة إلى قول النابغة في عِصامِ بن سهل حاجب النعمان :

نفسُ عِصامٍ سوَّدتْ عِصاما وعلَّمتــه الكرَّ والإقداما[1]

• وجعلته مَلِكاً هُماماً •

وأشار بالعصامىّ إلى فخره بالأموات من آبائه ورهطه ، وقال الشاعر :

إذا ما الحىُّ عاشَ بعظمِ ميْتٍ فــذاكَ العظمُ حىٌّ وهو ميْتُ

ونحو هذا أنّ عبد الله بن زياد بن ظَبْيان التميمىّ دخل على أبيه وهو يجود بنفسه فقال . ألا أوصى بك الأمير ؟ فقال : إذا لم يكن للحىّ إلّا وصيّة الميّت فالحىّ هو الميّت ، ويقال : إن عطاء بن أبى سُفيان قال ليزيد بن معاوية : أغنِنى عن غيرك ، قال :

---

(١) العقد الثمين ، ملحق ديوانه ١٧٠

حَسْبُك ما أغناك به معاوية ؛ قال : فهو إذَنْ الحيُّ وأنتَ الميت ، ومثلُ قولهم : عِظامىّ ، قولهم : خارجىّ ، أى يفخر بغيرِ أوليّة كانت له ، قال كثيّر لعبد العزيز :

أبا مَرْوانَ لستَ بخارجىٍّ ... وليس قديمُ مجدكَ بانتحالِ

ويكنُون عن العزيز وعن الذليل أيضا فيقولون : بيضة البلد ، فمن يقولها للمدح يذهب إلى أنّ البيضة هى الحوزة والحمى ، يقولون : فلانٌ يحمى بيضته ، أى يحمى حوزته وجماعته ، ومن يقولها للذم يعنى أنّ الواحدةَ من بيض النعام إذا فسدت تركها أبواها فى البلد وذهبا عنها ، قال الشاعر فى المدح :

لكنّ قاتلَه من لا كِفاء له ... من كان يُدعَى أبوه بيضةَ البلدِ [1]

وقال الآخر فى الذمّ :

تأبَى قُضاعةُ لم تَعرفْ لكمْ نَسَبًا ... وابنا نِزارٍ فأنتمْ بيضةُ البلدِ [2]

ويقولون للشىء الذى يكون فى الدهر مرّة واحدة : هو بيضة الدِّيك ، قال بشّار :

يا أطيبَ الناس ريقًا غير مختبَرٍ ... إلا شهادةَ أطرافِ المساويكِ [3]

قد زُرتِنا زَوْرةً فى الدهر واحدةً ... ثنّى ولا تجعليها بيضةَ الدِّيكِ

ويكنُون عن النخيل بالقذى فى الشراب ، قال الأخطل يذكر الخمرَ والاجتماع عليها :

وليسَ قذاها بالذى قد يَضيرُها ... ولا ذُبابٍ نَزْعُه أيسَرُ الأمرِ [4]

ولكنْ قذاها كلّ جِلفٍ مكلّفٍ ... أتتنا به الأيّامُ من حيثُ لا ندرى

---

(١) من أبيات لامرأة من بنى عامر بن لؤى، ترثى عمرو بن ود ، اللسان (بيض)

(٢) اللسان (بيض) ونسبه إلى ابن الرقاع ... (٣) أمالى القالى ١ : ٢٢٨

(٤) كنايات الجرجانى ١١١

فَدَاكَ الفَدَى وابنُ الفَدَى وأخو الفَدَى ... فإنّ له من زائرٍ آخرَ الدهرِ

ويكنون أيضاً عنه بقدح الأنبلاب ، قال الشاعر :

يا ثقيلاً زادَ في الثِّقْـــلِ على كلِّ ثقيلِ[1]

أنتَ عندي قدحُ الأنـ ... ـبلابِ في كفِّ العليلِ

ويكنون عنه أيضاً بالقدح الأول ، لأنّ القدح الأول من الخمر تكرهه الطبيعة وما بعده تحتمله لاعتياده ، قال الشاعر :

وأثقل من حصيب ... وأمقت من قدحٍ أولِ

ويكنون عنه بالكانون ، قال الحطيئة يهجو أمه :

تنحّيْ فاقعدي عنّي بعيداً ... أراحَ اللهُ منكِ العالمينا[2]

أغربالاً إذا استودعتِ سرّاً ... وكانوناً على المتحدّثينا !

قالوا : وأصله من كننت أي سترت ، فكأنه إذا دخل على قوم وهم في حديث ستروه عنه ، وقيل : بل أريد شدة برده .

ويكنون عن الثقيل أيضاً برحا البزر ، قال الشاعر :

وأثقل من رحا بزرٍ عتيقا ... كأنك من بقايا قوم عادِ[3]

ويقولون لمن يحمدون جواره : جاره جارُ أبي دُوادٍ ، وهو كعبُ بنُ مامةَ الإياديّ ، كان إذا جاوره رجلٌ فمات وداه ، وإن هلكت عليه شاة أو بعيرٌ أخلف عليه ، فجاوره أبو دواد الإياديّ ، فأحسن إليه ، فضُرب به المثل .

ومثله قولهم : هو جليسُ قعقاعِ بنِ شورٍ ، وكان قد قدم إلى معاوية فدخل عليه ، والمجلس غاصٌّ بأهله ليس فيه مقعد ، فقام له رجل من القوم وأجلسه مكانه ، فلم

---

(١) كنايات الجرجاني ١١١ (٢) ديوانه ٦١ . (٣) كنايات الجرجاني ١١١

يبرح القعقاعُ من ذلك الموضع يكلّم معاوية ومعاويةُ يُخاصِبه حتّى أمَر له بمائة ألف درهم، فأُحضِرَت إليه ، فحُملت إلى جانبه ، فقعد ثم قال للرجل القائمُ له من مكانه : ضُمّها إليك ، فهي لك قيامك لنا عن مجلسك ، فقيل فيه :

وكنتُ جليسَ قَعْقاعِ بن شَوْرٍ ولا يَشْقَى بقعقاعٍ جَليسٌ[1]

ضَحُوكُ السِّنّ إن نطقوا بخيرٍ وعند الشرّ مِطْراقٌ عَبُوسُ

أخذ قوله : « ولا يَشْقَى بقعقاعٍ جليسُ » من قول النبيّ صلّى الله عليه وآله : « هم القومُ لا يَشْقَى بهم جليسُهم » .

ويَكْنُون عن السمين من الرجال بقولهم : هو جار الأمير ، وضيفُ الأمير ، وأصلُه أنّ الغضبان بن القبعثرى كان محبوساً في سجن الحجّاج ، فدعا به يوماً فكلّمه ، فقال له في جملة خطابه : إنّك لسمين يا غضبان ؛ فقال : القيد والرّتعة ، والخفض والدّعة ، ومَن يكنْ ضيفَ الأمير يَسْمَن .

ويَكْنِي الفلاسفةُ عن السمين بأنّه يُمرِّض سور جسمه ، وذلك أنّ أفلاطونَ رأى رجلاً سميناً، فقال : ياهذا ، ما أكثرَ عنايتك بتمريض سور حبْسك !

ونظر أعرابيٌّ إلى رجلٍ جيّد الكِدْنة[2] ، فقال : أرى عليك قطيفةً مُحكَمة . قال : نعم ، ذاكَ عنوانُ نعمة الله عندي .

ويقولون للكذّاب : هو قَوسُ الشَّخرة ، وأيضاً هو زَلُوقُ الكَبِد ، وأيضاً لا يُوثق بسَيْل بقعته . وأيضاً أسيرُ الهند لأنه يدّعى أنّه ابنُ المَلِك ، وإن كان من أولادِ السِّفلة

ويُكْنَى عنه أيضاً بالشيخ الغريب ، لأنّه يحبّ أن يتزوّج في الغُربة فيدّعى أنه ابنُ خمسين سنةً ، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين .

(١) كنايات الجرجاني ١١١ (٢) الكدنة : كثرة الشحم واللحم .

ويقولون : هو فاختةُ البَلَد ، من قول الشاعر :

أكذبُ من فاختةٍ تَصيحُ فوقَ الكَرَبِ[1]
والطَّلْعُ لم يَبْدُ لها : هــذا أوانُ الرُّطَبِ

وقال آخر في المعنى :

حــــديثُ أبي حازِم كلّه كقَوْلِ الفَواخِت : جاء الرُّطَبْ[1]
وهُنّ وإن كُنّ يُشْبِهْنَه فلسْنَ يُدانينَــه في الكَذِبْ

ويَكْنُون عن النَّمام بالزُّجاج ، لأنه يَشِفّ عن ماتَحته ، قال الشاعر :

أنمُّ بمـــا أستودَعْتُه من زُجاجةٍ يُرَى الشيء فيها ظاهراً وهو باطِنُ

ويَكْنُون عنه بالنَّسيم ، من قولِ الآخر :

وإنك كلّما استُودِعْتَ سِرّاً أنمُّ من النَّسيم على الرِّياضِ

ويقولون : إنه لصُبْح ، وإنه لطِيب ، كلّه في النمام . ويقولون : مازال يَفتِل له في الذِّرْوة والغارِب حتى أصحَبَتْ قَرُونَته ، وهي النفسُ ، والذِّرْوة : أعلى السَّنام ، والغارب : مقدّمه .

ويقولون في الكِناية عن الجاهل : مايَدرِي أيّ طَرَفَيــه أطوَل ، قالوا : ذَكَرُه ولِسانُه .

وقالوا : هل نَسَبُ أبيه أفضلُ أمْ نَسَبُ أمّه ؟

ومثلُه لا يَعرِف قطاته من لطاته ، أي لا يعرف جَبْهته مما بين وَرِكَيه .

وقالوا : الحِـدّة كُنية الجَهْــل ، والاقتصاد كنية البُخْل ، والاستقصاء كُنية الظُّلْم .

---

(١) الكنايات للجرجاني ١١٢ .

وقالوا للجائع : عَضَّهُ الصَّفَر ، وعَضَّهُ شُجاع البَطْن .

وقال الهُذَليّ :

أَرُدُّ شُجاعَ البَطْنِ قد تعلمينه ... وأُوثِرُ غَيْرِي مِن عِيالِكِ بالطُّعْمِ (١)

مَخافةَ أن أحيا بِرَغْمٍ وذِلَّةٍ ... ولَلْمَوْتُ خيرٌ من حَياةٍ على رَغْمِ

ويقولون : زَوَّدَه زادَ الضَّبّ ، أي لم يزوِّدْه شيئاً لأنّ الضَّبّ لا يَشْرَب الماء ، وإنما يتعدّى بالرّيح والنّسيم ، ويأكل القليل من عُشْب الأرض .

وقال ابن المعتز :

تقول أكلنا لحمَ جَدْيٍ ومَطّة ... وعَشْبٍ دَجاجاتٍ شِواءً بألبانِ (٢)

وقد كذبَ الملعونُ ما كان زادُه ... سِوى زادِ ضَبٍّ يَبلع الرّيحَ عطشان

وقال أبو الطَّيِّب :

لقد لَعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بها وبي ... وزَوَّدَني في السَّيْرِ ما زَوَّد الضَّبَّا (٣)

ويقولون للمتفرّقين من الناس : هم كَبَعَر الصَّدقة ، وهم كبَعَر الكَبْش ، قال عمرو بن لجأ :

وشِعْرٍ كبَعْر الكَبْشِ أَلَّفَ بَيْنَه ... لِسانُ دَعِيٍّ في القَريضِ دَخيلِ (٤)

وذلك لأنّ بعرَ الكَبْش يقعُ متفرّقاً .

وقال بعضُ الشعراء لشاعر آخر : أنا أشعر منك لأني أقولُ البيت وأخاه ، وتقول البيت وابن عمّه . فأما قولُ جرير في ذي الرمّة : إنّ شعره نقطُ ظباء ، ونقط عروس ، فقد فسّره الأصمعيّ فقال : يريد أنّ شعره حُلْوٌ أول ما تسمعه ، فإذا كُرِّر إنشادُه ضَعُف ، لأنّ أبعار الظّباء أول ما تُشَمّ توجد لها رائحةُ ما أكلتْ من الجَثْجاث والشِّيح

---

(١) لأبي خراش الهذلي ، ديوان الهذليين ٢ : ١٢٨

(٢) كنايات الجرجاني ١١٥

(٣) ديوانه ٦٠

(٤) كنايات الجرجاني ١١٢

والقَيْصوم ، وإذا أُدْمِنَتْ شمّ عُدِمَتْ تلك الرائحة ، ونقط العروس إذا غَسلتها ذهبتْ .

ويقولون أيضا للمختلفين : أخياف ، والخيف: سَوادُ إحدى العَيْنين وزرق الأخرى .

ويقولون فيهم أيضا : أولادُ عَلّات كالإخْوَة لأمهاتٍ شتّى ، والعَلّة : الضَّرّة .

ويقولون فيهم : حمرُ كُتَب ، لأنه يكون مختلفا ، قال شاعرٌ يهجو الحجّاجَ ابنَ يوسف :

أَبِنْتَى كليبٌ زمانَ الهُزالِ ... وتعليمه سُورة الكوثر[1]

رغيفٌ له فَلْكة ما تُرَى ... وآخر كالقمر الأزهَرِ

ومثله :

أما رأيت بني سَلْمٍ وخُوهم ... كأنّهم حمرُ كُتَبٍ وتفاريق[2]

ويقال للمتساوين في الرداءة : كأسنان الحمار ، قال الشاعر :

سواء كأسنان الحمارِ فلا تَرَى ... لذي شَيْبة منهمْ على ناشِئٍ فَضْلا[2]

وقال آخر :

شبانُهم وشِيبُهم ســــواء ... فهمْ في اللؤم أسنانُ الحمارِ[3]

وأنشد المبرّد في الكامل لأعرابي يصف قوما من طيّئ بالتساوي في الرداءة :

ولمـا أن رأيتُ بني جوَينٍ ... جُلوساً ليس بينهم جَليسُ

يَئستُ من الذي أقبلتُ أبغي ... لديهمْ ، إنني رجــلٌ يئوسُ

إذا ما قلتُ أيهـــم لأيٍّ ... تشابهت المناكبُ والرءوسُ

قال : فقوله : «ليسَ بينهم جَليسٌ» هجاء قبيح ، يقول : لا يفضلُ الناس بعضهم بعضا .

---

(١) سرح العيون ١٧٠ وكنايات الجرجاني ١١٨ ... (٢) كنايات الجرجاني ١٢١

(٣) الكامل ١ : ١٧٢ ، ونسبه لبعض أعراب من طيئ .

فليس يدمهم غيرهم . ويقولون فى المتساويين فى الرَّدَاءة أيضا : هما كحمارَى العبادى ، قيل له : أىّ حماريك شرّ ؟ قال : هذا ثم هذا . ويقال فى التساوى فى الشرّ والخير : هم كأسنان المُشط ، ويقال : وقعا كركبتى البعير ، وكرِجلى نعامة .

وقال ابنُ الأعرابىّ : كلّ طائر إذا كُسِرتْ إحدى رِجْليه تحامل على الأخرى إلا النعام فإنه متى كُسرتْ إحدى رِجليه جثم ، فلذلك قال الشاعر يذكر أخاه :

وإنّى وإياه كرِجلَىْ نعامةٍ   على ما بنا من ذى غِنًى وفقيرِ[1]

وقال أبو سفيانَ بنُ حرب لعامر بن الطفيل وعلقمة بن عُلاثة وقد تنافرا إليه : أنتما كركبتى البعير : فلم ينفّر واحدا منهما ، فقالا : فأيُّنا اليُمنى ؟ فقال : كلٌّ منكما يُمنى .

وسأل الحجاج رجلا عن أولاد المهلب : أيُّهم أفضل ؟ فقال : هم كالحلقة الواحدة .

وسُئل ابنُ دُرَيد عن المبرّد وثعلب ، فأثنى عليهما ، فقيل : فأين قُتيبة ؟ قال : ربوة بين جبلين ، أى تحمل ذكره بنباهتهما .

ويُكنى عن الموت بالقطع عند المنجمين ، وعن السّعاية بالنصيحة عند العمال ، وعن الجماع بالوطء عند الفقهاء ؛ وعن السُّكر بطيب النفس عند الندماء ، وعن السؤال بالزيارة عند الأجواد ؛ وعن الصدقة بما أفاء الله عند الصوفية .

ويقال للمتكلِّف بمصالح الناس : إنه وصىّ آدم على وَلده ، وقد قال شاعرٌ فى هذا الباب :

فكأنّ آدمَ عند قرب وفاته   أوصاكَ وهو يجودُ بالحوْباء

ببنيه أنْ ترعاهمُ فرعيتهمْ   وكفيتَ آدمَ عيلةَ الأبناء

ويقولون : فلانٌ خليعُ الحِصر إذا كان كثيرَ السَّفر ، قال أبو تمام .

---

(١) كنايات الجرجانى ١١٩

حليفة الحضر من يربع على وطن   أو بلدة مطهور العيس أوطاني[1]
ببغداد أهلي وبالشام الهوى وبها   بالرقتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت   حتى تبلغ بي أقصى خراسان

ويقولون للشيء المختار المنتخب : هو تمرة الغراب ، لأنه ينتقي خير التمر .

ويقولون : سمن فلان في أديمه : كناية عمن لا ينتفع به ، أي ما خرج منه يرجع إليه ، وأصله أن يحيا[2] من السمن الشيء في ظرف من الدقيق ، فقيل ذلك ، قال الشاعر :

ترحل فما ببغداد دار إقامة   ولا عندمن أضحى ببغداد طائل[3]
محل ملوك سمنهم في أديمهم   وكلهم من حلية المجد عاطل
فلا غرو أن شلت يد المجد والعلى   وقل سماح من رجال ونائل
إذا غضغض البحر الغطامط ماءه   فليس عجيباً أن تغيض الجداول[3]

ويقولون من لا يفي بالعهد : فلان لا يحفظ أول المائدة ، لأن أولها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾[4] .

ويقولون لمن كان حسن اللباس ولا طائل عنده : هو مشجب ، والمشجب : خشبة القصار التي يطرح الثياب عليها ، قال ابن الحجاج :

لي سادة طائر السرور بهم   يطرده اليأس بالمقاليع[5]
مشاجب للثياب كلهم   وهذه عادة المشاجيع
حاشيتي عندهم إذا سمعوا   شعري هذا كلام مطبوع

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٠٨ ، ٣١٠ .
(٢) كنايات الجرجاني ١٢٠ ، ونسبها إلى أبي العالية .
(٣) بحر غطامط : كثير الأمواج .
(٤) سورة المائدة ١ .
(٥) كنايات الجرجاني ١٢١ .

وإنهم يضحكون إن ضحكوا مِنّى وأبكى أنا من الجوع

وقال آخر :

إذا لبسوا دُكْنَ الخروز وخُضْرَها وراحوا فقد راحت عليك المشاجب[1]

ورُوِى أن كَيْسانَ غلامَ أبى عُبيدة وَفَد على بعض البرامكة فلم يُعطِه شيئاً ، فلما وافى البَصْرة قيل له : كيف وجدته ؟ قال : وجدتُه مِشْجَبا من حيث ما أتيته وَجدْتُه .

ويكنون عن الطُّفَيْلِىّ فيقولون : هو ذبابٌ ، لأنه يقع فى القُدور ، قال الشاعر :

أتيتُك زائراً لقضاء حَقّ فحال السِّترُ دُونَك والحجابُ[2]

ولستُ بواقعٍ فى قِدْرِ قومٍ وإن كَرِهُوا كما يقَعَ الذُّبابُ

وقال آخر :

وأنتَ أخو السَّلام وكيف أنتم ولستَ أخا المُلِمّاتِ الشِّدادِ[3]

وأطفل حين يُعْزَى من ذُبابٍ وألزم حين يُدْعَى من قُرادِ

ويكنون عن الجرَب بحَبِّ الشَّباب ، قال الوزير المهلبى :

يا صُروفَ الدهر حَسْبى أىَّ ذنب كان ذنبى ![4]

عِــــلة حَصْبٌ وحَبٌّ فى حبيبٍ ومُحِبِّ

دبَّ فى كفيه يا مَن حُبُّـــــهُ دَبَّ بقلبى

فهو يشكو حرَّ حَبٍّ واشتكائى حَرّ حُبٍّ

ويكنون عن القصير القامة بأبى زبيبة ، وعن الطويل بخيط باطل . وكانت كُنْية مروان بن الحكم لأنه كان طويلا مضطربا ، قال فيه الشاعر :

لحا الله قوماً أمَّرُوا خَيْطَ باطلٍ على الناس يُعْطى من يشاء ويَمنَعُ[5]

وفى خيط باطلٍ قولان : أحدهما أنه الهباء الذى يدخل من ضوء الشمس فى الكُوّة

(١) الأخطل ، ديوانه ٢٢

(٢) كنايات الجرجانى ١٢٢ ، ونسبه لابن أبى عيينة .

(٣) كنايات الجرجانى ١٢٢

من البيت ، وتسمّيه العامّة غَزْلَ الشّمس ، والثاني أنه الخيط الذي يخرُجُ من فَمِ العنكبوت ، وتسمّيه العامّة مُخاط الشّيطان .

وتقول العرب للملقوّ[1] : لطيمُ الشيطان .

وكان لقبُ عَمْرِو بن سعيد الأشدق ، لأنه كان مَلْقُوًّا .

وقال بعضهم لآخر : ما حَدَث ؟ قال : قَتَل عبد الملك عمرًا ، فقال : قتل أبو الذبان لطيمَ الشّيطان ، ﴿ وكَذَلِكَ نُوَلِّي بعضَ الظّالمين بعضًا بما كانوا يَكسِبون ﴾ .

ويقولون للحزين المهموم : يَعُدّ الحصى ، ويَخُطّ في الأرض ، ويَقُتّ البَرْمَع ؛ قال المجنون :

عشيّةَ مالي حيلةٌ غيرَ أنّني ... بلَقْط الحَصَى والخطِّ في الدار مُولَعُ[2]
أخُطّ وأمحو كلَّ ما قد خططتُه ... بدَمعيَ والغِربانُ حَوْلِيَ وُقَّعُ

وهذا كالنادم يَقْرَع السِّنّ ، والمحيل ينكُت الأرض ببنانه ، أو بعُودٍ عند الردّ ، قال الشاعر :

عَبيدُ إخوتِهِمْ حتى إذا رَكِبوا ... يومَ الكريهةِ فالآسادُ في الأجَمِ[3]
يُرضُون في العُسْر والإيسار سائِلَهُمْ ... لا يَقْرَعون على الأسْنانِ مِن نَدَمِ

وقال آخر في نكت الأرض بالعِيدان :

قومٌ إذا نزل الغريب بدارِهِمْ ... تركوه ربَّ صَواهلٍ وقِيانِ
لا يَنكُتون الأرضَ عند سؤالِهِمْ ... لتطلُّبِ العِلّاتِ بالعِيدانِ

ويقولون للفارغ : فؤادُ أمِّ موسى .

---

(١) الملقو : المصاب باللقوة ، وهو مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه .

(٢) ديوانه ١٨٨ .

(٣) كـ بيت جرجاني ، ونسبه إلى عمر بن أمية بن أبي الصلت

ويقول للمُثْرِى من المال : مُنْقَرِس ، وذلك أنّ عِلّة النِّقْرِس أكثر ما تعترِى أهل الثَّروة والتنعّم .

حَكَى المبرّد ، قال : كان الجرْمازِىّ فى ناحية عمرو بن مَسْعدة ، وكان يُجْرِى عليه ، فخرج عمرو بن مسعدة إلى الشام ؛ وتخلّف الجرْمازِىّ ببغداد ، فأصابه النِّقْرِس ، فقال :

أقامَ بأرضِ الشّام فاختلّ جانبى ومطلبُه بالشام غيرُ قريبِ[1]
ولا سيما من مُفْلِسٍ حِلْفِ نِقْرِسٍ أمَا نِقْرِسٌ فى مُفْلِسٍ بعجيبِ !

وقال بعضهم يهجو ابن زَيدان الكاتب

تَواضعَ النِّقْرِسُ حتى لقد صار إلى رِجْلِ ابن زَيْدانِ
عِلَّةُ إنسانٍ ولكنها قد وُجِدَتْ فى غير إنسانِ

ويقولون للملوك : رقيقُ النِّعال ، وأصله قولُ النابغة :

رِقاقُ النِّعالِ طيِّبٌ حُجُزاتُهم يُحَيَّوْن بالرَّيحان يومَ السَّباسِبِ[2]

يعنى أنهم ملوكٌ ، والملك لا يخصِف بعدُونه يخصف نعله من يمشى . وقوله : «طيّب حُجُزاتُهم » ، أى هم أعِفّاء الفروج ، أى يشدّون حُجُزاتهم على عِفّة . وكذلك قولهم : فلانٌ مُسَمَّط النِّعال ، أى نعله طبقة واحدة غير مخصوف ، قال المرّار بن سعيد الفقعسىّ :

وجدْتُ بنى خفاجة فى عُقَيلٍ كِرامَ الناسِ مُسْمَطة النِّعالِ[3]

وقريبٌ من هذا قولُ النّجاشىّ :

ولا يأكلُ الكلبُ السَّروقُ نِعالنا ولا ينتقى المخَّ الذى فى الجماجمِ[4]

---

(١) كنايات الجرجانى ١٢٥ (٢) ديوانه ٣٠
(٣) كنايات الجرجانى ١٢٥

يريد أنّ نعالهم سِبْت ، والسِّبْت : جلودُ البقر المدبوغة بالقَرَظ ، ولا تقربها الكلاب ، وإنما تأكل الكلابُ غيرَ المدبوغ ؛ لأنه إذا أصابه المطرَ دسّمه فصار زَهِمًا .

ويقولون للسيّد : لا يَطأُ على قَدَم ، أى هو يتقدم الناسَ ولا يتبع أحدا فيطأ على قدمه .

ويقولون : قد اخضرّت نعالهم ، أى صاروا فى خِصب وسَعة ، قال الشاعر :

يتتايهون إذا اخضرّتْ نعالهُمُ ... وفى الحفيظةِ أبرامٌ مَضاجيرُ

وإذا دَعَوا على إنسان بالزَّمانة قالوا : ختم الله نعليه ، لأنّ المُقعد لا يحتاجُ إلى نعل .

ويقولون : أطفأ اللهُ نورَه ، كناية عن العَمَى وعن الموت أيضًا ، لأنّ من يموت فقد طَفِئَتْ نارُه .

ويقولون : سقاه اللهُ دمَ جوفه ؛ دُعاء عليه بأن يَقتلَ ولدَه ، ويُضطَرّ إلى أخذ ديته إبلا فيشرب ألبانَها .

ويقولون : رماه الله بليلةٍ لا أختَ لها ؛ أى ليلة موته ، لأنّ ليلةَ الموْت لا أختَ لها .

ويقولون : وَقَعوا فى سَلَى جَمَل ، أى فى داهية لا يُرى مثلُها ، لأنّ الجمل لا سَلَى له ، وإنما السَّلَى للناقة ، وهى الجُلَيْدة التى تكون ملفوفةً على ولدها .

ويقولون : صاروا فى حُوَلاء ناقة ، إذا صاروا فى خِصْب .

وكانوا إذا وَصفوا الأرض بالخصب قالوا : كأنّها حُوَلاء ناقة .

ويقولون لأبناء الملوك والرؤساء ومن يجرى مجراهم : جُفاة المَحَزّ ،
قال الشاعر :

جُفاةُ المَحَزّ لا يُصيبون مَفصِلاً ولا يأكلون اللحم إلا تَخَذُّما

يقول : هم ملوكٌ ، وأشباهُ الملوك لا حِذْقَ لهم بنحر الإبل والغنم ولا يعرفون
التجليد والسَّلخ ، ولهم من يتولّى ذلك عنهم ، وإذا لم يحضرهم من يحزّ الجزور
تكلّفوا هم ذلك بأنفسهم ، فلم يحسنوا حزّ المفصل كما يفعله الجزّار ، وقوله :

* ولا يأكلون اللحمَ إلا تخذُّما *

أى ليس بهم شَرَه فإذا أكلوا اللحمَ تخذّموا قليلا قليلا ، والخذم : القطع ،
وأنشد الجاحظ فى مثله :

وصُلْع الرءوسِ عِظامُ البطونِ جُفاةُ المَحَزّ غِلاظُ القَصَرْ

لأنّ ذلك كله أمارات الملوك ؛ وقريبٌ من ذلك قوله :

ليس براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزّارٍ على ظهرِ وَضَمْ[1]

ويقولون : فلانٌ أملَس ، يكنُون عن لا خير فيه ولا شرّ ، أى لا يَثبُت فيه
حمدٌ ولا ذمّ .

ويقولون: مِلحُه على رُكبَتِه ، أى هو سيّء الخلُق ، يُغضِبه أدنَى شىء ، قال :

لا تَلُمْها إنهـا من عُصبَةٍ مِلحُها موضوعةٌ فوقَ الرُّكَب[2]

ويقولون كنايةً عن مجوسىّ : هو ممّن يخطّ على النَّمل ، والنمل جمع نَمْلة ،
وهى قَرْحة بالإنسان ، كانت العربُ تزعم أنّ المجوسىّ إذا كان من أخته وخطّ عليها
برَأَت ، قال الشاعر :

ولا عيبَ فينا غيرَ عِرْقٍ لمَعشَرٍ كرامٍ وأنّا لا نَخُطُّ على النَّمْل[3]

(١) الكامل ٢١٨ (طبع أوربا) . (٢) الجرجانى ١٢٧ ، ونسبه إلى مسكين .
(٣) اللسان (نمل)

ويقولون للصبيّ : قد قُطِعَتْ ثمرته ، أى خُتِن . وقال عُمارة بنُ عقيل بن بلال ابن جرير :

مازال عِصيانُنا لله يرذلنـــا حتى دُفِعنا إلى يحيى ودينارِ[1]

إلى عُنَيْجِيْن لم تُقطَع ثِمارُهما قد طالما سَجَدا للشمس والنار

ويقولون : قِدْر حليمة ، أى لا غَلَيان فيها .

ويقولون من يصلّى صلاةً مختصَرة : هو رَجرُ الصّلاة

وقال أعرابىٌّ لرجل رآه يصلّى صلاةً خفيفة : صلاتُك هذه زَجَر .

ويقولون : فلانٌ عفيفُ الشَّفة ، أى قليــلُ السّؤال ، وفلانٌ خفيفُ الشّفة ، كثيرُ السؤال .

وتَكنى العرب عن المتيقّظ بالقطامىّ ، وهو الصَّقْر .

ويَكْنون عن الشدّة والمشقّة بعَرَق القِرْبة ، يقولون : لقيتُ من فلانٍ عَرَق القِرْبَة ، أى العَرَق الذى يَحدُث لك من حَمْلها وثِقلها ؛ وذلك لأنّ أشدَّ العمل كان عندهم السَّقْى وما ناسبه من معالجة الإبل .

وتكنى العرب عن الحشرات وهَوامّ الأرض بجُنودِ سَعْد ؛ يعنون سعدَ الأخبية ، وذلك لأنّه إذا طَلَع انتشرتْ فى ظاهر الأرض ، وخرج منها ما كان مستترا فى باطنها ، قال الشاعر :

قد جاء سعدٌ مُنذِراً بحرِّهِ مُوعِــدَةً جُنودُه بشرِّهِ[1]

ويَكنِي قومٌ عن السائلين فى الأبواب بحَفَظة سورة يوسف عليه السلام ، لأنهم يعتنون بحفظها دون غيرها ، وقال عُمارة يهجو محمد بن وُهَيب :

تَشَبّهتَ بالأعراب أهلِ التعجرُفِ فدلّ على ماقلتَ قُبحُ التكلُّفِ[1]

---

(١) كنايات الجرجانى ١٢٩ ، ١٢ .

لسانٌ عراقيٌّ إذا ما صرفتَه ... إلى لغةِ الأعرابِ لم يتصرّفِ

ولم تنسَ ما قد كان بالأمس حاكَه ... أبوهُ وعُودُ الحفّةِ لم يتقصّفِ

لئن كنتَ للأشعار والنحوِ حافظاً ... لقد كان من حُفّاظ سورة يوسفِ

ويَكنون عن اللّقيط بتربيةِ القاضي ، وعن الرقيب بثاني الحبيب ، لأنّه يُرى معه أبدا ، قال ابنُ الرومي :

موقفُ الرقيب لا أنساهُ ... لستُ أختارهُ ولا آباهُ

مرحباً بالرقيب من غير وَعْدٍ ... جاء يَجْلو عليَّ مَن أهواهُ

لا أُحِبُّ الرقيبَ إلّا لأنّي ... لا أرى من أُحِبّ حتّى أراهُ

ويَكنون عن الوجه المليح بحُجّة الذنب ، إشارة إلى قول الشاعر :

قد وجدْنا غفلةً من رقيبٍ ... فسرقْنا نظرةً من حبيبِ

ورأينا ثَمّ وجهاً مليحاً ... فوجَدْنا حُجّةً للذنوبِ

ويَكنون عن الجاهل ذي النعمة بحُجّة الزندقة ، قال ابنُ الرومي :

مَهْلاً أبا الصقر فكم طائرٍ ... خرّ صريعاً بعد تحليقِ

لا قُدّستْ نُعمى تسربلتَها ... كم حُجّةٍ فيها لزنديقِ !

وقال ابنُ بسّام في أبي الصقر أيضا :

يا حُجّةَ الله في الأرزاقِ والقِسَمِ ... وعبرةً لأولي الألبابِ والفهمِ

تراكَ أصبحتَ في نعماء سابغةٍ ... إلّا وربُّك غضبانٌ على النِّعَمِ

فهذا ضدّ ذلك المقصد ، لأنّ ذاكَ جعله حُجّةً على الزندقةِ ، وهذا جعله حجّة على قُدْرة الباري سبحانه على عجائب الأمور وغرائبها ، وأنّ النعم لا قَدْر لها عنده سبحانه ، حيث جعلها عند أبي الصقر مع دناءة مغرسه . وقال ابن الرومي :

وقَيْنَــةٍ أبرَدُ من ثَلْجَةٍ تَبِيتُ منهــا النفسُ فى ضَجَّةْ
فى ضَحْكَةٍ كأنّها مِن نَتْنِها نَحمةُ لكنّها فى اللون أتْرُجّةْ
تفاوتتْ خِلقتُهــا فاغتَــدَتْ لــكلّ مَنْ عُلِّلَ مُحتجّــةْ

وقد يُشابِه ذلك قولَ أبى علىّ البَصير فى ابن سعدان :

يابنَ سَعدانَ أَجلحَ الرُّزقُ فى أمْـ ـرِكَ واستحسن القبيـــح بَرَّهْ
نلتَ مالم تكن تُمَنّى إذا ما أسرفَتْ فى غاية الأمانىِّ عِشرَهْ
ليس فيها أظنّ إلاّ لـكيلا يُنكِر المُنكِرون لِلَّه قُدرَهْ

وللمفجّع فى قريب منه :

إن كنتُ خُنتُكم المودّةَ غادِراً أو حُلْتُ عن سَنَن المحبِّ الوامِقِ
فمُسِخْتُ فى قُبْح ابنِ طلحة إنّه مادلّ قطّ على كمال الخـــالِقِ

ويقولون : عَرَضَ فلانٌ على الحاجة عَرْضاً سابِرياً ، أى خفيفاً من غير استقصاء ، تشبيهاً له بالثوب السـابِرىّ ، والدِّرْع السـابرية ، وهى الخفيفة .

ويُحكَى أن مرتدّاً مرّ على قوم يأكلون وهو راكبٌ حِماراً ، فقالوا : انزل إلينا ، فقال : هذا عَرْضٌ سابِرىّ ، فقالوا : انزل يابن الفاعلة . وهذا طَرْفٌ ولباقة .

ويقولون فى ذلك : وعــدٌ سابِرىّ ، أى لا يُعتَرَن به وفاء ، وأصلُ السـابِرىّ ، اللّطيف الرّقيق .

وقال المبرِّد : سألتُ الجاحِظَ : من أشعَر المولّدين ؟ فقال : القائل :

كأنّ ثيابَه أطلَعـــــن من أزراره قمرا
يزيدُك وجهُه حُسْناً إذا مازدتَه نظرا
بعَينٍ خالَطَ التفتـ ـيرُ فى أجفانِها الحَوَرا

ووجهٍ سابريٍّ لو تَصوَّبَ ماؤُه قَطَرا

يعني العباس بن الأحنف[1] .

وتقول العرب في معنى قول المحدثين : عَرَض عليه كذا عَرْضا سابِريًّا ، عَرَض عليه عَرْضَ عالّة ، أي عَرْض الماء على النَعم العالّة التي قد شَرِبت شربا بعد شُرْب ، وهو العَلَل ؛ لأنها تُعرَض على الماء عَرْضا خفيفاً لا تدمع فيه .

ومن الكنايات الحسنة قولُ أعرابيّة قالت لقيس بن سعد بن عبادة . أشكو إليك قِلّة الجرذان في بيتي ؛ فاستحسن منها ذلك ، وقال لأكثِرنّها ؛ املئوا لها بيتها خبزًا وتمرًا وسمنا وأقطاً ودقيقا .

وشبيه بذلك ماروي أنّ بعض الرؤساء سايره صاحبٌ له على برذون مهزول ، فقال له : ما أشدَّ هُزالَ دابّتك ؟ فقال : يدُها مع أيدينا ، ففطن لذلك ووصله .

وقريبٌ منه ما حُكِيَ أنّ المنصور قال لإنسان ما مالُك ؟ قال ما أصون به وجهي ، ولا أعودُ به على صَديق ؛ فقال : لقد تلطّفتَ في مسألة ، وأمر له بصلة .

وجاء أعرابيٌّ إلى أبي العباس ثعلب وعنده جماعة ، فقال له : ما أراد القائلُ بقوله :

الحمدُ لله الوَهُوبِ المَنّانْ صارَ الثَريدُ في رءوس القُضبانْ

فأقبل ثعلب على أهل المجلس فقال : أجيبوه ، فلم يكن عندهم جواب ، وقال له جعلتُ فداك . الجواب منك ياسيدي أحسن ، فقال : على أنكم لا تعلمونه ! قالوا : لا نعلمه ، فقال الأعرابيّ : قد سمعتُ ماقال القوم ، فقال : ولا أنت أعزّك الله تعلمه ، فقال ثعلب : أرادَ أن السُّنبل قد أفرك ، قال : صدقتَ فأين حق الفائدة ؟ فأشار إليهم ثعلب،

(١) ديوانه ١٢٩

فرأوه ، فقام قائلاً : بوركتَ من ثعلب ، ما أعظم بركتك !

ويكنون عن الشيب بغبار العسكر ، وبرغوة الشباب ، قال الشاعر :

قالت أرى شيئاً رأيتك ، قلتُ لا هـذا غبارٌ من غبار العسكر

وقال آخر — وسماه غبار وقائع الدهر :

غضبتْ ظلوم وأزمعتْ هجري وصبتْ ضمائرها إلى الغدرِ

قالت أرى شيئاً قلتُ لهـا هـذا غبارُ وقائع الدهرِ

ويقولون للسحاب : فحل الأرض .

وقالوا : القلم أحدُ اللسانين وردىءُ الخطِّ أحدُ الزمانتين .

قال : وقال الجاحظ : رأيت رجلاً أعمى يقول في الشوارع وهو يسأل : ارحموا ذا الزمانتين ، قلتُ : وما هما ؟ قال : أنا أعمى وصوتي قبيح . وقد أشار شاعرٌ إلى هذا فقال :

اثنان إذا عُـدّا حقيقٌ بهما الموتُ
فقيرٌ ماله زهـدٌ وأعمى ماله صوتُ

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله : « إياكم وخضراء الدمن » ، فلما سُئل عنها قال : « المرأةُ الحسناء في المنبت السوء » .

وقال عليه السلام في صُلح قومٍ من العرب : « إنّ بيننا وبينهم عَيبةً مكفوفة » ، أي لا نكشف ما بيننا وبينهم من ضغن وحقد ودم .

وقال عليه السلام : « الأنصارُ كرشي وعَيبتي » ، أي موضع سِرّي . وكرشي : جماعتي .

ويقال: جاء فلان رَبِذَ[1] العِنان، أي مُنهزماً.

وجاء ينفض مِذْرَوَيه[2]، أي يتوعّد من غيرِ حقيقة.

وجاء يَمْطُر عن شِماله، أي مُنهزماً.

وتقول: فلانٌ عندى بالشمال، أى منزلته خسيسة، وفلانٌ عندى باليمين، أى بالمنزلة الحُسنى، قال أبو نُوَاس:

أقولُ لناقتى إذ بلّغَتْنى لقد أصبحتِ عندى باليمينِ[3]

فلم أجعلْكِ للغربانِ نُهْبًا ولم أقلِ اشرَقِى بدمِ الوَتينِ

حَرُمْتِ على الأزِمّةِ والوَلايا وأعلاقِ الرِّحالةِ والوَضينِ

وقال ابن مَيّادة:

أبِينى أفى يُمْنَى يديكِ جعلتِنى فأفرحَ أم صيّرتِنى فى شِمالكِ

وتقول العرب: التقى الثَّرَيانِ فى الأمرين يتفقان ويتسقان، أو المتحابين، قال أبو عبيدة: والثرى التراب النَّدِىُّ فى بطن الوادى، فإذا جاء المطر وسَحّ فى بطن الوادى حتى يلتقى نداه والندى الذى فى بطن الوادى يقال: التقى الثريان.

ويقولون: هم فى خيرٍ لا يُطَيَّرُ غُرابُه، يريدون أنهم فى خيرٍ كثيرٍ وخِصْبٍ عظيمٍ فيقع الغراب فلا يُنفَّر لكثرة الخِصْب.

وكذلك أمرٌ لا يُنادَى وليدُه، أى أمرٌ عظيمٌ يُنادَى فيه الكبارُ دونَ الصغار.

وقيل: المرادُ أنّ المرأة تشتغل عن وليدها فلا تناديه لعِظَم الخَطْب، ومن هذا قولُ الشاعر يَصِف حربًا عظيمة:

---

(١) فى اللسان: «ربذ العنان، أى منفرداً منهزماً».

(٢) المذروان: الجانبان من كل شىء، وقد مرّ مثال على [illegible]

(٣) ديوانه ٦٥

إذا حَرِنَ الفَحْلُ وَسْطَ الحجُورِ وصاحَ الكِلابُ وعَقّ الوَلَدْ

يريد أنّ الفحل إذا عاين الجيشَ والبارقةَ لم يلتفتْ لَفْتَ الحجور ولم يَصهَل، وتَنبح الكلابُ أربابَها، لأنّها لا تَعرفهم للبسهم الحديد، وتَذهَل المرأةُ عن ولدها رعبا، فجعل ذلك عُقوقا.

ويقولون: أصبحَ فلانٌ على قَرْنِ أعفَرَ؛ وهو الظّبي إذا أرادوا أنّه على خَطَر، وذلك لأنّ قَرْنَ الظّبي ليس يَصلُح مكاناً، فمن كان عليه فهو على خَطَر، قال امرؤ القيس:

ولا مِثْــــلَ يومٍ بالعطالي قطعتُه كأنّي وأصحابي على قَرْنِ أعفَرا[1]

وقال أبو العلاء المعرّى:

* كأنّي فوقَ رَوْقِ الظّبي من حَذَرِ[2] *

وأنشدَ ابنُ دريد في هذا المعنى:

وما خــيرُ عَيشٍ لا يزال كأنّه محــلّةُ يَعسُوبٍ برأسِ سِنانِ

يعني من القلق وأنّه غيرُ مطمئن.

ويقولون: به داء الظّبي، أي لا داء به، لأنّ الظّبي صحيحٌ لا يزال، والمرض قلّ أن يَعتريَه. ويقولون للمتلوّن المختلف الأحوال: ظِلّ الذئب، لأنّه لا يزال مرّةً هكذا ومرّة هكذا.

ويقولون: به داء الذّئب، أي الجوع.

---

(١) ديوانه ٢٠ وروايته:

وَلا مِثْلَ يَوْمٍ فى قَدَرَانَ ظَلْتُهُ كَأنّى وَأَصْحَابى على قَرْنِ أعْفَرَا

(٢) سقط الزند ١٣١، وصدره: * فى جلدة مثل ظهر الصبي بت لها *

وعهدُ فلانٍ عهدُ الغُراب ، يعنُون أنه غدر ، قالوا : لأنّ كلَّ طائر يألَفُ أنثاه إلّا الغراب ، فإنّه إذا باضتْ الأنثى تركَها وصار إلى غيرِها .

ويقولون : ذهب تَمْعَ الأرض وبصرَها ، أي حيثُ لا يُدرَى أين هو !

وتقول : أَلقَى عصاه ؛ إذا أقامَ واستقرّ ، قال الشاعر :

فألقتْ عَصاها واستقرّ بهـــا النّوَى كما قَرّ عَيْنـــا بالإيابِ المُسافِرُ [1]

ووَقَع القضيبُ من يَدِ الحجّاج وهو يَخطُب ، فتطيّر بذلك حتّى بانَ في وجهه ، فقام إليه رجلٌ فقال : إنّه ليس ما ستَق وَهْمُ الأميرِ إليه ، ولكنّه قولُ القائل ، وأنشدَه البيت ، فسُرِّيَ عنه .

ويقال للمختلفين : طارت عَصاهم شِقَقاً .

ويقال : فلانٌ منقطِع القَبال [2] ، أي لا رأيَ له .

وفلان عريضُ البطان ، أي كثيرُ الثروة .

وفلانٌ رخيُّ اللَّبَبِ ، أي في سَعَة .

وفلانٌ واقعُ الطائر ، أي ساكنٌ .

وفلانٌ شديدُ الكاهل ، أي منيع الجانب .

وفلانٌ ينظُر في أعقابِ نجمٍ مُغرِّب ، أي هو نادِم آيِس ، قال الشاعر :

فأصبحتُ من ليلَى الغَـــداة كناظرٍ مع الصّبح في أعقابِ نجمٍ مغرِّبِ [3]

وسُقِط في يدِه ، أي أيقَن بالهَلَكة .

وقد رَدَدْتُ يدَه إلى فيه ، أي منعته من الكلام .

وبنو فلان يدٌ على بني فلان ، أي مجتمِعون .

---

(١) اللسان (عصا) .

(٢) القبال : زمام النعل .

(٣) للمجنون ، ديوانه ٧٩ .

وأعطاه كذا عن ظَهْرِ يد ، أي ابتداء لا عن مُكافأة .

ويقولون : جاء فلانٌ ناشراً أُذُنَيه ، أي جاء طامعاً .

ويقال : هـــذه فرسٌ غيرُ محيمة ، أي لا تحوج صاحبها إلى أن يَحلِفَ أنها كريمة ، قال :

كميتٌ غير محيقةٍ ولـكنْ كلَوْنِ الصِّرف عُلَّ به الأديمُ

وتقول : حَلَبَ فلانٌ الدهر أشطُرَه ، أي مرّت عليه ضروبه خيرُه وشرُّه

وقَرَع فلانٌ لأمرٍ ظُنْبوبَه ، أي جدّ فيه واجتهد

وتقول : أبدى الشرّ نواجذَه ، أي ظهر .

وقد كشفت الحربُ عن ساقِها ، وكشرتْ عن نابها .

وتقول : استنوق الجملُ ؛ يقال ذلك للرجل يكون في حديث ينتقل إلى غيره يَخلطه به .

وتقول لمن يهون بعد عزّ : استنّت الفِصال .

وتقول للضعيف يقوى : استنسر البُغاث .

ويقولون : شرابٌ بأنقُع ، أي مُعاود للأمور ؛ وقال الحجاج : يا أهل العِراق ، إنكم شرّابون بأنقُع ، أي معتادون الخير والشرّ . والأنقُع : جمع نَقْع ، وهو ما استنقع من الغُدْران ، وأصله في الطائر الحذر يَرِدُ المناقِع في الفلوات حيث لا يبلُغه قانِص ، ولا ينصب له شَرَك .

* * *

[حديث عن امرئ القيس]

وختم هذا الفصل في الكنايات بحكاية رواها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني ؛ قال أبو الفرج : أخبرني[1] محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني ابن عمي ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الله ، عن الهيثم بن عدي . قال : وحدثني عمي ، قال : حدثنا محمد بن سعد الكراني ، قال : حدثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة أميراً على العراق ، فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم ، فسمرنا عنده ، فقال : ليحدثني كل رجل منكم أحدوثة وابدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير ، أحديث حق أم حديث باطل ؟ قال : بل حديث حق ، فقلت : إن امرأ القيس كان آلى أليّة[2] ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين ، فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر ، فبينما هو يسير في جوف الليل إذ هو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمّه ، فأعجبته ، فقال لها : يا جارية ، ما ثمانية ، وأربعة ، واثنتان ؟ فقالت : أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة : فأخلاف الناقة ، وأما اثنتان فثديا المرأة ، فخطبها إلى أبيها ، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك ، ثم بعث عبداً إلى المرأة ، وأهدى إليها معه نِحْياً[3] من سمن ونِحْياً من عسل وحلة من عَصْب ، فنزل العبد على بعض المياه ، ونشر الحلة فلبسها ، فتعلقت بسمرة فانشقت ، وفتح النحيين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا ، ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف[4] فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ، ودفع

---

(١) الأغاني ٩ : ١٠١ – ١٠٣ (٢) الألية : اليمين

(٣) النحي : الزق (٤) خلوف : غيب

إليها هديتها ، فقالت : أعلِمْ مولاك أنّ أبى ذهب يقرِّب بعيداً ، ويبعِّد قريباً ، وأن أمى
ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأنّ أخى ذهب يُراعى الشمس ، وأنّ سماءكم انشقت ،
وأن وعاءيكم نضبا .

فقدم الغلام على مولاه ، فأخبره فقال : أما قولها : إنّ أبى ذهب يقرِّب بعيدا ،
ويبعِّد قريبا ، فإنّ أباها ذهب يحالف قوماً على قومه ، وأمّا قولها : إن أمى ذهبت تشق
النفس نفسين ، فإن أمها ذهبت تقبل [1] امرأة نفساء . وأمّا قولها : إنّ أخى ذهب
يُراعى الشمس ، فإن أخاها فى سرح له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح
به . وأما قولها : إن سماءكم انشقت ، فإن البُرد الذى بعثت به انشق ؛ وأما قولها إنّ
وعاءيكم نضبا فإن النِّحْيَين اللذين بعثت بهما نقصا ، فاصدُقنى . فقال : يا مولاى ، إنى
نزلتُ بماء من مياه العرب ، فسألونى عن نسبى فأخبرتهم أنى ابن عمك ، ونشرتُ الحلة
ولبستها وتجملت بها ، فتعلقتْ بسمرة فانشقت ، وفتحتُ النحيين فأطعمتُ منهما أهلَ
الماء ، فقال : أوْلَى لك ! ثم ساق مائةً من الإبل ، وخرج نحوها ومعه العبد يسقى
الإبل ، فعجز ، فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به العبد فى البئر ، وخرج حتى أتى إلى أهل
الجارية بالإبل ، فأخبرهم أنه زوجها ، فقيل لها : قد جاء زوجُكِ ، فقالت : والله
ما أدرِى أزَوْجى هو أم لا ! ولكن انحرُوا له جزُورا وأطعِمُوه من كرشِها وذنبها ،
ففعلوا ، فأكل ما أطعموه ، فقالت : اسقوه لبناً حازراً — وهو الحامض — فسقَوْه فشرب ،
فقالت افرشوا له عند الفَرْث [2] والدم ، ففرَشوا له ، فنام فلما أصبحت أرسلت إليه : إنى
أريد أن أسائلك ، فقال لها : سَلِى عمّا بدا لكِ ، فقالت : مِمّ تختلج شفتاك ؟ قال : من تقبيلى
إيّاك ، فقالت : مِمّ يختلج كشحاك ، قال : لالتزامى إيّاك ، قالت : فمِمّ يختلج فخذاك ؟

---

(١) يقال : قبلت القابلة المرأة إذا تلقت ولدها عند ولادته
(٢) الفرث : السرجين ما دام فى الكرش .

قال: لتورّكي إيّاك، فقالت: عليكم العبد فشدّوا أيديكم به، ففعلوا.

قال: ومرّ قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حيّه وساق مائةً من الإبل، وأقبل إلى امرأته فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا؟ ولكن انحروا له جزورًا، وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا، فلما أتوه بذلك قال: وأين الكبد والسّنام والملحاء[1]، وأبى أن يأكل، فقالت: اسقوه لبنًا حازرًا، فأتي به، فأبى أن يشربه، وقال: فأين الصّريف[2] والرّثيئة؟ فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، ففرشوا له، فأبى أن ينام، وقال: افرشوا لي عند التلعة الحمراء، واضربوا لي عليها خباء، ثم أرسلت إليه: هلمّ شريطتي عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها أن سلي عمّا شئت، فقالت: ممّ تختلج شفتاك؟ فقال: لشربي المشعشعات، قالت: فممّ تختلج كشحاك؟ قال: للبسي الحبرات، قالت: فممّ تختلج فخذاك؟ قال: لركضي المطهّمات[3]، فقالت: هذا زوجي لعمري، فعليكم به، فأحدثت إليه الجارية.

فقال ابن هبيرة: حسبكم، فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديث أبي عمرو، ولن يأتينا أحدٌ منكم بأعجب منه، فانصرفنا وأمر لي بجائزة.

(١) الملحاء: لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير. (٢) والصريب: هو اللبن يحلب من عند اللقاح؟ وفي الأغاني: «الصريف». وهو اللبن الحار ساعة يصرف من الضرع. والرثيئة: اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض، فيروب من ساعته.

(٣) المطهمات: الخيل التامة الحسن.

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ في كلامٍ لهَ :

ووَلِيَهُمْ والٍ فأقامَ واستقامَ ، حتى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرانِهِ .

* * *

الشَّرْحُ :

الجِران : مقدَّم العُنُق ، وهذا الوالي هو عمرُ بنُ الخطاب .

وهذا الكلامُ من خُطْبةٍ خطبها في أيام خلافته طويلة ؛ يذكر فيها قربَه من النبي صلى الله عليه وآله واختصاصه له ، وإفضاءه بأسراره إليه ، حتى قال فيها :

فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلاً منهم ، فقارَبَ وسَدَّدَ حَسَبَ استطاعته على ضَعْفٍ وحِدَّ كانا فيه ، ووليهم بعده والٍ ، فأقامَ واستقامَ حتى ضَرَبَ الدِّين بِجِرانه ، على عَسْفٍ وعَجْرَفِيَّة كانا فيه ، ثمّ احتملوا ثالثاً لم يكن يملك من أمر نفسه شيئاً ، غَلَبَ عليه أهلُه فقادوه إلى أهوائهم كما تقود الوليدةُ البعيرَ المخطوم ، فلم يزل الأمرُ بينه وبين الناس يَبْعُد تارة ويقرُب أخرى حتى نزوا عليه فقتلوه ، ثم جاءوا بي مَدَبَّ الدَّبى يريدون بَيْعَتي .

وتمام الخطبة معروف ، فليطلب من الكُتُب الموضوعة لهذا الفنّ .

الأصل :

وقال عليه السلام :

يأتي على الناس زمان عضوض، يعض الموسر فيه على ما في يديه، ولم يؤمر بذلك، قال الله سبحانه: ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ ؛ ينهد فيه الأشرار، ويستذل الأخيار، ويبايع المضطرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرين.

***

الشرح :

زمان عضوض : أي كلب على الناس، كأنه يعضهم، وفعول للمبالغة، كالنفور والعقوق، ويجوز أن يكون من قولهم : بئر عضوض، أي بعيدة القعر ضيقة، وما كانت البئر عضوضا، فعضت، كقولهم: ما كانت جرورا فأجرت، وهي كالعضوض.

وعض فلان على ما في يده، أي بخل وأمسك.

وينهد فيه الأشرار، ينهضون إلى الولايات والرياسات، وترتفع أقدارهم في الدنيا.
ويستذل فيه أهل الخير والدين، ويكون فيه بيع على وجه الاضطرار والإلجاء؛ كمن يبيع[1] ضيعته، وهو ذليل ضعيف، من رب ضيعة مجاورة لها ذي ثروة وعز وجاه فيلجئه بمنعه الماء، واستذلاله الأكرة والوكيل، إلى أن يبيعها عليه؛ وذلك منهي عنه، لأنه حرام محض.

---

(١) ب : « يبيع ».

(٤٧٥)

الأصل :

وقال عليه السلام :

يَهلِكُ فِيَّ رَجُلانِ : مُحِبٌّ مُفرِطٌ ، وباهِتٌ مُفتَرٍ .

***

قال الرضيّ رحمهُ اللهُ تعالى : وهذا مِثلُ قولِه عليه السلامُ . هَلَكَ فِيَّ اثنانِ : مُحِبٌّ غالٍ ، ومُبغِضٌ قالٍ .

***

الشرح :

قد تقدّم شرحُ مِثلِ هذا الكلام : وخلاصةُ هذا القول أنّ الهالك فيه المُفْرِط والمفرِّط ، أما المُفرِط فالغلاة ، ومن قال بتكفير أعيان الصّحابة ونفاقهم أو فسقهم ، وأما المُفرِّط فمن استنقص به عليه السلام أو أبغضه أو حاربه أو أضمر له غلاًّ ؛ ولهذا كان أصحابنا أصحابَ النّجاة والخلاص والفوز في هذه المسألة ، لأنهم سلكوا طريقةً مقتصدة ، قالوا : هو أفضل الخلق في الآخرة ، وأعلاهم منزلةً في الجنة ، وأفضل الخلق في الدّنيا ، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب ، وكلّ من عاداه أو حاربه أو أبغضه فإنه عدوٌّ لله سبحانه وخالدٌ في النّار مع الكفّار والمنافقين ، إلاّ أن يكون ممن قد ثبتت توبته ، ومات على تولّيه وحبّه .

فأما الأفاضلُ من المهاجرين والأنصار الذين وَلُوا الإمامَة قبله فلو أنّه أنكر إمامتهم

وغضب عليهم ، وسخط فعلهم ، فضلاً عن أن يُشهِر عليهم السيف ، أو يدعو إلى نفسه ، لقُلْنا: إنهم من الهالكين ، كما لو غضب عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه قد ثبت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : «حربُكَ حَرْبِي ، وسِلْمكَ سِلْمِي» ، وأنه قال : «اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ من عاداه» ، وقال له : «لا يُحبُّكَ إلاّ مؤمن ، ولا يبغضك إلاّ منافِق» ، ولكنا رأيناه رضيَ إمامتَهم وبايعهم وصلى خلفهم وأنكحهم وأكل من فيئهم ، فلم يمكن لنا أن نتعدّى فعله ، ولا نتجاوز ما اشتهر عنه ؛ ألا ترى أنه لما برئ من معاوية برئنا منه ، ولما لعنه لعنّاه ، ولما حكم بضلال أهل الشام ومن كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص وعبد الله ابنه وغيرهما حكمنا أيضاً بضلالهم !

والحاصل أنا لم نجعل بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله إلا رتبة النبوة ، وأعطيناه كلّ ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينهم[1] ، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصحّ عندنا أنه طعن فيهم ، وعاملناهم بما عاملهم عليه السلام به .

• • •

[فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة]

والقول بالتفضيل قولٌ قديم ، قد قال به كثيرٌ من الصحابة والتابعين ، فمن الصحابة عمّار ، والمقداد ، وأبو ذرّ ، وسلمان ، وجابر بن عبد الله ، وأُبيّ بن كعب ، وحذيفة ، وبُرَيدة ، وأبو أيوب ، وسهل بن حُنَيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبو الهيثم بن التَّيهان ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، والعباس بن عبد المطلب وبنوه ، وبنو هاشم كافةً ، وبنو المطلب كافةً .

(١) ب : « بينه » تحريف .

وكان الزبيرُ من القائلين به في بدء الأمر، ثم رجع، وكان من بني أمية قومٌ يقولون بذلك، منهم خالدُ بنُ سعيد بن العاص، ومنهم عمرُ بنُ عبد العزيز.

***

وأنا أذكر هنا الخبرَ المرويَّ المشهورَ عن عمر، وهو من رواية ابن الكلبي، قال: بينا عمر بن عبد العزيز جالس في مجلسه، دخل حاجبُه ومعه امرأةٌ أدماءُ طويلةٌ حَسَنَةُ الجسم والقامة، ورجلان متعلِّقان بها، ومعهم كتابٌ من مَيْمونَ بن مِهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضّه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، من ميمون بن مِهْران، سلامٌ عليكَ ورحمةُ الله وبركاته، أمّا بعد، فإنه وَرَدَ علينا أمرٌ ضاقتْ به الصدور، وعجزتْ عنه الأوساع[1]، وهربْنا بأنفسنا عنه، ووَكَلْناه إلى عالمه، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ولو ردُّوه إلى الرسولِ وإلى أولي الأمرِ منهم لعلِمه الذين يستنبطونه منهم﴾[2]، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإنّ أباها يا أميرَ المؤمنين زعَم أنّ زوجها حَلَف بطلاقها أنّ عليَّ بنَ أبي طالب عليه السلام خيرُ هذه الأمّة وأولاها برسولِ الله صلّى الله عليه وآله، وأنّه يزعُم أن ابنته طلقتْ منه، وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صِهرًا، وهو يعلم أنها حرامٌ عليه كأمّه، وإنّ الزوج يقول له: كذبتَ وأثِمْتَ، لقد بَرّ قَسَمي، وصدقتْ مقالتي، وإنها امرأتي على رَغْم أنفك، وغَيْظ قلبك؛ فاجتمعوا إليّ يختصمون في ذلك، فسألتُ الرجلَ عن يمينه، فقال: نعم، قد كان ذلك، وقد حلفتُ بطلاقها أنّ عليًّا خيرُ هذه الأمّة وأولاها برسولِ الله صلّى الله عليه وآله، عرَفه من عرَفه، وأنكره من أنكره، فليغضبْ من

(١) الأوساع: جمع وُسْع، وهو الطاقة.
(٢) سورة النساء ٨٣.

نَصيب ، وليَرْضَ من رَضِي ، وتَسامعَ الناسُ بذلك ، فاجتمعوا له ، وإن كانت الألسنُ مجتمِعةً فالقلوب شتَّى ، وقد علمتَ ياأميرَ المؤمنين اختلافَ الناس في أهوائهم ، وتسرُّعهم إلى ماقيه الفِتنة ، فأحبَبْنا عن الحكْم بتحكيم ما أراك الله . وإنهما تعلَّقا بها ، وأقسم أبوها ألا يدَعَها معه ، وأقسم زوجُها ألا يفارقَها ولو ضُرِبتْ عُنقُه إلا أن يحكُم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفتَه والامتناعَ منه ، فرفعناهم إليك ياأميرَ المؤمنين ، أحسنَ الله توفيقَك وأرْشدَك !

وكَتَب في أسفلِ الكتاب :

إذا ما المُشكِلاتُ وردْن يومًا ... فحارتْ في تأمُّلِها العُيونُ

وضاقَ القـومُ ذرْعًا عن نباها ... فأنتَ لهـا أبا حفصٍ أمينُ

لأنك قـد حوَيْتَ العِلمَ طُرًّا ... وأحكَمَتْك التجـاربُ والشُّئونُ

وخَلَّفكَ الإلهُ على الرَّعايا ... فحظُّك فيهمُ الحظُّ الثمينُ

قال : فجمعَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز بني هاشم وبني أميّة وأفخاذ قُرَيْش ، ثم قال لأبي المرأة : ما تقول أيها الشيخ ؟ قال : ياأمير المؤمنين ؛ هـذا الرجلُ زوّجتُه ابنتي ، وجهزْتُها إليه بأحسن ما يُجهَّز به مِثلُها ، حتى إذا أمِلْتُ خيرَه ، ورجوتُ صلاحَه ، حلف بطلاقها كاذبًا ، ثم أرادَ الإقامةَ معها ، فقال له عمر : ياشيخ ، لعـلّه لم يُطلِّق امرأته ، فكيف حلَف ؟ قال الشيخ : سبحانَ الله ! الذي حلفَ عليه لأبْيَنُ حِنثًا وأوضح كذبًا من أن يختلجَ في صدري منه شكٌّ ، مع سِنِّي وعِلْمي ، لأنه زعم أنّ عليًّا خيرُ هذه الأمّة وإلّا فامرأتُه طالق ثلاثًا . فقال للزوج : ما تقول ؟ أهكذا حلفْتَ ؟ قال : نعم . فقيل : إنه لمّا قال : نعم ، كادَ المجلسُ يرْتجُّ بأهلِه ، وبنو أميّة ينظُرُون إليه شزْرًا ، إلا أنهم لم ينطِقوا بشيء ، كلٌّ ينظرُ إلى وجهِ عمر .

فأكبّ عمر مليّاً ينكتُ الأرضَ بيدِه والقومُ صامتون ينظرُونَ ما يقولُه ، ثمّ رفع رأسه وقال :

إذا وَلِيَ الحكومةَ بينَ قومٍ أصابَ الحقَّ والتمسَ السَّدادَا
وما خيرُ الإمامِ إذا تعدَّى خلافَ الحقِّ واجتنبَ الرَّشادا

ثم قال للقوم : ما تقولونَ في يمينِ هذا الرجل ؟ فسكتُوا ، فقال : سبحانَ الله ! قولُوا . فقال رجلٌ من بني أميّة : هذا حُكْمٌ في فرْج ، ولسنا نجترئُ على القولِ فيه ، وأنتَ عالمٌ بالقولِ ، مؤتمنٌ لهم وعليهم ، قُلْ ما عندك ، فإنّ القول ما لم يكن يُحِقّ باطلا ويُبطِلُ حقّاً جائزٌ عليّ في مجلسي .

قال : لا أقولُ شيئاً ؛ فالتفتَ إلى رجلٍ من بني هاشمٍ من ولد عَقيل بن أبي طالب ، فقال له : ما تقول فيما حلفَ به هذا الرجل ياعَقيلي ؟ فاغتنمها ، فقال : ياأمير المؤمنين ؛ إن جعلتُ قولي حُكمًا ، أو حُكمي جائزاً قلتُ ؛ وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي ، وأبقى للمودّة ؛ قال : قل وقولُك حُكْم ، وحُكْمُك ماض .

فلما سمِع ذلك بنو أميّة قالوا : ما أنصفتَنا ياأميرَ المؤمنين إذ جعلتَ الحكمَ إلى غيرنا ، ونحن من لحمتك وأولى رحِمك ! فقال عمر : اسكتُوا أعجزا ولؤما ! عرضتُ ذلك عليكم آنفاً فما انتدبتم له . قالوا : لأنك لم تُعطِنا ما أعطيتَ العَقيليَ ، ولا حكّمتنا كما حكّمتَه ، فقال عمر : إن كانَ أصابَ وأخطأتم ، وحزَم وعجزتم ، وأبصر وعميتم ، فما ذنبُ عمر ، لا أبا لكم ! أتدرون ما مثَلُكم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : لكن العقيليُّ يدري ، ثم قال : ماتقول يارجل ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، كما قال الأوّل :

دُعيتم إلى أمرٍ فلما عجزتمُ تناوله من لا يُداخِلُه عجزُ
فلمّا رأيتمْ ذاكَ أبدتْ نفوسُكمْ نداماً وهل يُغني من الحذرِ الحرزُ !

فقال عمر : أحسنتَ وأصبتَ ، فقل ما سألتُك عنه . قال : ياأمير المؤمنين ،

بزقَسْمه ، ولم تَطلق امرأتُه ، قال : وأنّى علمتَ ذلك ؟ قال : نشدتُكَ اللهَ يا أمير المؤمنين ، ألم تعلمْ أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام وهوَ عندَها في بيتها عائدٌ لها : يا بُنيّة ، ما علّتُك ؟ قالت : الوَعَك يا أبتاه ـ وكان عليٌّ غائبا في بعض حوائج النبيّ صلّى الله عليه وآله ـ فقال لها : أتشتهين شيئًا ؟ قالت : نعم أشتهي عنبا ، وأنا أعلم أنه عزيز ، وليس وقت عنب ، فقال صلّى الله عليه وآله : إن الله قادرٌ على أن يجيئنا به ، ثمّ قال : اللهمّ ائتنا به مع أفضل أمّتي عندك منزلةً ؛ فطرَق عليٌّ الباب ، ودَخل ومعه مِكْتَل قد ألقى عليه طرف ردائه ، فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله : ما هذا يا عليّ ؟ قال : عِنبٌ التمستُه لفاطمةَ عليها السلام ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، اللهمّ كما سررتني بأن خصصتَ عليّا بدعوتي فاجعلْ فيه شفاء بُنيّتي ، ثم قال : كُلي على اسم الله يا بُنيّة ، فأكلتْ ، وما خرَج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى استقلّت وبرأتْ ، فقال عمر : صدقتَ وبرِرْتَ ، أشهدُ لقد سمعتُه ووعيتُه ، يا رجل ، خذ بيد امرأتك فإن عرَض لك أبوها فاهشِمْ أنفَه . ثم قال : يا بني عبد مناف ، والله ما نَجهل ما يَعلم غيرُنا ، ولا بنا عمًى في ديننا ، ولكنّا كما قال الأوّل :

تَصيّدتِ الدنيا رجالاً بفخّها ... فلم يدركوا خيراً بل استَقبحوا الشرّا
وأعماهُمُ حُبُّ الغِنَى وأصمّهمْ ... فلم يُدركوا إلّا الخسارةَ والوِزْرا

قيل : فكأنّما ألقَم بني أمية حجَرا ، ومضى الرجلُ بامرأته .

وكتب عُمر إلى ميمونَ بن مِهرانَ :

عليك سلامٌ ، فإنّي أحمَد إليك الله الذي لا إله إلّا هو ، أمّا بعد ، فإنّي قد فهمتُ كتابَك ، وورَدَ الرجلان والمرأة ، وقد صدَق الله يمينَ الزوج ، وأبرّ قسمَه ، وأثبته على نكاحه ، فاستيقنْ ذلك ، واعملْ عليه ، والسّلام عليكَ ورحمةُ الله وبركاته .

فأما مَن قال بتفضيله على الناس كافةً من التابعين فخلقٌ كثير كأُوَيس القَرَنيّ وزيد بن صُوحان، وصَعْصعة أخيه، وجُنْدُب[1] الخير، وعَبيدة السَّلمانيّ وغيرهم ممن لا يُحصَى كثرةً، ولم تكن لفظة الشيعة تُعرف فى ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله، ولم تكن مقالة الإماميّة ومَن نحا نحوَها من الطاعنين فى إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمَّوْن الشيعة، وجميعُ ما ورَدَ من الآثار والأخبار فى فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة، فهؤلاء هم المعنيّون به دون غيرهم، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة فى كُتُبهم وتصانيفهم : نحن الشيعةَ حقًّا . فهذا القولُ هو أقربُ إلى السلامة وأشبَهُ بالحقّ من القولين المقتسِمَيْن طرفَي الإفراط والتفريط إن شاء الله .

---

(١) ق د « وحسب » .

الأصْلُ :

وسُئِلَ عن التوْحيدِ والعَدْلِ ، فقال :

التَّوْحِيدُ ألاّ تَتَوَهَّمَهُ ، والعَدْلُ ألاّ تَتَّهِمَهُ .

***

الشَّرْح :

هذان الرُّكنان هما رُكنا علم الكلام ، وهما شِعارُ أصحابنا المعتزلة ، لنَفْيِهم المعانيَ القديمةَ التي يُثبتها الأشعريّ وأصحابُه ، ولتنزيههم البارى سبحانه عن فِعل القَبيح .

ومعنى قوله « ألا تتوهّمه » أي ألاّ تتوهّمهُ جسما أو صورةً أو في جهةٍ مخصوصة ، أو مالئاً لكلّ الجهات كما ذهب إليه قومٌ ، أو نُوراً من الأنوار ، أو قوّة سارية في جميع العالم ، كما قاله قومٌ ، أو مِنْ جنس الأعراض التي تَحُلّ المَحالّ أو تحُل المَحَلّ ، وليس بعرض كما قاله النَّصارى وغُلاة الشِّيعة ، أو تحلّه المعاني والأعراض ، فمتى تُوُهِّم على شيء مِنْ هذا فقد خُولف التوحيد ، وذلك لأنّ كل جِسم أو عَرَض أو حالٍ في مَحَلّ أو محلّ الحالّ ، أو مختص بجهة ، لا بدّ أن يكون منقسما في ذاته ، لا سيّما على قول مَنْ نَفَى الجزء مطلقا ، وكلّ منقسم فليس بواحد ، وقد ثبتَ أنّه واحد . وأضاف أصحابُنا إلى التوحيدِ نفيَ المعاني القديمة ، ونفيَ ثانٍ في الإلهية ، ونفي الرؤية ، ونفي كونه مشتهيا أو نافرا أو ملتذّا[1] أو آلما أو عالما بعلم مُحْدَث ، أو قادراً بقُدْرة محدثة ، أو حيّاً بحياةٍ محدثة ، أو نفي كونه عالماً بالمستقبلات أبداً ، أو نفي كونه عالماً بكلّ معلوم ، أو قادراً على

---

(١) في د : « متلذذا » .

كل الأجسام وغير ذلك من مسائل علم الكلام التي يدخلها أصحابنا في الركن الأول ، وهو التوحيد .

وأما الركن الثاني فهو ألا تتهمه ، أي لا تتهمه في أنه أجبرك على القبيح ، ويعاقبك عليه ، حاشاه من ذلك ، ولا تتهمه في أنه مكن الكذابين من المعجزات ، وأضل بهم الناس ، ولا تتهمه في أنه كلفك ما لا تطيقه ، وغير ذلك من مسائل العدل التي يذكرها أصحابنا مفصلة في كتبهم كالعوض عن الألم ، فإنه لا بد منه ، والثواب على فعل الواجب فإنه لا بد منه ، وصدق وعده ووعيده فإنه لا بد منه .

وجملة الأمر أن مذهب أصحابنا في العدل والتوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين .
وهذا الموضع من المواضع التي قد صرح فيها بمذهب أصحابنا بعينه ، وفي فرش كلامه من هذا النمط ما لا يحصى .

(٤٧٧)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ : في دُعاءٍ استَسْقَى بِهِ :

اللَّهُمَّ اسْقِنا ذُلُلَ السَّحَائِبِ دُونَ صِعَابِها .

* * *

قالَ الرَّضِيّ رحمهُ اللهُ تعالى :

وهذا مِنَ الكَلامِ العَجيبِ الفصاحةِ ، وذلكَ أنهُ عليهِ السلامُ شَبَّهَ السُّحُبَ ذَوَاتِ الرُّعُودِ والبَوَارِقِ ، والرِّياحِ والصَّوَاعِقِ ، بالإبِلِ الصِّعابِ الَّتِي تَقْمِصُ بِرِحالِها[1] ، وتَتَوَقَّصُ بِرُكْبانِها ، وشَبَّهَ السَّحائِبَ الخالِيَةَ مِنْ تِلْكَ الرَّوَائِعِ بالإبِلِ الذُّلُلِ الَّتِي تُحْتَلَبُ طَيِّعَةً ، وتُقْتَعَدُ مُسْمِحَةً .

* * *

الشرح :

قد كفانا الرضيُّ ـ رحمه الله ـ بشرحه هذه الكلمة مئونة الخوض في تفسيرها .

---

(١) في د « بصاحبها » .

الأصل :

وقيل له عليه السلام : لو غيّرت شيبك يا أمير المؤمنين ! فقال : الخضاب زينة ، ونحن قوم فى مصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله .

* * *

[مختارات مما قيل من الشعر فى الشيب والخضاب]

الشرح :

قد تقدم لنا فى الخضاب قول كاف ، وأنا أستملح قول القائل فيه :

خضابٌ تقاسمناه بينى وبينها ولكنّ شأنى فيه خالفَ شانَها
فياقبحه إذ حلّ منّى بمفرقى ويا حسنه إذ حلّ منها بنانَها
وسُحقاً له عن لِمّتى حين شانَها وأهلاً به فى كفّها حيث زانَها

وقال أبو تمام :

لعب الشيبُ بالمفارق بل جَدّ فأبكى تماضراً ولَعوبا [1]
خضبتْ خدّها إلى لؤلؤ العقد دماً أن رأت شَواتى خضيبا [2]
كلّ داءٍ يُرجَى الدواء له إلّا الفظيعين : ميتة ومشيبا
يانسيب الثّغام ذنبك أبقى حسناتى عند الحسان ذنوبا [3]

---

(١) ديوانه ١ : ١٦٦ ، وتماضر ولعوب من أسماء النساء .
(٢) الشواة : جلدة الرأس .
(٣) الثغام : نبت أبيض يشبه به الشيب

ولئن عِبْنَ ما رأينَ لقد أنــكَرْنَ مستنكرًا وعِبْنَ مَعيبا
لو رأى اللهُ أنّ في الشَّيب فضلا جاورتْه الأبرارُ في الخلد شيبا

وقال :

فإنْ يكن للشيبُ طَغَى علينا وأَوْدَى بالبشاشةِ والشبابِ
فإنّي لستُ أدفعُـــه بشيءٍ يكون عليه أثقلَ من خِضابِ
أردتُ بأنْ يذاك وذا عذابٌ سلّطت العذابَ على العذابِ

ابنُ الرُّومي :

لم أخضب الشَّيبَ للغَــواني أبغى به عنــدهن ودادا
لكنْ خضابي على شبــابِ لبستُ من بعـــده حِدادا

***

ومن مختارِ ما جاء من الشِّعر في الشَّيب وإن لم يكن فيه ذِكر الخِضاب قولُ أبي تمام :

نسَجَ المشيبُ له لِفاعاً مُغْــدِفا يَقَقاً فقنَّع مِــذْرَوَيْه ونصَّفا
نظَر الزمانُ إليـــه قطع دونَه نظَر الشَّفيق تحسُّرًا وتلهُّفــا
ما اسودَّ حتّى أبيضَّ كالكَرم الذى لم يُجْدِ حَــتّى جيءَ كيما يُقطفا
لمّـــا تعوّقتِ الخُطوبُ سَوادَها بَبياضِهـــا عَبِثَتْ به فتفوَّفا
ما كان يخطر قبـــل ذا في فِكْره للبَدْر قبـــلَ تمامِه أن يُكسَفا

وقال أيضا :

غــدَا الهمُّ مختطًّا بفَوْدَيّ خِطّةً طريقُ الرَّدَى منها إلى الموت مَهْيَعُ (١)

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٤

هو الزَّور يُجْفَى ، والمُعاشِرُ يُجْتَوَى | وذو الإلف يُقْلَى ، والجديدُ يُرَقَّعُ
له مَنظَــــرٌ في العَيْن أبيضُ ناصعٌ | ولــكنه في القلب أســـودُ أسفعُ
ونحن نُرَجِّيــه على الكُرْه والرِّضا | وأنفُ الفتى من وجهِه وهو أجْدَعُ

وقال أيضا :

شُعلةٌ في المَفــارقِ استَوْدَعتني | في صَميمِ الأحشاء ثُـكْلاً صَمِيا [1]
تَستثيرُ الهمومَ ما أكْتنَّ منها | صُعُــداً وهي تَستثيرُ الهُموما
عِزَّةٌ مُرّةٌ ألا إنّمــــا كنـــتُ أعزَّ أيّامَ ضِحكتُ نَعِيما
دِقّةٌ في الحياةِ تُدعَى جلالاً | مِثْــلَ ما سُمِّيَ اللّديغُ سَليما
حلّمتنى زَعَمْــتُمُ وأراني | قبلَ هذا التحليمِ كنتُ حَليما

وقال الصّابي وذَكَرَ الخِضابَ :

خضبتُ مَشِيبي للتّعلّقِ بالصِّبَــا | وأوهمتُ مَن أهواهُ أنِّيَ لم أَشِبْ
فلمّا ادّعى منّي العِـــذارُ شَبيبةً | إذا صَلِيَتْ فقد صاحَ من فوقه كَذَبْ
فـكَمْ طُرّةٍ طارتْ ودانتْ ذوائبٌ | وكم وَجْنةٍ حالتْ وماءُ بهـــا نَضَبْ
شَواهــــدُ بالتزويرِ يَحوِيَ رَبُّها | هِجْرانُهُ عنـــدَ الأحبّةِ قد وَجَبْ

البحتريّ :

بانَ الشّبابُ فــــلا عَيْنٌ ولا أثرٌ | إلّا بقيّةُ بُرْدٍ منــــــه أسمالِ
قد كُنتُ أُخرِجُه عن مُنتهَى عَدَدِي | يأساً وأسقِطُه إذْ فاتَ مِن بالِي
سُوءُ العَواقِبِ يأسٌ قبلَــه أمَلٌ | وأعضلُ الداءِ نُكْسٌ بعــدَ إبْلالِ
وللمرء طاعــــــةُ أيّامٍ تُنقِّلُهُ | تَنقُّــلَ الظلِّ من حالٍ إلى حالِ

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٢٣

الأصْـلُ :

وقال عليهِ السلامُ :

ما المُجاهدُ الشَّهيدُ في سَبيلِ اللهِ بأعْظَمَ أجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ ، لَـكادَ العَفِيفُ أنْ يكُونَ مَلَـكاً مِنَ الملائِـكَةِ .

•••

[نبذ وحكاياتٍ حول العفة]

الشَّـرْحُ :

قد تقدّمَ القولُ في العِفَّة ، وهي ضُرُوب : عِفّة اليد ، وعِفّة اللسان ، وعِفّة الفَرْج ، وهي العُظْمَى ، وقد جاء في الحديث المرفوع : « مَن عَشِقَ فَـكَتَمَ وعَفَّ وصَبَرَ فماتَ ماتَ شهيداً ودخَلَ الجنّةَ » .

وفي حكمةِ سليمانَ بن داود : إنَّ السائرَ لِهواه أشدُّ من الذي يَفتح المدينة وحدَه .

نَزَلَ خارجيٌّ على بعض إخوانه منهمْ مستتِراً من الحجّاج ، فشَخَصَ المنزولُ عليه لبعضِ حاجاته وقال لزوجه : يافلْمياء ، أُوصيكِ بضَيْفِ هـذا خيراً ، وكانتْ من أحسَنِ الناس ـ فلمّا عاد بعدَ شهر قال لها : كيف كان ضيفُكِ ؟ قالت : ما أشغلَهُ بالعَمَى عن كلِّ شيء ؟ وكانَ الضيفُ أطبَقَ جَفْنَيـه فلم يَنظُرْ إلى المرأة ولا إلى منزلهـا إلى أنْ عاد زوجُها .

وقال الشاعر :

إن أكن طامحَ اللحاظِ فإنّي ‍ ‍ ‍ والذى يملكُ القلوبَ عفيفُ

خرجت امرأةٌ من صحابيات قريش بن مابها لتعلقه ، ورأسها مكشوف ، فرآها رجلٌ أجنبىٌّ ، فرجعت وحلقت شعرها ، وكانت من أحسن النساء شعرا ، فقيل لها فى ذلك ، فقالت : ما كنتُ لأدعَ على رأسى شعرا رآه من ليس لى بمحرم .

كان ابنُ سيرينَ يقول : ما غشيتُ امرأةً قطّ فى يقظةٍ ولا نوم غيرَ أمِّ عبدِ الله وإنى لأرى المرأةَ فى المنام وأعلم أنها لا تحلّ لى فأصرف بصرى عنها .

وقال بعضهم :

وإنى لعفٌّ عن فُكاهةِ جارتى ‍ ‍ ‍ وإنى لمشنوءٌ إلىَّ اغتيابُهـــا

إذا غابَ عنها بعلُها لم أكن لها ‍ ‍ ‍ صديقاً ولم تأنسْ إلىَّ كلابُها

ولم أكُ طلّاباً أحاديثَ سِرِّهـا ‍ ‍ ‍ ولا عالماً من أىِّ حوكٍ ثيابُها

دخلت بُثينةُ على عبدِ الملك بن مروانَ ، فقال : ما أرى فيك يا بُثينة شيئا مما كان يلهج به جميل ! فقالت : إنه كان يرنو إلىَّ بعينين ليستا فى رأسك يا أميرَ المؤمنين ، قال : فكيف صادفته فى عفّته ؟ قالت : كما وصفَ نفسه إذ قال :

لا والذى تسجُـــدُ الجباهُ له ‍ ‍ ‍ مالى بما ضمّ ثوبُهـــا خبَرُ[1]

ولا بفيهـــا ولا هممتُ به ‍ ‍ ‍ ما كانَ إلّا الحـديثُ والنظرُ

وقال أبو سهلٍ الساعدىّ : دخلتُ على جميل فى مرضِ موته ، فقال : يا أبا سهلٍ ، رجلٌ يلقَى الله ولم يسفِكْ دمًا حراما ، ولم يشربْ خمرا ، ولم يأتِ فاحشةً ، أترجو له الجنّة؟ قلتُ : إى والله فمن هوَ ؟ قال : إنى لأرجُو أن أكون أنا ذلك ، فذكرتُ له بُثينة ،

---

(١) ديوانه ٨٩ ، ٩٠ .

فقال : إنّي لفي آخر يوم من أيام الدنيا ، وأوّل يوم من أيام الآخرة ، لا نالتني شفاعة محمد إن كنتُ حدّثتُ نفسي بريبةٍ معها أو مع غيرها قطّ .

قال الشاعر :

قالتْ وقدتْ تَوَقَّفي فصِلِي ... حَتى أسرّيْ بوصالكم صَبُّ
صادقْ بِذا نَعلى فقلتُ لهـا ... الــغدرُ شيءٌ ليسَ مِن شَعْبِي
ثِنْتـــانِ لا أصبو لوَصْلِهما ... عِرْسُ الصديقِ وجارةُ الجَنْبِ
أمّا الصـــديقُ فلستُ خائنَهُ ... وجــــارُ أوصاني به رَبِّي

يقال : إنّ امرأةً ذات جمالٍ دَعَتْ عبد الله بنَ عبد المطلب إلى نفسها لما كانت ترى على وجهه من النُّور ، فأبى وقال :

أمّا الحرامُ فالمماتُ دُونَهُ ... والحِلّ لاحِلّ فأستبينَهُ
فكيفَ بالأمرِ الذي تَبْغينَهُ ... يَحمِي الكريمُ عِرْضَهُ ودينَهُ

راوَدَ توبةُ بنُ الحُمَيِّر ليلى الأخيليّة مرّةً عن نفسها ، فاشمأزّت منه وقالت :

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها ... فليس إليها ما حَيِيتَ سبيلُ[1]
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحبٌ وخليلُ

ابنُ ميّادة :

موانعُ لا يُعطين حبّةَ خردلٍ ... وهنّ زوانٍ في الحديثِ أوانسُ
ويَكرَهن أن يَسمعن في اللهو ريبةً ... كما كرهتْ صوتَ اللِّجامِ الشَّوامسُ

آخر :

بيضٌ أوانسُ ما هَمَمْنَ بريبةٍ ... كظباءِ مكّةَ صيدُهنّ حَرامُ

---

(١) أمالي القالي ١ : ٨٨

يُحسَنّ من لين الكلام زوانياً ... ويصدُّهنّ عن الخنا الإسلامُ

في الحديث المرفوع : « لا تكونَنّ حديدَ النظر إلى ما ليس لك ، فإنه لا يَزْني فَرْجُك ما حفظتَ عينَيك ، وإن استطعت ألاّ تنظرَ إلى ثوب المرأة التي لا تحلّ لك فافعل ولن تستطيع ذلك إلاّ بإذن الله » .

كان ابن المولى الشاعر المدنيّ موصوفاً بالعفّة وطيب الإزار ، فأنشد عبد الملك شعراً له من جُملته :

وأبكي فلا ليلَى بكتْ من صَبابةٍ ... لباكٍ ولا ليلى لذي البَذل تبذُلُ

وأخنع بالعُتبى إذا كنتُ مُذنِباً ... وإن أذنبتْ كنتُ الذي أتنصّلُ

فقال عبدُ الملك : مَن ليلى هذه ؟ إن كانت حرّة لأزوّجنكها ، وإن كانت أمَة لاشترينّها لك بالغة ما بلغتْ ، فقال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، ما كنت لأصَغِّر وجه حُرّ أبداً في حُرّته ولا في أمَته ، وما ليلى التي أنسِبُ بها إلاّ قوسي هذه سمّيتها ليلى لأنّ الشاعر لا بدّ له من النَّسيب .

ابن الملوّح المجنون :

كأنّ على أنيابها الخمرَ شجّهُ ... بماء النّدَى من آخر الليل عابِقُ[1]

وما ذُقتُه إلاّ بعَيْني تفرُّساً ... كما شيم من أعلى السّحابة بارِقُ

هذا مثل بيت الحماسة :

بأعذبَ مِنْ فيها وما ذُقتُ طَعْمَهُ ... ولكنّني فيما ترَى العينُ فارِسُ[2]

شاعر :

ما إن دعـاني الهوى لفاحِشةٍ ... إلاّ نهاني الحيـاء والكَرَمُ

---

(١) ديوانه ٢٠٣

(٢) لأبي ممدّة الوالاني ، ديوان الحماسة ٣ ، ١٢٨١ ـ بشرح المرزوقي .

ولا إلى محرم مددتُ يدى ولا مشت بى لريبة قدمُ

العباس بن الأحنف :

أتأذنون لصبٍّ فى زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر (١)

لا يضمر السوء إن طال الجلوس به عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

قال بعضهم : رأيتُ امرأة مستقبلة البيت فى موسم ، وهى فى غاية الضرّ والنحافة ، رافعةً يديها تدعو ، فقلتُ لها : هل لكِ من حاجة ؟ قالت : حاجتى أن تنادى فى الموقف بقولى :

تزوّد كلُّ الناس زاداً يقيمهم وما لى زادٌ والسلام على نفسى

ففعلت ، وإذا أنا بفتى منهوك ، فقال : أنا الزاد ، فمضيتُ به إليها ، فما زادوا على النظر والبكاء ، ثمّ قالت له : انصرف مصاحباً ، فقلت : ما علمت أن التقاءكما يقتصر فيه على هذا ، فقالت : امسك يافتى ، أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد .

قال بعضهم :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعنى منه الحياء وخوفُ الله والحذرُ

وكم خلوتُ بمن أهوى فيقنعنى منه الفكاهةُ والتحديثُ والنظرُ

أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم وليس لى فى حرامٍ منهمُ وطرُ

كذلك الحبُّ لا إتيانُ معصيةٍ لا خير فى لذة من بعدها سقرُ

قال محمد بن عبد الله بن طاهر لبنيه : اعشقوا تظرفوا ، وعفّوا تشرفوا .

وصف أعرابى امرأة طرقها ، فقال : ما زال القمر يرينيها فلما غاب أرتنيه ، فقيل : فما كان بينكما ؟ قال : ما أقرب ما أحلّ الله مما حرّم ، إشارة فى غير باس ، ودنوّ من غير مساس ، ولا تجمع أشدّ من الذنوب .

---

(١) ديوانه ١٤٧

كثيِّر عزّة :

وإنّي لأرضى منكِ يا عزّ بالّذي لو أبصرَه الواشي لقرّت بلابلُه
بلا وبألّا أستطيعَ وبالمُنى وبالوعد حتّى يسأمَ الوعدَ آملُه
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضي أواخره لا نلتقي وأوائلُه

وقال بعض الظرفاء : كان أرباب الهوى يسرّون فيما مضى ، ويقنعون بأن يمصّ أحدهم لباناً قد مضغته محبوبته ، أو يستاك بسواكها ، ويرون ذلك عظيما ، واليومَ يطلب أحدهم الخلوة وإرخاء الستور ، كأنّه قد أشهد على نكاحها أبا سعيدٍ وأبا هريرة .

وقال أحمد بن أبي عثمان الكاتب :

وإنّي ليرضيني المرورُ ببابها وأقنعُ منها بالوعيد وبالزجر

قال يوسف بن الماجشون : أنشدتُ محمّد بن المنكدر قول وضّاح اليمن :

إذا قلتُ هاتي نوّليني تبسّمتْ وقالت معاذَ الله من فعلِ ما حَرُمْ
فما نوّلتْ حتّى تضرّعتُ حولها وعرّفتُها ما رخّص الله في اللّمَمْ

فضحك وقال : إن كان وضّاح لفقيها في نفسه .

قال آخر :

فقالت بحقّ الله إلّا أتيتنا إذا كان لونُ اللّيل لونَ الطّيالسِ
فجئتُ وما في القوم يقظانُ غيرُها وقد نام عنها كلُّ والٍ وحارسِ
فبتُّ مبيتاً طيّباً سُرَّ ذِكره حميداً ولم أمدُدْ لها كفَّ لامسِ

مرّت امرأة حسناء بقوم من بني نُمير مجتمعين في نادٍ لهم ، فرمقوها بأبصارهم ، وقال قائل منهم : ما أكملها لولا أنّها رسحاء[1] ! فالتفتت إليهم ، وقالت : والله

---

(١) الرسحاء : المسحة

يا بني نمير ، ما أطعتم الله ولا الشاعر ، قال الله تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم﴾[1] .

وقال الشاعر :

فغضَّ الطرْفَ إنّك من نُمَيْرٍ ... فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا[2]

فأخجلتهم .

وقال أبو صخر الهذليّ من شعر الحماسة :

وللَيلة منها تعود لنـــــا ... من غير ما رَفَثٍ ولا إثمِ

أشهى إلى نفسي ولو برحتْ ... من ملكتُ ومن بني سَهْمِ

آخر :

وما نلتُ منها محرَّماً غير أنني ... أُقبّل بسّاماً من الثغر أفلجا

وألثمُ فاها آخذاً بقرونهـــــا ... وأترك حاجاتِ النفوس تحرّجا

وأعفُّ من هذا الشعر قولُ عبدِ بني الحسحاسِ على فسقه :

لعمرُ أبيها ما صبوتُ ولا صبتْ ... إليّ وإنْ بين صِباً لحليمُ

سوى قُبلةٍ أستغفر الله ذنبها ... سأُطعِمُ مسكيناً لهــــا وأصومُ

وقال آخر :

ومجدولةٍ جَدْلَ الساقِ كأنّما ... سنا البرقِ في داجي الظلام ابتسامُها

ضربتُ لها الميعادَ ليستْ بكَنّةٍ ... ولا حرةٍ يُخشى عليّ ذِمامُهـــــا

فلمّا التقينا قالت الحكمُ فاحتكمْ ... سوى خلّةٍ هيهاتَ منكَ مرامُها

فقلتُ معاذَ الله أن أركبَ التي ... تبيدُ ويبقى في المعادِ أثامُهـــــا

---

(١) سورة نور ٣

(٢) لجرير ، ديوانه .

قوله : « ليست بكَنَّة * ولا جارة يُخشى علىَّ ذِمامُها » ، مأخوذٌ من قول قيس ابن الخطيم :

ومثلكِ قد أحببْتُ ليستْ بكَنّةٍ   ولا جارةٍ ولا حَليلةِ صاحبِ[1]

وهذا الشاعر قد زاد عليه بقوله « ولا حليلة صاحب » .

وأنشد ابن مَرْدُويه لبعضهم :

أنا زانِي اللسانِ والطَّرْفِ إلّا   أنّ قلبي يَصَافُ ذاكَ ويأبَى

لا يَراني الإلٰهُ أشرَبُ إلّا   كلّ ما حَلّ شُربُه لي وطابَا

آخر :

نلهُو بهنّ كذا من غيرِ فاحشةٍ   لهوَ الصِّيامِ بتفّاحِ البساتينِ

بشّار بنُ بُرْد :

قالوا حرامٌ تلاقينا فقلتُ لهمْ   ما في التلاقي ولا في غيرِهِ حَرَجُ[2]

مَنْ راقَبَ الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِه   وفازَ بالطيّباتِ الفاتكُ اللّهِجُ

البيت الآخر مِثلُ قولِ القائل :

مَن راقبَ الناسَ ماتَ غمًّا   وفازَ باللّذّةِ الجَسُورُ

أبو الطيّب المتنبي :

وتَرَى الفتوّةَ والمروّةَ والأبُوّةَ في   كلِّ مليحةٍ ضَرّاتِها[3]

هنّ الثلاثُ المانِعاتي لذّتي   في خَلوتي لا الخوفُ مِنْ تَبِعاتِها

إنّي على شَغَفي بما في خُمْرِها   لأعِفُّ عمّا في سَراويلاتِها

* * *

(١) ديوانه ٣٦

(٢) ديوانه ٢ : ٧٥ ، ٧٦

(٣) ديوانه ١ : ٢٢٧

كان الصاحبُ رحمه الله يستهجِن قولَه : « عفًّا فى سَراوِيلاتِها » ، ويقول : إن كثيراً من العُهْر أحسَن من هذه العِفّة ، ومعنى البيت الأول أنّ هذه الخِلالَ الثلاثَ تَراهُنّ المِلاحُ ضَرائرَ لهنّ لأنّهن يمنَعنه عن الحُظْوة بالملاح والتمتع بهنّ . ثم قال : إنّ هذه الخلالَ هى التى تمنَعه لا الخوفُ من تَبِعاتها ، وقال قوم : هذا تهاونٌ بالدِّين ، ونوعٌ من الإلحاد . وعندى أنّ هذا مَذهبٌ للشعراء معروف ، لا يُريدون به التهاوُنَ بالدِّين ، بل المبالغةَ فى وَصْف سجاياهم وأخلاقِهم بالطّهارة ، وأنهم يَتركون القبيحَ لأنّه قبيح ، لا لِوُرُود الشَّرْع به ، وخوفِ العِقاب منه . ويمكن أيضاً أن يريدَ بتَبِعاتها تبعات الدّنيا ، أى لا أخاف من قوم هذه الحسناء التى أَنِسْتُ بها ، ولا أُشفِق من حَرْبهم وكيدِهم ، فأمّا عفّة اليد وعفّة اللسان فهما بابٌ آخَر ، وقد ذكَرْنا طرفاً صالحاً من ذلك فى الأجزاء المتقدّمة عند ذكرِنا الوَرَعَ .

وفى الحديث المرفوع : « لا يَبلُغ العبدُ أن يكون من المتّقين حتى يترُكَ مالا بأسَ به حذَرَ ما به البأس » .

وقال أبو بكر فى مرض موته : إن منذ وُلِّيت أمرَ المسلمين لم نأخذ لهم درهماً ولا ديناراً ، وأكلْنا من جَرِيش الطّعام ، ولبِسْنا من خَشِن الثّياب ، وليس عندنا من فَىْء المسلمين إلّا هذا الناضح ، وهذا العبد الحَبَشىّ ، وهذه القطيفة ، فإذا قُبِضْتُ فادفعوا ذلك إلى عُمرَ ليجعلَه فى بيتِ مالِ المسلمين . فلما ماتَ حُمِل ذلك إلى عمر ، فبكى كثيراً ثم قال : رحم الله أبا بكر ، لقد أتعبَ مَن بعدَه !

قال سليمانُ بنُ داود : يابنى إسرائيل ، أوصيكم بأمرَيْن أفلح مَن فعلَهما : لا تُدخِلوا أجوافَكم إلّا الطيّبَ ، ولا تُخرِجوا من أفواهِكم إلّا الطيّبَ .

وقال بعضُ الحكماء : إذا شئتَ أن تَعرف ربَّك معرفةً يقينيّة فاجعلْ بينكَ وبين المحارم حائطاً من حديد ، فسوف يَفتح عليك أبواب مَعرفته .

ومما يُحكَى من وَرَع حسّان بن أبي سِنان أنّ غلاما له كتب إليه من الأهواز : إنّ قصَبَ السكّر أصابتْه السّنة آفة فاشترِ ماقدَرْتَ عليه من السّكّر ، فإنك تجد به رِبحًا كثيرا فيما بعد ، فاشترى ، وطلب منه ما ابتاعَه بعد قليل بربح ثلاثين ألف درهم ، فاستقالَ البَيْع من صاحبه ، وقال : إنه لَم يَعلَمْ ما كنتُ أعلم حين اشتريتُه منه ، فقال البائع : قد علمتُ الآن مقدارَ الرِّبح ، وقد طَيّبتُه لك وحلّلتُك ، فلم يطمئنّ قلبُه ، وما زال حتّى ردّه عليه !

ويقال : إنّ غنَم الغارة اختلَطتْ بغَنَم أهلِ الكوفة ، فتورّع أبو حنيفة أن يأكلَ اللحم ، وسأل كم تعيشُ الشاة ؟ قالوا سبعَ سنين ، فترك أكلَ لحم الغنم سبعَ سنين .

ويقال : إنّ المنصورَ حمل إليه بَدْرةً فرَمَى بها إلى زاوية البيت ، فلمّا مات جاء بها ابنُه حمّاد بن أبي حنيفة إلى أبي الحسن بن أبي قحطبة ، وقال : إنّ أبي أوصاني أن أردَّ هذه عليك ، وقال : إنها كانت عندي كالوَديعة ، فاصرِفْها فيما أمرَكَ الله به ، فقال أبو الحسن : رَحِم الله أبا حنيفة ! لقد شحّ بدينه إذ سَخَتْ به نفوسُ أقوامٍ .

وقال سُفيانُ الثّوريّ : انظر درهمك من أيْنَ هوَ ، وَصَلِّ في الصَّفّ الأخير .

جابر : سمعتُ النبيَّ صلّى الله عليه وآله يقول لكَعْب بن عُجْرة : « لا يدخل الجنّة لحمٌ نبتَ من السُّحْت ، النار أوْلَى به » .

الحسن : لو وجدتُ رغيفاً من حلالٍ لأحرقتُه ثم سحقتُه ثم جعلتُه ذَرُوراً ، ثم داويتُ به المَرْضَى .

عائشة ، قالت : يارسول الله ، مَن المؤمن ؟ قال : من إذا أصبح نظر إلى رغيفيه كيف يكتسبهما ، قالت : يارسول الله ، أما إنهم لو كلّفوا ذلك لتكلّفوه ، فقال لها : إنهم قد كلّفوه ، ولكنهم يعسفون الدنيا عسفا .

حذيفة بن اليمان يرفعه : إن قوما يجيئون يومَ القيامة ولهم من الحسنات كأمثالِ الجبال ، فيجعلها الله هباء منثورا ، ثم يؤمَر بهم إلى النار ؛ قيل : حَلِّهم لنا يارسول الله ، قال : إنهم كانوا يصلّون ويصومون ويأخذون أُهْبَةً من الليل ، ولكنهم كانوا إذا عُرِض عليهم الحرامُ وثَبوا عليه .

(٤٨٠)

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ : القَناعَةُ مالٌ لا يَنْفَدُ

قال : وقدْ رَوَى بَعْضُهُم هذا الكلامَ عَنْ رَسُولِ الله صلّى اللهُ عليهِ وآله .

* * *

الشّرْحُ :

قد تقدّم القولُ في هذا المعنى ، وقد تكررتْ هذه اللفظة بذاتها في كلامه عليه السلام .

ومن جيّد القولِ في القناعة قولُ الغزّي :

أنا كالثِّمارِ حَلِيِّي ملبَسي ... لستُ محتاجًا إلى ثوبِ الجَمالِ

فالخمولُ العِزّ واليأسُ الغِنى ... والقُنوعُ المُلكُ ، هذا ما بدا لي

وقال أيضا :

لا تعجبنّ لمن يهوى ويصعد في ... دُنياه فالخلق في أرجوحةِ القدَرِ

واقنعْ بما قلّ فالأوشالُ صافيةٌ ... ولجة البحرِ لا تخلو من الكدَرِ

الأصْـلُ :

وقال عليهِ السلامُ لزيادِ بنِ أبيهِ وقد استخلفهُ لعبدِ اللهِ بنِ العبّاسِ على فارسَ وأعمالِها ، في كلامٍ طويلٍ كانَ بينهما نَهاهُ فيهِ عنْ تقديمِ الخَراجِ .

إسْتَعْمِلِ العَدْلَ ، واحْذَرِ العَسْفَ والحَيْفَ : فإنَّ العَسْفَ يَعودُ بالجَلاءِ ، والحيفَ يَدْعُو إلى السَّيفِ .

الشّـرحُ

قد سبَقَ الكلامُ في العدْلِ والجَوْرِ .

وكانت عادة أهلِ فارس في أيام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراجَ أملاكهم قبل بَيْع الثَّمر على وجه الاستسلاف ، أو لأنهم كانوا يظنّون أن أوّل السنة القمرية هو مبتدأ وجوبِ الخراج حملاً لخراج التابع لسنة الشمس على الحقوق الهلاليّة التابعة لسنة القمر ، كأجرة العقار ، وحوالي أهل الذمّة ، فكان ذلك يُجحِف بالناس ويدعو إلى عسْفِهم وحَيْفهم .

وقد غلط في هذا المعنى جماعة من ملوك في كثير من الأعصار ، ولم يعلموا فرقَ مابين السنتين ، ثم تنبّه له قوم من أذكياء الناس فكبسوا وجعلوا السنتين واحدةً ، ثم أهملَ الناس الكَبْس ، وفرّق ما بين السنة القمرية والسنة الخراجية التي هي سنة الشمس افتراقاً كثيراً .

واستقصاء القول في ذلك لا يليقُ بهذا الموضع ، لأنه خارجٌ عن فنّ الأدب الذي هو موضوعُ كتابنا هذا .

(٤٨٢)

الأصل :

وقالَ عليه السلام :

أشدُّ الذُّنُوبِ ما استَخَفَّ بها صاحِبها .

•••

الشرح :

عِظَمُ المعصيةِ على حَسَبِ نِعْمَةِ العاصي ، ولهذا كان لَطْمُ الولدِ وجهَ الوالدِ كبيراً ليس كلطمة وجه غيرِ الوالد .

ولمّا كان البارى تعالى أعظمَ المُنعِمين ، بل لا نِعمةَ إلّا وهى فى الحقيقةِ مِن نِعَمِه ، ومنسوبة إليه ، كانت مخالفَته ومعصيَته عظيمة جدّا ، فلا ينبغى لأحدٍ أن يعصيَه فى أمرٍ وإن كان قليلا فى ظنّه ، ثم يستقلّه ويستهين به ، ويُظهِر الاستخفافَ وقلّة الاحتفال بمواقعته ، فإنه يكون قد ضمّ إلى المعصية معصيةً أخرى ، وهى الاستخفاف بقَدْرِ تلك المعصية التى لو أمعَنَ النّظَرَ لَعلِم أنها عظيمة ، ينبغى له لو كان رشيدا أن يَبكِىَ عليها الدّمَ فَضْلا عن الدّمع ، فلهذا قال عليه السلام : « أشدّ الذنوب ما استخفّ بها صاحبها » .

(٤٨٣)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا .

* * *

الشرح :

تعليمُ العِلْمِ فرضُ كفايةٍ ، وفى الخبرِ المرفوعِ « من عَلِم عِلْماً وكَتمه أَلجمه اللهُ يومَ القيامة بلجام من نار » .

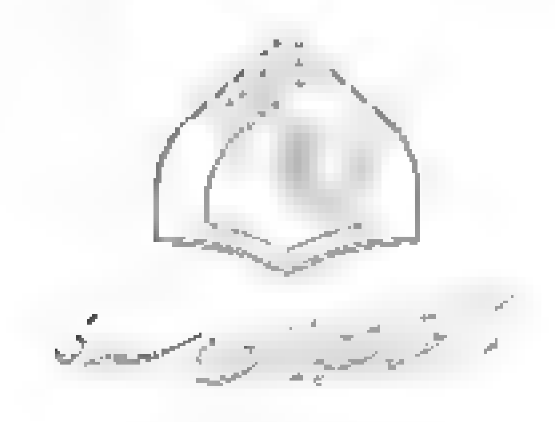
ورَوَى مُعاذ بنُ جَبَل عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : « تعلّموا العِلمَ فإنّ تعلّمه خشية الله ، ودِراستَه تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطَلَبه عبادة ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قُرْبة ، لأنّه معالِم الحلال والحرام ، وبيانُ سبيلِ الجنّة ، والمؤنِس فى الوحشة ، والمحدِّث فى الخلوة ، والجليس فى الوحدة ، والصاحب فى الغربة ، والدليل على السَّرّاء ، والمُعين على الضرّاء ، والزَّين عند الإخلاء ، والسلاح على الأعداء » .

ورَأَى واصل بن عطاء يكتب من صبيّ حديثا ، فقيل له : مثلك يكتب من هذا ! فقال : أما إنّى أحفظُ له منه ، ولكنى أردت أن أذيقه كأس الرياسة ، ليدعوَه ذلك إلى الازدياد من العلم .

وقال الخليل : العلوم أقفال ، والسؤالات مفاتيحها .

وقال بعضهم : كان أهل العلم يصونون علمهم عن أهل الدنيا فيرغبون فيه ويبذلون لهم دنياهم ، واليوم قد بذل أهل العلم علمهم لأهل الدنيا فزهدوا فيه وضنّوا عليهم بدنياهم .

وقال بعضهم : ابذل علمك لمن يطلبه ، وادع إليه من لا يطلبه ، وإلا كان مَثَلك كمن أُهديتْ له فاكهة فلم يَطعَمها ولم يُطعِمها حتى فسدتْ .



الأصْلُ :

وقال عليه السلامُ :

شَرُّ الإخْوانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ .

* * *

الشَّرْحُ :

إنما كان كذلك لأنّ الإخاء الصادق بينهما يوجب الانبساط ، وترك التكلف ، فإذا احتيج إلى التكلف له فقد دلّ ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق ، ومن ليس بأخ صادق فهو من شرّ الإخوان .

وروى ابن ماقيا في كتاب « ملح الممالحة » ، قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون ، فقال له : كيف علمك بالمروءة ؟ قال : ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه ؟ قال : عليك بعمرو بن مسعدة ، قال : فوافيتُ عمراً وفي داره صنّاع ، وهو جالس على آجُرّة ينظر إليهم ، فقلت : إن أمير المؤمنين يأمرك أن تعلّمني المروءة ، فدعا بآجرّة فأجلسني عليها ، وتحدّثنا مليّاً ، وقد امتلأتُ غيظاً من تقصيره بي ، ثم قال : يا غلام عندك شيء يؤكل ؟ فقال : نعم ، فقدّم طبقاً لطيفاً ، عليه رغيفان وثلاث سكرّجات ، في إحداهنّ خلّ ، وفي الأخرى مريّ ، وفي الأخرى ملح ، فأكلنا ، وجاء الفرّاش بوضوء ، ثم قال : إذا شئت ! فنهضت متغيظاً ، ولم أودّعه ، فقال لي : إن رأيتَ أن تعود إليّ في يوم مثله ! ولم أذكر للمأمون شيئاً مما جرى ، فلما كان في اليوم الذي وعدني فيه لقيته

سرت إليه فاستؤذن لى عليه ، فتلقانى على باب الدار ، فعانقني ، وقبّل بين عينيّ ، وقدّمنى أمامه ، ومشى خلفى حتى أقعدنى فى الدّست ، وجلس بين يديّ ، وقد فرشت الدار ، وزُيّنت بأنواع الزينة ، وأقبل يحدّثنى ويتنادر معى إلى أن حضر وقت الطعام ، فأمر فقدّمت أطباق الفاكهة ، فأصبنا منها ، ونصبت الموائد ، فقدّم عليها أنواع الأطعمة من حارّها وباردها ، وحلوها وحامضها ، ثم قال : أىّ الشراب أعجب إليك ؟ فاقترحت عليه ، وحضر الوصائف للخدمة ، فلما أردت الانصراف حَمَل معى جميع ما أحضر من ذهب وفضة وفُرش وكِسوة ، وقدم لى البساط فرش بمركب ثقيل ، فركبته وأمر من بحضرته من الغلمان الرّوم والوصائف حتى مشوا بين يديّ ، وقال : عليك بهم فهم لك . ثم قال : إذا زارك أخوك فلا تتكلّف له ، واقتصر على مايحضرك ، وإذا دعوته فاحتفل به واحتشد ، ولا تدعنّ ممكنا ، كفعلنا إيّاك عند زيارتك إيّانا ، وفعلنا يوم دعوناك .

(٤٨٥)

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ في كلامٍ له :

إذَا احْتَشَمَ المُؤمِنُ أخاهُ فَقَدْ فارَقَهُ .

• • •

الشَّرْحُ :

ليس يعني أن الاحتشام علة الفرقة بل هو دلالة وأمارة على الفرقة ، لأنه لو لم يحدث عنده ما يقتضي الاحتشام لا نبسط على عادته الأولى ، فالانقباض أمارة المباينة .

• • •

هذا آخر ما دوّنه الرضيّ أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في « نهج البلاغة » ، قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى .

ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضيّ مما نسبه قوم إليه ، فبعضهُ مشهور عنه ، وبعضه ليس بذلك المشهور ؛ لكنه قد روِي عنه ، وعُزِيَ إليه ، وبعضه من كلام غيره من الحكماء ؛ ولكنه كالنظير لكلامه ، والمضارع لحكمته ؛ ولما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة ؛ رأينا ألا نُخْلِيَ هذا الكتاب عنه ؛ لأنه كالتكملة والتتمة لكتاب « نهج البلاغة » .

وربما وقع فى بعضه تكرار يسير شذّ عن أذهاننا التنبه له ، لطول الكتاب وتباعد أطرافه ، وقد عددنا ذلك كلمة كلمة ، فوجدناه ألف كلمة .

فإن اعترضنا معترض وقال : فإذا كنتم قد أقررتم بأنّ بعضها ليس بكلام له ؛ فلماذا ذكرتموه ، وهل ذلك إلا نوع من التطويل ! .

أجبناه وقلنا : لو كان هذا الاعتراض لازماً لوجب ألاّ نذكر شيئاً من الأشباه والنظائر لكلامه ، فالعذر هاهنا هو العذر هناك ، وهو أنّ الغرض بالكتاب الأدب والحكمة ؛ فإذا وجدنا ما يناسب كلامه عليه السلام ، ويجرى فى قالبه ويحتذى حذوه ، ويتقبّل منهاجه ، ذكرناه على قاعدتنا فى ذكر النظائر عند الخوض فى شرح نظائره .

وهذا حين الشروع فيها خاصة عن الشرح لجلائها ووضوحها ، وإنّ أكثرها قد سبقت نظائره وأمثاله ، وبالله التوفيق .


الحكم المنسوبة



الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

١ — كان كثيراً ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل: أشهد أن السموات والأرض وما بينهما آيات تدل عليك، وشواهد تشهد بما إليه دعوت. كل ما يؤدي عنك الحجة، ويشهد لك بالربوبية موسوم بآثار نعمتك ومعالم تدبيرك. علوت بها عن خلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر، وكفاها رجم الاحتجاج؛ فهي مع معرفتها بك، وولهها إليك: شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام، ولا تدركك العقول ولا الأبصار. أعوذ بك أن أشير بقلب أو لسان أو يد إلى غيرك؛ لا إله إلا أنت، واحداً أحداً، فرداً صمداً، ونحن لك مسلمون.

٢ — إلهي، كفاني فخراً أن تكون لي رباً، وكفاني عزاً أن أكون لك عبداً؛ أنت كما أريد، فاجعلني كما تريد.

٣ — ما جار امرؤ عدل في حكمه، وأطعم من قوته، وذخر من دنياه لآخرته.

٤ — أفضل على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

٥ — لولا ضعف اليقين ما كان لنا أن نشكو محنة يسيرة نرجو في العاجل سرعة زوالها، وفي الآجل عظيم ثوابها، بين أضعاف نعم لو اجتمع أهل السموات والأرض على إحصائها ما وفوا بها فضلاً عن القيام بشكرها.

٦ — من علامات المأمون على دين الله بعد الإقرار والعمل، الحزم في أمره، والصدق في قوله، والعدل في حكمه، والشفقة على رعيته، لا تخرجه القدرة إلى خرق[1]، ولا اللين إلى ضعف، ولا تمنعه العزة من كرم عفو، ولا يدعوه العفو

(١) الخرق: ضد الرفق، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور.

إلى إضاعة حق ، ولا يدخله الإعطاء فى سَرَف ، ولا يتخطّى به القصدُ[1] إلى بُخْل ، ولا تأخذه نِعَمُ الله ببطر .

٧ — الفِسْق نجاسةٌ فى الهمّة ، وكَلَبٌ فى الطّبيعة[2] .

٨ — قلوب الجهال تستفزها[3] الأطماع ، وترتهن بالأمانى ، وتتعلق بالخدائع . وكثرة الصمت زمام اللسان ، وحسْم[4] الفطنة ، وإماطة الخاطر[5] ، وعذاب الحس .

٩ — عداوة الضعفاء للأقوياء ، والسفهاء للعلماء ، والأشرار للأخيار ، طبع لا يُستطاع تغييرُه .

١٠ — العقل فى القلب ، والرحمة فى الكبد ، والتنفس فى الرئة .

١١ — إذا أراد الله بعبد خيراً حال بينه وبين شهوته ، وحجز بينه وبين قلبه ، وإذا أراد به شراً وكلَه إلى نفسه .

١٢ — الصّبْر مطيّة لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو .

١٣ — رحم الله عبداً اتقى ربَّهُ ، وناصح نفسه ، وقدَّم توبته ، وغلب شهوته ؛ فإنّ أجلَه مستورٌ عنه ، وأملَهُ خادع له ، والشيطان مُوَكَّلٌ به .

١٤ — مرّ بمقبرة فقال : السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة ، والمحالّ المقفرة[6] ؛ من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا فَرَط[7] ، ونحن لكم تَبَعٌ[8] نزوركم عمّا قليل ، ونلحق بكم بعد زمان قصير . اللهمّ اغفر لنا ولهم ، وتجاوز عنّا وعنهم .

---

(١) القصد : أمر بين الإفراط والتفريط (٢) الكلب والكلبة : الشدة
(٣) استفزه واستخفه : أخرجه عن داره وعزم وسط الأمر والأخذ فيه بالثقة
(٤) الحسم : القطع ، والفطنة : الذكاء وحدة الفهم .
(٥) إماطة الخاطر : الإماطة : الإبعاد والإزالة ، والخاطر : ما خطر بالبال من المشكلات
(٦) أقفر المكان : خلا .
(٧) فرط القوم يفرطهم : تقدمهم إلى الورد ، والفرط بالتحريك : المتقدم إلى الماء .
(٨) التبع : التابع .

الحمد لله الذى جعل الأرض كِفاتا ، أحياء وأمواتا[1] . والحمد لله الذى منها خلقنا ، وعليها ممشانا ، وفيها معاشنا ، وإليها يُعيدنا . طوبى لمن ذكر المعاد ، وقنع بالكفاف ، وأعدّ للحساب !

١٥ — إنكم مخلوقون اقتدارا ، ومربوبون اقتسارا[2] ، ومضمّنون أجداثا[3] ، وكائنون رُفاتا[4] ، ومبعوثون أفرادا ، ومدينون حسابا . فرحم الله امرأ اقترف فاعترف ، ووجِل فعقل ، وحاذر[5] فبادر ، وعُمّر فاعتبر ، وحُذّر فازدجر ، وأجاب فأناب ، وراجع فتاب ، واقتدى فاحتذى[6] ، وتأهّب للمعاد ، واستظهر بالزاد ؛ ليوم رحيله ، ووجه سبيله ، ولحال حاجته ، وموطن فاقته ، فقدّم أمامه لدار مقامه ؛ فمهّدوا لأنفسكم على سلامة الأبدان وفسحة الأعمار . فهل ينتظر أهلُ غضارة[7] الشباب إلا حوانى الهرم ، وأهلُ نضاضة الصّحة إلا نوازل السّقم ، وأهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء واقتراب الفوت ، ومشارفة الانتقال ، وإشفاء الزوال ؛ وحَفز الأنين[8] ورشح الجبين ، وامتداد العِرنين[9] ، وعَلز القلق[10] ، وقَيْظ الرّمَق[11] وشدّة المَضَض ، وغصص الجرَض[12] .

١٦ — ثلاث منجيات : خشية الله فى السرّ والعلانية ، والقصد فى الفقر والغنى ، والعَدْل فى الغضب والرضا .

---

(١) قوله : « كفاتا أحياء وأمواتا » ؛ أى جعل الأرض مجمعا لنا فى حياتنا ومماتنا . الكفاة بالكسر : الموضع يكفت فيه الشيء ، أى يضم ويجمع ، والأرض كفات .

(٢) قسره : قهره . (٣) الجدث : القبر.

(٤) رفاتا ، رفته : كسره ودقه ، والرفات : الحطام . (٥) الحذر : الاحتراز .

(٦) د : « متدى » .

(٧) الغضارة : النعمة والسعة والخصب . (٨) الحفز : الحث والإعجال .

(٩) العرنين : الأنف ، فإنه يمتد عند الموت . (١٠) العلز : القلق والخفة .

(١١) القيظ بالقاف : شدة الحر ، والقاف ... الموت ... من ... بقية حياة .

(١٢) الغصة : ما اعترض فى الحلق ، والجرض : الريق .

١٧ — إياكم والفُحْش ؛ فإنّ الله لا يحبّ الفحش ، وإيّاكم والشّحّ فإنه أهلك مَنْ كان قبلكم ؛ هو الذى سفك دماء الرّجال ، وهو الذى قطّع أرحامها ، فاجتنبوه .

١٨ — إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقةٍ جارية ، وعلمٍ كان علّمه الناس فانتفعوا به ، وولدٍ صالح يدعو له .

١٩ — إذا فعلتَ كلّ شيء فكن كمن لم يفعل شيئاً .

٢٠ — سأله رجل ، فقال : ماذا أسوء عدوّى ؟ فقال : بأن تكون على غاية الفضائل ، لأنه إن كان يسوءه أن يكون لك فرس فارِهٌ ، أو كلب صَيُود ؛ فهو لأن تُذكَر بالجميل وينسب إليك أشدّ مساءةً .

٢١ — إذا قُذِفت بشيء فلا تَهاوَنْ به وإن كان كذبا ، بل تحرّز من طرقِ القذف جُهدكَ ؛ فإنّ القول وإن لم يثبت يوجب ريبةً وشكاً .

٢٢ — عدم الأدبِ سببُ كلّ شرّ .

٢٣ — الجهل بالفضائل عِدْل الموتِ .

٢٤ — ما أصعب على من استعبدتْه الشّهوات أن يكون فاضلاً !

٢٥ — مَنْ لم يقهر حَسَدَهُ كان جَسَدُهُ قبراً لِنفسِهِ .

٢٦ — احمَد من يغلظ عليك ويعظك ، لا من يُزكّيك ويتملّقك .

٢٧ — اختر أن تكون مغلوبا وأنت منصف ، ولا تختر أن تكون غالبا وأنت ظالم .

٢٨ — لا تهضمنّ محاسنك بالفخر والتكبّر .

٢٩ — لا تملكُ المدينة من شرّ ؛ حتى يجتمع مع قوّة السلطان قوّة دينه وقوة حكمته .

٣٠ — إذا أردتَ أن تُحْمَد فلا يظهر منك حرصٌ على الحَمْدِ .

٣١ — مَن كَثُرَ هَمُّــهُ سقم بدنه ، ومَنْ ساء خُلُقه عَذَّب نفسه ، ومن لاحَى الرّجال سقطت مروءته ، وذهبت كرامته ؛ وأفضل إيمانِ العبدِ أن يعلم أنّ الله معه حيث كان .

٣٢ — كُنْ ورِعًا تكن من أعبدِ الناس ، وارْضَ بما قَسَم الله لك تكن من أغنى الناس ، وأحسنْ جوارَ مَنْ جاورك تكن مسلما ، ولا تكثرنّ الضحك ؛ فإنّ كثرته تميت القلب ، وأخرس لسانك ، واجلس في بيتك ، وابكِ على خطيئتك .

٣٣ — إنّ الرَّجُل ليُحْرَم الرِّزق بالذنب يصيبُه ، ولا يردّ القدر إلا الدعاء ؛ ولا يزيد في العمر إلا البرّ ، ولا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعمّا عمل فيم علم !

٣٤ — في التجارب علم مستأنف ، والاعتبار يفيدك الرشاد ، وكفاك أدبًا لنفسك ما كرهته من غيرك ، وعليك لأخيك مثل الذي عليه لك .

٣٥ — الغضب يثير كامن الحِقْد ، ومَنْ عرف الأيام لم يُغفل الاستعداد ، ومَنْ أمسك عن الفضول عدّلت رأيَه العقول .

٣٦ — اسكت واستر تسلم . وما أحسن العلم يزينه العمل ، وما أحسن العمل يزينه الرّفق !

٣٧ — أكبرُ الفخر ألاّ تفخر .

٣٨ — ما أصعب اكتساب الفضائل وأيسر إتلافها !

٣٩ — لا تنازع جاهلاً ، ولا تشايع مائقًا[1] ، ولا تعاد مسلَّطًا .

٤٠ — الموت راحة للشيخ الفاني من العمل ، وللشابّ السقيم من السُّقْم ، والسلام[2]

(١) المائق : الأحمق (٢) د . . الإسلام »

الناشىء من استقبال الكدّ والجمع لغيره ، ولمن ركبه[1] الدَّيْن لغرمائه ، وللمطلوب بالوِتر ، وهو فى جله الأمر أمنية كل ملهوف مجهود .

٤١ — ما كتمت كاتمه عدوّك من سرّ ، فلا تطلعنّ عليه صديقك . واعرف قدرك يستعل أمرك ، وكفى ما مضى مخبرا عمّا بقى !

٤٢ — لا تعدنّ عِدَةً تحقّرها قـــوةُ الثقة بنفسك ، ولا يغرنّك المرتقى السّهل إذا كان المنحدر وَعْراً .

٤٣ — اتق المواقف على نفسك للأعمال جرءا وأجرا ، واحذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها .

٤٤ — من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأى ، ومن أخطأته وجوه المطالب خذلته الحِيَل ، ومن أحلّ بالصبر أحلّ به حسنُ العاقبة ؛ فإن الصبر قوة من قوى العقل ؛ وبقدر موادّ العقل وقوتها يقوى الصبر .

٤٥ — اخطأ فى إعطاء من لا ينتفى ، ومنع من ينتفى واحد .

٤٦ — العشقُ مرضٌ ليس فيه أجرٌ ولا عِوَض

٤٧ — أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وقائل كلمة الزور ومن يمدّ بحبلها فى الإثم سواء .

٤٨ — الخصومة تمحق الدِّين .

٤٩ — الجهاد ثلاثة : جهاد باليد ، وجهاد باللسان ، وجهاد بالقلب ؛ فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك ، ثم يصير إلى القلب ، فإن كان لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا نُكِس فجعل أعلاه أسفله .

(١) أى علاه .

٥٠ — ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه .

٥١ — الحاجةُ مسألة ، والدُّعاء زيادة ، والحمدُ شكرٌ ، والنَّدم توبة .

٥٢ — لِن وحلُمْ تنَل[1] ، ولا تكُنْ معجبا فتُمقت وتُمتهن .

٥٣ — مالى أرى النَّاس إذا قُرِّب إليهم الطعام ليلاً تكلفوا إنارة المصابيح ليبصروا ما يدخلون بطونهم ، ولا يهتمون بغذاء النَّفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعِلْم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب فى اعتقاداتهم وأعمالهم .

٥٤ — الفقر هو أصل حسن سياسة النَّاس ؛ وذلك أنه إذا كان من حُسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس ، وبعضهم يُساس ، وكان مَنْ يُساس لا يستقيم أن يُساس من غير أن يكون فقيرا محتاجاً ؛ فقد تبيَّن أنّ الفقر هو السبب الذى به يقوم حسن السياسة .

٥٥ — لا تتكلمّ بين يدى أحدٍ من النَّاس دون أن تسمع كلامه[2] ، وتقيس ما فى نفسك من العلم إلى ما فى نفسه ، فإن وجدت ما فى نفسه أكثر ؛ فحينئذ ينبغى لك أن ترُوم زيادة الشىء الذى به يفضل على ما عندك .

٥٦ — إذا كان اللّسان آلة لترجمة ما يخطر فى النفس ؛ فليس ينبغى أن تستعمله فيما لم يخطر فيها .

٥٧ — إذا كانت الآباء هم السبب فى الحياة ، فمعلّمو الحكمة والدين هم السبب فى جودتها .

٥٨ — وشكا إليه رجلٌ تعذُّرَ الرِّزق ، فقال : مه ، لا تجاهد الرِّزق جهاد المغالب ، ولا تتكِلْ على القَدَر اتكال المستسلم ؛ فإنّ ابتغاء الفضل من السُّنّة ، والإجمال فى

---

(١) النيل : الشرف والعطية .   (٢) د : « قوله » .

الطّلب من العفّة ، وليست العفّة دافعة رزقاً ، ولا الحرصُ جالباً فضلا ؛ لأنّ الرّزق مقسوم ، وفى شدّة الحرص اكتساب المآثم .

٥٩ — إذا استغنيت عن شىء فدعه ، وخذ ما أنت محتاج إليه

٦٠ — العمر أقصر من أن تعلّم كلّ ما يحسن بك علمه ؛ فتعلّم الأهمّ فالأهمّ .

٦١ — مَنْ رَضِيَ بما قُسِم له استراح قلبُه وبدنه[1] .

٦٢ — أبعد ما يكون العبدُ من الله إذا كان همّه بطنُه وفرْجه .

٦٣ — ليس فى الحواسّ الظاهرة شىء أشرفُ من العَيْن فلا تُعطوها سؤلها[2] ؛ فيشغلكم عن ذكر الله .

٦٤ — ارحموا ضعفاءكم فالرّحمة لهم سببُ رحمة الله لكم .

٦٥ — إزالة الجبال أسهلُ من إزالة دولة قد أقبلتْ ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء .

٦٦ — قال له عثمان فى كلام تلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبى بكر وعمر : أبو بكر وعمر خيرٌ منك ؛ فقال : أنا خيرٌ منك ومنهما ، عبدتُ الله قبلهما ، وعبدته بعدهما .

٦٧ — أوثق سُلّم يَتَسَلّق[3] عليه إلى الله تعالى أن يكون خيراً .

٦٨ — ليس المُوسِر مَنْ كان يساره باقياً عنده زماناً يسيراً ، وكان يمكن أن يغتصبه[4] غيره منه ، ولا يبقى بعد موته له ؛ لكن اليَسار على الحقيقة هو الباقى دائماً عند مالكه ، ولا يمكن أن يؤخذ منه ، ويبقى له بعد موته ، وذلك هو الحكمة .

٦٩ — الشّرف اعتقاد المِنن فى أعناق الرّجال[5] .

---

(١) د : « منه » (٢) ا : « سؤالها » . (٣) تسلق الشىء : علاه

(٤) د : « يقتصه » . (٥) المن : اصطناع المعروف فى أعناق الناس .

٧٠ — يصرع الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة، وتكلف حمل ما لا يطاق اتكالا على القوة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر.

٧١ — أحزم الناس من ملك جِدُّه هزلَه، وقهر رأيه هواه، وأعرب عن ضميره فعلُه، ولم يخدعه رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيده.

٧٢ — مَن لم يُصلِح خلائقَه، لم ينفع الناسَ تأديبُه.

٧٣ — من اتّبع هواه ضلّ، ومن جاد ساد، وجحود الذكر أنحل من دميم الذِكْر[1].

٧٤ — طلب الشوق أحسنُ محلاً من مقاساة ثلاثة

٧٥ — بالرفق تُنال الحاجة، وبحُسن التأنّي تسهل المطالب.

٧٦ — بعزيمة الصبر تطفأ نارُ الهوى، وبنفي العجب يؤمن كيد الحساد.

٧٧ — ما شيء أحقُّ بطولِ سجنٍ من لسان

٧٨ — لا تذرَ في معصيةٍ، ولا يمينَ في قطيعةٍ.

٧٩ — لكلّ شيء ثمرة، وثمرة المعروف تعجيل السَّراح[2].

٨٠ — إياكم والكسل؛ فإنه من كسل لم يؤدّ لله حقاً.

٨١ — احسبوا كلامكم من أعمالكم، وأقِلّوه إلا في الخير.

٨٢ — أحسِنوا صحبةَ النِّعَم فإنها تزول، وتشهد على صاحبها بما عمل فيها.

٨٣ — أكثِروا ذكرَ الموتِ، ويوم خروجكم من قبوركم، ويوم وقوفكم بين يدي الله عزّ وجلّ، يهُن عليكم المصاب[3].

---

(١) د: « الفكر ».

(٢) أي تعجيل سراح طالب المعروف، وهو قضاء حاجته، وورد في الأثر خير البر عاجله.

(٣) د: « تهن عليكم المصائب ».

٨٤ — بحسب مجاهدة النفوس وردِّها عن شهواتها ومنعها عن مصافحة[1] لذّاتها ومنع ما أدّت إليه العيون الطامحة من حظاتها تكون المثوبات والعقوبات ؛ والحازم مَنْ ملك هواه ؛ فكان بملكه له قاهراً ؛ ولما قدَحت الأفكار من سوء الظنون زاجراً ؛ حتى لم تُرِدَ النفس عن ذلك همم عنيه الفكر عطالية ماشُمِفت[2] به ، فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة ، والأطماع الكاذبة ، والأماني المتلاشية ؛ وكما أنّ البصر إذا اعتل[3] رأى أشباحاً وخيالات لا حقيقة لها ؛ كذلك النفس إذا اعتلّت بحب الشهوات وانطوت على قبيح الإرادات، رأت الآراء الكاذبة ؛ فإلى الله سبحانه نرغب في إصلاح ما فسد من قلوبنا ، وبه نستعين على إرشاد نفوسنا ؛ فإن القلوب بيده يُصرّفها كيف شاء[4] .

٨٥ — لا تؤاخينّ الفاجر ؛ فإنه يزيّن لك فعله ، ويودّ لو أنك مثله ؛ ويحسّن لك أقبح خصاله ، ومدخلُه ومخرجُه من عندك شينٌ وعار ونقص ؛ ولا الأحمق فإنّه يجهد لك نفسه ولا ينفعك ؛ وربما أراد أن ينفعك فضرّك ؛ سكوتُه خيرٌ لك من نطقه ، وبعده خير لك من قربه ، وموته خير لك من حياته ؛ ولا الكذّاب فإنّه لا ينفعك معه شيء ؛ ينقل حديثك ، وينقل الحديث إليك ؛ حتى إنه ليحدّث بالصّدق فلا يصدّق .

٨٦ — ما استقصى كريم قطّ ، قال تعالى في وصف نبيه : ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾[5] .

٨٧ — ربّ كلمة يخترعها حليم مخافة ما هو شرٌّ منها ، وكفى بالحلم ناصرا .

٨٨ — مَنْ جمع ستّ خصال لم يَدَع للجنّة مطلبا ، ولا عن النار مهربا : مَنْ عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحقّ فاتبعه ، وعرف الباطل فاتّقاه ، وعرف الدّنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها .

---

(١) ب : « مسامحة » .
(٢) شمت : رغبت وأغرمت .
(٣) اعتل : أصابته العلة .
(٤) ب : « كيفما شاء » .
(٥) سورة التحريم : ٣

٨٩ — مَن استحيى مِنَ النّاس ولم يستحيِ مِن نفسه فليس لنفسه عند نفسه قدر .

٩٠ — غايةُ الأدب أنْ يستحيِيَ الإنسان من نفسه .

٩١ — البلاغة النّصر بالحجّة ، والمعرفة بمواضع الفُرْصة ، ومن البَصر(١) بالحجّة أن تَدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذ كان الإفصاح أوعرَ طريقة ، وكانت الكناية أبلغ في الدّرك وأحقّ بالظفر .

٩٢ — إيّاك والشّهوات ؛ وليكن مما تستعين به على كفّها علمك بأنّها ملهية لعقلك ، مهجّنة(٢) لرأيك ، شائنة لعرضك ، شاغلة لك عن معالي أمورك ، مشتدّةٌ بها التّبعة عليك في آخرتك . إنّما الشّهوات لعب ؛ فإذا حضر اللّعبُ غاب الجدّ ، ولن يقام الدّين وتصلح الدّنيا إلا بالجدّ ؛ فإذا(٣) نازعتك نفسك إلى اللّهو واللّذات ، فاعلم أنّها قد نزعتْ بك إلى شرّ منزع ، وأرادت لك أفضح الفضوح ؛ فغالِبْها مغالبة ذلك ، وامتنع منها امتناع ذلك ؛ وليكن مرجعك منها إلى الحقّ ؛ فإنك مهما تتركْ من الحق لا تتركْه إلّا إلى الباطل ، ومهما تدَعْ من الصواب لا تدَعْه إلا إلى الخطأ ؛ فلا تداهننّ هواك في اليسير فيطمع منك في الكثير .

وليس شيء ممّا أوتيت فاضلا عمّا يصلحك ؛ وليس لِعُمْرك وإن طال فضل عمّا ينوبك من الحقّ اللازم لك ، ولا لمالك وإن كثر فضل عمّا يجب عليك فيه ، ولا لقوّتك وإن تمّتْ فضلٌ عن أداء حقّ الله عليك ، ولا لرأيك وإن حَزُمَ فضل عمّا لا تُعْذَرُ بالخطأ فيه ؛ فليمنعْك علمك بذلك مِنْ أن تطيل لك عمراً في غير نفع ، أو تضيّعَ لك مالًا في غير حقّ ، أو أن تصرف لك قوة في غير عِبادة ، أو تعدل لك رأيا في غير رشد .

(١) كذا في د ، وفي ا ، ب : «النصر» تحريف .
(٢) مهجنة : مقبحة .
(٣) د : «وإن» .

فالحفظَ الحفظَ لما أوتيتَ ، فإنّ بك إلى صغيرِ ما أوتيتَ الكثيرَ منه أشدُّ الحاجة .

وعليك بما أصبته منه أشدُّ الرغبة ؛ ولا سيما العمر الذى كل متقدّمٍ سواه مستخلَف ، وكلّ ذاهب بعده مرتجع .

فإن كنت شاغلا نفسك بلذّة فلتكن لذتك فى محادثة العلماء ودرس كتبهم ، فإنّه ليس سرورك بالشّهوات بالغاً منك مبلغا إلا وإكبابك على ذلك ، ونظرُك فيه بالغه منك ، غير أنّ ذلك يجمعُ إلى عاجل السُّرور تمامَ الستمادة ، وخلافُ ذلك يجمع إلى عاجل الغَيّ وخامةَ العاقبة ؛ وقديما قيل : أسعدُ النّاس أدركُهم لهواه إذا كان هواه فى رشده ؛ فإذا كان هواه فى غير رشده ، فقد شقىّ بما أدرك منه . وقديما قيل : عوّدْ نفسك الجميلَ ؛ فباعتيادك إياه يعود بديهيّة .

٩٣ — وُكِّلَ ثلاثٌ بثلاث : الرزق بالحمق ، والحرمان بالعقل ، والبلاء بالمنطق . ليعلمَ ابنُ آدم أنْ ليسَ له مِنَ الأمر شىء .

٩٤ — ثلاثةٌ إن لم تظلمهم ظلمُوك : عبدُك ، وزوجتك ، وابنك .

وقد روينا هذه الكلمة لعُمر فيما تقدم [1] .

٩٥ — للمنافقين علاماتٌ يعرفون بها : تحيّتهم لعنة ، وطعامهم نُهبة ، وغنيمتهم غلول ، لا يعرفون المساجد إلا هَجْرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دَبَرا [2] ، مستكبرون لا يألفون ولا يُؤلَفون ، خُشُبٌ بالليل ، صُخُبٌ [3] بالنهر .

---

(١) ا : « فيما سلف » .　　　(٢) دبرا ، أى فى آخر وقتها

(٣) فى اللسان : « وفى الحديث فى ذكر المنافقين « خشب بالليل ، صخب بالنهار » ؛ أراد أنهم ينامون كأنهم خشب مطرحة » .

٩٦ - الحَسَدُ حُزْنٌ لازمٌ ، وعَقْلٌ هائم ، ونَفَسٌ دائم ؛ والنعمة على المحسود نعمة ، وهي على الحاسد نِقْمَة .

٩٧ — ياحَمَلة العلم ، أتحملونه ! فإنَّمـا العِلْمُ لمن عَلِم ثم عَمِل ؛ ووافق عملُه علمَه ، وسيكون أقوامٌ يحملون العِلْم ، لا يجاوز تراقيَهم ، تخالف سريرتُهم علانيتَهم ، ويخالف علمُهم عِمَلَهم ، يقعدون حَلَقا ، فيباهى بعضُهم بعض ؛ حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ؛ أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله سبحانه .

٩٨ — تعلَّموا العلم صِغاراً تسودُوا به كِباراً ؛ تعلموا العلم ولو لغير الله ؛ فإنه سيصير لله . العلم ذَكَرٌ لا يحبّه إلا ذُكْرانٌ من الرجال .

٩٩ — ليس شيء أحسن من عَقْل زانَه علم ، ومن عِلْم زانه حِلْم ، ومن حِلْم زانه صِدْق ، ومن صدق زانه رفق ، ومن رِفْق زانه تقوى . إنّ مِلاكَ العقل ومكارم الأخلاق صونُ العِرْض ، والجزاء بالفرض ، والأخذ بالفضل ، والوفاء بالعهد ، والإنجاز للوعد . ومَنْ حاول أمراً بالمعصية كان أقربَ إلى مايخاف ، وأبعد مما يرجو .

١٠٠ — إذا جرَت المقاديرُ بالمكارِه سبقت الآفة إلى العَقْل فحيَّرته ، وأطلقت الألسن بما فيه تلف الأنفس .

١٠١ — لا تصحبوا الأشرار فإنّهم يمُنّون عليكم بالسلامة منهم .

١٠٢ — لا تقسِروا أولادكم على آدابكم ، فإنّهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم .

١٠٣ — لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويدَه ؛ فإنّ الناس لايسألون في كم فرَغ من العمل ، إنما يَسْألون عن جودةِ صنعته .

١٠٤ — ليس كلُّ ذى عينٍ يُبْصِر ، ولا كلّ ذى أذنٍ يَسْمَع ، فتصدّقُوا على أولى العقول الزَّمِنة[1] ، والألباب الحائرة بالعلوم التي هي أفضل صدقاتِكم ، ثم تلا : ﴿ إنَّ الَّذِينَ

(١) الزمانة : العاهة .

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (١) .

١٠٥ — مَنْ أَتَتْ عليه الأربعون من السِّنين قيل له : خذ حذرك من حلول المقدور فإنك غير معذور؛ وليس أبناء الأربعين بأحقّ بالحذر من أبناء العشرين؛ فإنّ طالبهما واحدٌ، وليس عن الطلب براقدٍ؛ وهو الموت؛ فاعمل لما أمامك من الهول، ودع عنك زخرفَ القول .

١٠٦ — سُئل عن القدَر فقال: أقصر أم أطيل ؟ قيل : بل تقصِّر ، فقال : جلّ الله أن يُريدَ الفحشاء ، وعزّ عن أن يكون له في مُلكه إلا مايشاء .

١٠٧ — مَنْ علم أنه يفارق الأحباب ، ويسكن التراب ، ويواجهُ الحساب ، ويستغني عما ترك، ويفتقر إلى ما قدّم، كان حريًّا بقصر الأمل ، وطول العمل .

١٠٨ — المؤمن لا تحيله كثرة المصائب ، وتواتر النوائب عن التسليم لربّه والرضا بقضائه ، كالحمامة التي تؤخذ فراخها من وكرها ثم تعود إليه .

١٠٩ — ما مات مَنْ أحيا علمًا ، ولا افتقر مَنْ ملك فهمًا .

١١٠ — العِلْم صِبْغ النفس ، وليس يفوق صِبْغ الشيء حتى ينظف من كل دنَس .

١١١ — اعلم أنّ الذي مدحك بما ليس فيك ، إنما هو مخاطِب غيرك ، وثوابهُ وجزاؤهُ قد سقطا عنك .

١١٢ — إحسانك إلى الحرّ يُحرّكهُ على المكافأةِ ، وإحسانك إلى النذلِ يبعثهُ على معاودةِ المسألةِ .

---

(١) سورة البقرة ١٥٩

١١٣ — الأشرار يتتبعون مساوئ الناس ، ويتركون محاسنهم ؛ كما يتتبع الذبابُ المواضعَ الفاسدة .

١١٤ — موت الرؤساء أسهل من رياسة السفلة .

١١٥ — ينبغي لمن ولي أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته ؛ وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظلِّ العود قبل أن يستقيم ذلك العود .

١١٦ — إذا قوى الوالي في عمله حرَّكته ولايته على حسب ما هو مركوز في طبعه من الخير والشر .

١١٧ — ينبغي للوالي أن يعمل بخصال ثلاث : تأخير العقوبة منه في سلطان الغضب ، والأناة فيما يرتئيه[1] من رأى ، وتعجيل مكافأة المحسن بالإحسان ؛ فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية ، وفي الأناة انفساح الرأي وحمد العاقبة ووضوح الصواب .

١١٨ — من حق العالم على المتعلم ألا يكثر عليه السؤال ، ولا يعنته في الجواب ، ولا يلح عليه إذا كسل ، ولا يفشي له سراً ، ولا يغتاب عنده أحداً ، ولا يطلب عثرته ، فإذا زل تأنيت أوبته ، وقبلت معذرته ، وأن تعظمه وتوقره ما حفظ أمر الله وعظمه ، وألا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها ، ولا تضجرن من صحبته ؛ فإنما هو بمنزلة النخلة ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة ، وخصه بالتحية ، واحفظ شاهده وغائبه ؛ وليكن ذلك كله لله عز وجل ، فإن العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله . وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه . وطالب العلم تشيعه الملائكة حتى يرجع .

---

(١) يرتئيه ، افتعال من الرأي ، أي فيما يفكر فيه ، وفي د : « يريه » .

١١٩ — وَصُولٌ مُعْدِمٌ خيرٌ من جافٍ[1] مُكْثِرٍ ، ومن أرادَ أنْ ينظر ماله عند الله فلينظر ما لله عنده .

١٢٠ — لقد سبق إلى جنّات عدن أقوامٌ ما كانوا أكثرَ الناسِ صلاةً ولا صياما ولا حجًّا ولا اعتماراً ؛ ولكن عقلوا عن الله أمرَه فحسنت طاعتهم ، وصحّ ورعهم وكَمُلَ يقينهم ؛ ففاقوا غيرهم بالحظوةِ ورفيعِ المنزلة .

١٢١ — ما من عَبْدٍ إلّا ومعه ملَك يقيه ما لم يُقدَّرْ له ، فإذا جاء القدَرَ خلّاه وإياه .

١٢٢ — إنّ الله سبحانه أدّب نبيّهُ صلّى الله عليه وآله بقوله : ﴿ خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعرِضْ عَنِ الجاهلينَ ﴾[2] ، فلما علم أنه قد تأدّبَ ، قال له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3] ، فلما استحكم له من رسوله ما أحبّ قال : ﴿ وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ وما نهاكُمْ عنهُ فانتَهُوا ﴾[4]

١٢٣ — كنت أنا والعباس وعمر نتذاكر المعروف ، فقلت أنا : خير المعروف سَتْرُهُ ، وقال العباسُ : خيرُهُ تصغيرُهُ ، وقال عمر : خيرُهُ تعجيلُهُ ، فخرج علينا رسول الله ، فقال : فيم أنتم ؟ فذكرنا له ، فقال : خيرُهُ أن يكونَ هذا كلُّه فيه .

١٢٤ — العفوُ يفسد من اللئيم بقدْرِ ما يصلح من الكريم .

١٢٥ — إذا حَبَتَ الزّمانُ كَسَدَتِ الفضائلُ وضَرّتْ ، ونَفَقَتِ الرّذائلُ ونفعتْ ، وكانَ خوفُ الموسرِ أشدّ من خوف المعسرِ .

١٢٦ — انظرْ إلى المُتَنَصِّح[5] إليك ، فإن دخل من حَيْثُ يضارُّ الناسَ فلا تقبل

---

(١) الوصول ، فعول ؛ من الصلة ، وهي العطية ، والجافي ضد الوصول .
(٢) سورة البقرة ٦٧ (٣) سورة القلم ٤ .
(٤) سورة الأعراف ١٩٩ (٥) التنصح : التشبه بالنصحاء .

نصيحته وتحرَّزْ منه ، وَإن دَخل من حيث العَدْلُ والصلاح فاقبلها منه .

١٢٧ — أعداء الرَّجل قد يكونون أنفعَ من إخوَانه ، لأنهمْ يهدونَ إليه عيوبه فيتجنَّبها ويخاف شماتتهمْ به فيضبط نعمته ويتحرَّزُ من زوالها بغاية طوقه .

١٢٨ — المِرآةُ التى ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هى النَّاس ، لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم ، ومساويه من أعدائه فيهم .

١٢٩ — انظرْ وجهكَ كلَّ وقت فى المِرآةِ : فإن كان حسناً فاستقبح أن تضيف إليه فعلا قبيحاً وتشينه به ، وإن كان قبيحاً فاستقبح أن تَجمع بين قُبحيْن .

١٣٠ — موقع الصواب من الجهَّال مثل موقع الخطأ من العلماء .

١٣١ — ذكِّ قلبك بالأدَب كما تذكَّى النار بالحطب .

١٣٢ — كفر النعمة لؤمٌ ، وصحبة الجاهل شؤمٌ .

١٣٣ — عاديت من ماريت .

١٣٤ — لاَ تصرمْ [١] أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب .

١٣٥ — خير المقال ماصدَّقه الفعال .

١٣٦ — إذا لم ترزقْ غِنًى فلا تُحرَمَنَّ تقوى .

١٣٧ — مَنْ عرَفَ الدنيا لم يحزن للبلوى

١٣٨ — دَعِ الكذبَ تَكَرُّماً إن لمْ تدَعهُ تأثُّماً .

١٣٩ — الدُّنيا طوَّاحة طرَّاحةٌ فضَّاحةٌ ، آسيةٌ جرَّاحةٌ .

١٤٠ — الدنيا جَمَّةُ المصائب ، مُرَّةُ المشارب ، لا تُمتِّع صاحباً بصاحب .

١٤١ — المعتذر من غير ذنب،يوجب على نفسه الذنب .

(١) لا تصرم : لا تقطع ، أى لا تهجره لمجرد التهمة ، غير متيقن تقصيره .

١٤٢ — من كسل لم يؤدِّ حقاً .

١٤٣ — كثرة الجدال تورثُ الشكّ .

١٤٤ — خير القلوب أوعاها .

١٤٥ — الحياء لباس سابغ ، وحجاب مانع ، وستر من المساوي واقٍ ، وحليف للدين ، وموجب للمحبة ، وعين كالئة تذود عن الفساد ، وتنهى عن الفحشاء . والعجلة في الأمور مكسبة للمذمة ، ومرام للندامة ، وسلب للمروءة ، وشين للحجى ؛ ودليل على ضعف العقيدة .

١٤٦ — إذا سما المرء من الدنيا فوق قدره ، تنكرت للناس أخلاقه .

١٤٧ — لا تصحب الشرير فإن طبعك يسترق من طبعه شراً وأنت لا تعلم .

١٤٨ — موتُ الصالح راحة لنفسه ، وموت الطالح راحة للناس .

١٤٩ — ينبغي للعاقل أن يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء .

١٥٠ — إن حسدك أخ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى في مكروهك فلا تقابله بمثل ما كان منه فتعذر نفسه في الإساءة إليك ، وتشرع له طريقاً إلى ما يحبه فيك ؛ لكن اجتهد في التزيد من تلك الفضيلة التي حسدك عليها ؛ فإنك تسوءه من غير أن توجده حجة عليك .

١٥١ — إذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره ، فإنك تقف من مشورته على عدله وجوره ، وخيره وشره .

١٥٢ — يجب عليك أن تشفق على ولدك أكثر من إشفاقه عليك .

١٥٣ — زمان الجائر من السلاطين والولاة أقصر من زمان العادل ، لأن الجائر مفسد ، والعادل مصلح ، وإفساد الشيء أسرع من إصلاحه .

١٥٤ — إذا خدمتَ دنيا فلا تَدَنَّسْ مثلَ ثوبه ، ولا تركبْ مثلَ مركوبه ، ولا تستخدم كخدمه ، فسبالك تسلم منه.

١٥٥ — لا تُحدِّثْ بالعلم السفهاء فيكذّبوك ، ولا الجهال فيستثقلوك ، ولكن حدِّثْ به من يتلقّاه من أهله بقبولٍ وفهمٍ يفهم عنكَ ما تقول ، ويكتم عليك ما يسمع ؛ فإنَّ لعلمك عليك حقًّا ؛ كما أنَّ عليك في مالك حقًّا : بذْلُهُ لمستحقه ، ومنعُهُ عن غيرِ مستحقِّه .

١٥٦ — اليقين فوق الإيمان ، والصبر فوق اليقين ؛ ومن أفرط رجاؤه عاث الأماني على قلبه واستعبدته .

١٥٧ — إياكَ وصاحب السوء ؛ فإنه كالسيف المسلول يروق منظرُه ، ويقبح أثرُه .

١٥٨ — يابن آدم ، احذرِ الموت في هذه الدارِ قبل أن تصيرَ إلى دارٍ تتمنى الموت فيها فلا تجدُه .

١٥٩ — من أخطأه سهم المنية قيَّده الهَرَمُ .

١٦٠ — من سمِعَ بفاحشةٍ فأذاعها كان كمن أتاها

١٦١ — العاقل من اتَّهمَ رأيَه ولم يثقْ بما سوَّلتْه له نفسُه .

١٦٢ — من سامح نفسه فيما يحب أتعبها فيما لا يحب .

١٦٣ — كم من ماضٍ مُخبرٍ عمّا بقي ، وكم عبرةٍ لذوي الألباب مجرّبوا .

١٦٤ — أمرٌ لا تدري متى يغشاك ، ما يمنعك أن تستعد له قبل أن يفجأك !

١٦٥ — ليس فى البرق الخاطف مُستَمتَعٌ[1] لمن يخوض فى الظلمة .

١٦٦ — إذا أعجبَكَ مايتواصفُهُ النّاسُ مِنْ محاسِنِكَ ، فانظُرْ فيما بطن من مساويكَ ؛ ولتكُنْ معرفتُكَ بنفسِكَ أوثقَ عِندَكَ مِنْ مَدحِ المادحِينَ لكَ .

١٦٧ — مَنْ مدحكَ بما ليس فيكَ من الجميل وهُوَ راضٍ عنكَ ذمَّكَ بما ليْسَ فيكَ مِنَ القبيحِ وهوَ ساخِطٌ عليْكَ .

١٦٨ — إذا أشْبَهَ صاحِبُ رأيٍ بالمخصبين فى الهيْئةِ كانَ مثَلَ الوارِمِ الذى يوهمُ النّاسَ أنهُ سَمِينٌ ؛ فيَغُضُّ النّاسُ ذلكَ فيهِ وهُوَ يستر مايلقى مِنَ الألمِ التّابعِ للوَرَمِ .

١٦٩ — إذا قويَتْ نفسُ الإنسانِ انقطَعَ إلى الرَّأى ، وإذا ضعفتْ انقطعَ إلى البَخْتِ .

١٧٠ — الرفعة إلى الكريم تحرّكهُ على الذلِ ، وإلى الخسيسِ تغرِيهِ بالمنعِ .

١٧١ — خيارُ النّاسِ يترفعُون عنْ ذِكْرِ معايبِ النّاسِ ، ويتهمُونَ المُخبِرَ بها ، ويأثُرُونَ[3] الفضائل ، ويتمَنَّوْنَ لأهلِها ، ويتعرضُونَ مآثِرَ الرُّؤساء ، وإفضالهُمْ عليهم ، ويطالبُون أنفسهُمْ بمكافأةٍ عليها وحُسْنِ الرّعايةِ لها .

١٧٢ — لِكلِّ شيْءٍ قُوتٌ ، والتُّرابُ قوتُ الهوامِّ ؛ ومَنْ مشى على ظهر الأرضِ فإنَّ مصيرَهُ إلى بطنها .

١٧٣ — مِنْ كرمِ المرْءِ بكاؤُهُ على مامَضى مِنْ زمانِهِ ، وحنينُهُ إلى أوْطانه ، وحفظُهُ قديمَ إخوانِهِ .

---

(١) مستمتع : موضع متعة (٢) الخسيس : اللئيم البعيد عن مكارم الأخلاق

(٣) يأثرون الفضائل : يستأثرون بها .

١٧٤ — وَمِنْ دُعائِهِ: اللّهُمَّ إِنْ كُنَّا قَدْ قَصَّرْنا عَنْ بُلُوغِ طاعتِكَ فقدْ تمسَّكْنا مِنَ طاعتِكَ بأَحبِّها إِليْكَ، لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ جاءتْ بالحقِّ مِنْ عِنْدِكَ.

١٧٥ — أَصابَتِ الدُّنْيَا مَنْ أَمِنَها وأَصابَ الدُّنْيَا مَنْ حَذِرَها.

١٧٦ — وَوَقَفَ على قَوْمٍ أُصِيبُوا بمصيبةٍ، فقالَ: إِنْ تَجْزَعُوا فَحَقُّ الرَّحِمِ بلغتُمْ، وإِنْ تَصْبِرُوا فَحَقُّ اللهِ أَدَّيْتُمْ.

١٧٧ — مَكارِمُ الأَخْلاقِ عَشْرُ خِصالٍ: السَّخاءُ، والحياءُ، والصِّدْقُ، وأَداءُ الأَمانةِ، والتَّواضعُ، والغَيْرةُ، والشَّجاعةُ، والحِلْمُ، والصَّبْرُ، والشُّكْرُ.

١٧٨ — مِنْ أَداءِ الأَمانةِ المكافأةُ على الصَّنيعةِ لأَنَّها كالوَدِيعةِ عِنْدَكَ.

١٧٩ — الخَيِّرُ النَّفْسِ تكونُ حَرَكَتُهُ في الخيرِ عَلَيْهِ سَهْلةً مُتيسِّرةً، والحركةُ في الإِضرارِ عَسِرةً بَطيئةً، والشِّرِّيرُ بالضِّدِّ مِنْ ذلكَ.

١٨٠ — البُخلاءُ مِنَ النَّاسِ يكونُ تغافُلُهُمْ عَنْ عظيمِ الجُرْمِ أَسهلَ عليهِمْ مِنَ المكافأةِ على يَسِيرِ الإِحسانِ.

١٨١ — مَثَلُ الإِنسانِ الحصيفِ[1] مَثَلُ جسمِ الصُّلْبِ الكثيفِ، يَسْخُنُ بطيئًا، وتَبْرُدُ تلكَ السُّخونةُ بأَطوَلَ مِنْ ذلكَ زمانٍ.

١٨٢ — ثلاثةٌ يُرْحَمُونَ: عاقِلٌ يجرِي عليهِ حُكْمُ جاهلٍ، وضعيفٌ في يدِ ظالِمٍ قويٍّ، وكَرِيمُ قَوْمٍ احتاجَ إِلى لئيمٍ.

١٨٣ — مَنْ صَحِبَ السلطانَ وجبَ أَنْ يكونَ معهُ كراكبِ البحرِ، إِنْ سَلِمَ بجسمِهِ مِنَ الغَرَقِ لمْ يسلمْ بقلبِهِ مِنَ الفَرَقِ[2].

---

(١) الحصيف: المتمكن من عمله، المستحكم عقله.

(٢) الفرق: الخوف.

١٨٤ — لا تقبلنّ في استعمالِ عمالك وأمرائك شفاعةً إلّا شفاعةَ الكفايةِ والأمانةِ .

١٨٥ — إذا استشارك عدوّك فجرِّدْ له النصيحةَ ؛ لأنه باستشارتك قدْ خرجَ منْ عداوتك ودخل في مودّتكَ .

١٨٦ — العدلُ صورةٌ واحدة ، والجورُ صورٌ كثيرةٌ ؛ ولهذا سهلَ ارتكابُ الجورِ وصعبَ تحرّى العدلِ ؛ وهما يشبهانِ الإصابةَ في الرّمايةِ والخطأَ فيها ؛ وإنّ الإصابةَ تحتاجُ إلى ارتياضٍ [1] وتعهّدٍ ، والخطأُ لا يحتاجُ إلى شيءٍ منْ ذلكَ .

١٨٧ — لا يُخطئُ العاقلُ في الدعاء إحدى ثلاث : ذنبٌ يغفرُ ، أو خيرٌ يعجّلُ ، أو شرٌّ يؤجّلُ .

١٨٨ — لا ينتصفُ ثلاثةٌ منْ ثلاثةٍ : برٌّ من فاجرٍ ، وعاقلٌ منْ جاهلٍ ، وكريمٌ من لئيمٍ .

١٨٩ — أشرفُ الملوكِ منْ لمْ يخالطْهُ البطرُ ، ولمْ يحلْ عن الحقّ ، وأغنى الأغنياء من لمْ يكنْ للحرصِ أسيراً ؛ وخيرُ الأصدقاء منْ لمْ يكنْ على إخوانهِ مستعصياً ، وخيرُ الأخلاقِ أعونُها على التُّقى والورَعِ .

١٩٠ — أربعٌ القليلُ منهنّ كثيرٌ : النارُ ، والعداوةُ ، والمرضُ ، والفقرُ .

١٩١ — أربعةٌ من الشقاء : جارُ السوء ، وولد السوء ، وامرأةُ السوء ، والمنزلُ الضيّقُ .

١٩٢ — أربعة تدعو إلى الجنةِ : كتمانُ المصيبةِ ، وكتمانُ الصدقةِ ، وبرُّ الوالدينِ ، والإكثار من قول لا إله إلّا الله .

---

(١) ارتياض : مران .

١٩٣ — لا تصحبِ الجاهلَ؛ فإنّ فيه خصالاً، فاعرفوه بها. يغضب من غير غضب، ويتكلّم في غير نفع، ويُعطي في غير موضعِ الإعطاء، ولا يعرف صديقه من عدوّه، ويفشي سرّه إلى كلّ أحدٍ.

١٩٤ — إيّاك ومواقفَ الاعتذارِ؛ فرُبَّ عذرٍ أثبت الحجّة على صاحبه وإن كان بريئاً.

١٩٥ — الصراطُ ميدانٌ يكثُرُ فيه العثارُ، فالسالمُ ناجٍ، والعاثرُ هالكٌ.

١٩٦ — لا يعرفُ الفضلَ لأهل الفضل إلا أولو الفضل.

١٩٧ — إنّ لله عباداً في الأرض كأنما رأوا أهلَ الجنة في جنّتهم وأهلَ النار في نارهم، اليقين وأنواره لامعةٌ على وجوههم، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونةٌ، وأنفسهم عفيفةٌ، وحوائجهم خفيفةٌ؛ صبروا أياماً قليلةً لعقبى طويلة، أما الليل فصافّون أقدامهم[1] تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون[2] إلى الله سبحانه بأدعيتهم؛ قد حلا في أفواههم وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيذ الخلوة به؛ قد أقسم الله على نفسه بجلال عزّته ليورثنّهم المقام الأعلى في مقعد صدقٍ عنده؛ وأما نهارهم فحلماء علماء، بررة أتقياء، كالقداح ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى! وما بالقوم من مرضٍ، أو يقول: قد خُولطوا! ولعمري لقد خالطهم أمر عظيم جليل.

١٩٨ — عاتبه عثمان فأكثر وهو ساكت، فقال: ما لك لا تقولُ! قال: إن قلت لم أقل إلا ما تكرهه، وليس لك عندي إلا ما تحبّ.

١٩٩ — مُنيتُ في حربِ الجمل بأشدِّ الخلقِ شجاعةً، وأكثرِ الخلقِ ثروةً وبذلاً، وأعظمِ الخلائقِ في الخلقِ طاعةً، وأوفى الخلقِ كيداً وتنكّراً[3]: مُنيتُ بالزبير، لم يردَّ وجهَه قطّ،

---

(١) صافّون أقدامهم: كناية عن كونهم مصلين. (٢) يجأرون: يضرعون إلى الله، يتضرعون.
(٣) أ - : ونكيراً.

ويعلى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة ويعطي كلّ رجل ثلاثين دينارا وفرساً على أنْ يقاتلني ، وبعائشة ماقالت قطّ بيدها هكذا إلا واتّبعها الناس ، وبطلحة لا يدركُ غوره [1] ، ولا يُطال مكره .

٢٠٠ — بعث عثمان بن حُنيف إلى طلحة والزبير ، فعاد فقال : يا أميرَ المؤمنين ، جئتك بالخيبة ، فقال : كلاّ ! أصبت خيراً وأجرت ، ثم قال : إن من العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما عليّ ! أما والله إنهما ليعلمان أني لستُ بدون واحدٍ منهما ، اللهم عليك بهما .

٢٠١ — الرزق مقسومٌ ، والأيامُ دوَلٌ والناسُ سرَع [2] سواء : آدم أبوهم ، وحوّاء أمهم .

٢٠٢ — قوتُ الأجسام الغذاء ، وقوت العقول الحكمة ، فمتى فقدَ واحد منهما قوته بار واضمحلّ .

٢٠٣ — الصبر على مشقة العبادة [3] يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر .

٢٠٤ — الروح حياة البدن والعقل حياة الروح .

٢٠٥ — حقيق بالإنسان [4] أن يخشى الله بالغيب ، ويحرس نفسه من العيب ، ويزداد خيراً مع الشيب .

٢٠٦ — أفضلُ الوُلاة من بقي بالعدل ذكرُه ، واستمده من يأتي بعده .

٢٠٧ — قدّم العدل على البطش تظفر بالمحبّة ، ولا تستعمل الفعال حيث ينجعُ [5] القول .

---

(١) يقال : فلان لا يدرك غوره ، إذا كان عميقه بعيداً ، والمراد هنا أنه لا يعرف ما في أعماق نفسه .
(٢) شرع ، أي متساوون .　　(٣) د : « العادة » .
(٤) ب : « بالإنسان » : تحريف .　　(٥) ينجع : ينفع .

٢٠٨ — البخيلُ يسخو من عِرضه بمقدار ما يبخل به من ماله ، والسخىُّ يبخل من عِرضه بمقدار ما يسخو به من ماله .

٢٠٩ — فُضِّلَ العقلُ على الهوى ، لأنَّ العقل يُمَلِّكُكَ الزمان ، والهوى يستعبدك للزّمان .

٢١٠ — كلما جاءت عليه الحرُّ احتمله ورآه زيادة فى نعمه ، إلا ما حطه جرما[1] من حريته ، فإنه يأباه ولا يجيب إليه .

٢١١ — إذا منعكَ اللئيمُ البِرّ مع إعظامه حقك، كان أحسن من بذل السخىّ لك إياه مع الاستخفاف بك .

٢١٢ — الملكُ كالنهر العظيم، تستمدُّ منه الجداول . فإنْ كان عذباً عذبتْ ، وإنْ كان ملحاً ملحتْ .

٢١٣ — الفرق بين السخاء والتبذير ، أنّ السخىّ يسمح بما يعرف مقداره ومقدار الرغبة فيه إليه ، ويضعه بحيث يحسن وضعه ، وتزكو عارفته ، والمبذِّر يسمح بما لا يوازنُ به رغبة الراغب ، ولا حقّ القاصد ؛ ولا مقدار ما أولى ، ويستفزه[2] لذلك حرارةٌ من خطراته ، والتصدّى لإطراء مُطْرٍ له بينهما بونٌ بعيد .

٢١٤ — لا تُلاجّ الغضبان ؛ فإنكَ تقلقه[3] باللجاج ، ولا تردّه إلى الصواب .

٢١٥ — لا تفرح بسقطة غيرك ، فإنك لا تدرى ما تتصرّف الأيام بك .

٢١٦ — قليل العلم إذا وقر فى القلب كالطَّلِّ يصيب الأرض المطمئنة فتعشب .

٢١٧ — مثلُ المؤمنِ الذى يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجّةِ ريحُها طيب ، وطعمُها

---

(١) لعله : « جرما » ؟ (٢) استفزه : أخرجه .

(٣) تقلقه : تحركه .

طيّب ؛ ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيّب وطعمها مُرٌّ ، ومثل الفاجرِ الذى لا يقرأ القرآن مثلُ الحنظلة طعمه مُرٌّ ولا ريح لها .

٢١٨ — المؤمن إذا نظر عتبر ، وإذا سكتَ تفكّرَ ، وإذا تكلم ذكَرَ ، وإذا استغنى شكر ، وإذا أصابته شدة صبر ، فهو قريب الرضا ، بعيد السخط ؛ يرضيه عن الله اليسير ، ولا يسخطه البلاء الكثير ؛ قوّته لا تبلغ به ، ونيّته تبلغ ، مغموسة فى الخير يدهُ ، ينوى كثيراً من الخيرِ ، ويعملُ طائفةً منهُ ، ويتلهفُ على ما فاته من الخيرِ كيف لم يعمل بهِ !

والمنافقُ إذا نظرَ لها ، وإذا سكتَ سها ، وإذا تكلّمَ لغا ، وإذا أصابهُ شِدةٌ ضغا ؛ فهوَ قريبُ السخطِ بعيدُ الرضا ؛ يُسخطه على اللهِ اليسيرُ ، ولا يُرضيهِ الكثيرُ ، قوّتهُ تبلغُ ، ونيّتهُ لا تبلغُ ، مغموسةٌ فى الشرِّ يدهُ ، ينوى كثيراً من الشرِّ ، ويعملُ طائفةً منه ويتلهفُ على ما فاتهُ من الشرِّ كيف لم يقمْ بهِ ، وكيف لم يعملْ به !

على لسانِ المؤمنِ نورٌ يسطعُ ، وعلى لسانِ المنافقِ شيطانٌ ينطقُ .

٢١٩ — سوء الظنِّ يُدوِى [1] القلوبَ ، ويتّهمُ المأمونَ ، ويوحِشُ المستأنسَ ، ويُغيّرُ مودّةَ الإخوانِ .

٢٢٠ — إذا لم يكن فى الدُّنيا إلا محتاجٌ فعلى الناسِ أقسمهمْ بما رُزِق .

٢٢١ — قيل لهُ : إن درعَكَ صدرٌ لا ظهرَ لهُ ، إنّا نخاف أنْ تُؤتَى من قِبَلِ ظهرِكَ ، فقال : إذا وليّتُ فلا وألتُ [2] .

٢٢٢ — أشدُّ الأشياءِ الإنسان ، لأنّ أشدّها — فيما نرى — الجبلُ ، والحديد

---

(١) يدوى : يصيبه بالداء . والدوى : المرض ، وأدويته : أمرضته .
(٢) وأل : خلص ونجا

ينحتُ الجبل ، والذرّ تأكل الحديدَ ، والماء يطفئ النارَ ، والسحاب يحمل الماءَ ، والريحُ يُفرّقُ السحابَ ، والإنسانُ يتّقي من الريح .

٢٢٣ — إنّما الناسُ في نفَسٍ معدودٍ ، وأمَلٍ ممدودٍ ، وأجَلٍ محدودٍ ، فلابدَّ للأجلِ أنْ يتناهى ، وللنفَسِ أن يُحصَى ، وللأمَلِ أنْ ينقضيَ ، ثم قرأ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [1] .

٢٢٤ — اللهُمَّ لا تجعل الدُّنيا لي سِجْناً ، ولا فراقَها عليَّ حزَناً ؛ أعوذُ بكَ من دُنيا تحرِمُني الآخرةَ ، ومِنْ أمَلٍ يحرِمُني العملَ ، ومِنْ حياةٍ تحرِمُني خيرَ المماتِ .

٢٢٥ — تعطَّرُوا بالاستغفارِ لا تفضحكُمْ روائحُ الذنوبِ .

٢٢٦ — للمشكلاتِ غاياتٌ تنتهي إليها ، ودواؤها الصبرُ عليها وتركُ الحيلةِ في زوالها ؛ فإنَّ الحيلةَ في إزالتها قبلَ انقضاءِ مدّتها سببٌ لزيادتها .

٢٢٧ — لا يرضى عنكَ الحاسدُ حتى يموتَ أحدُكما .

٢٢٨ — لا يكونُ الرجلُ سيّدَ قومِهِ حتى لا يُبالي أيَّ ثوبَيْهِ لَبِسَ .

٢٢٩ — كتبَ إلى عاملٍ له : اعمل بالحقّ ليومٍ لا يُقضى فيه إلا بالحقّ .

٢٣٠ — نظر إلى رجلٍ يعاتبُ آخرَ عند ابنه الحسن ، فقال : يا بنيّ نزّه سمعكَ عنه ؛ فإنه نظرَ إلى أخبثِ ما في وعائهِ فأفرغهُ في وعائكَ .

٢٣١ — احذروا الكلامَ في مجالسِ الخوفِ ، فإنَّ الخوفَ يُذهِلُ العقلَ الذي منه نستمدُّ وتشغلهُ حراسةُ النفسِ عن حراسةِ المذهبِ الذي نرومُ نصرتَهُ . واحذر الغضبَ ممن يحملكَ عليه ؛ فإنه مميتٌ للخواطرِ [2] ، مانعٌ من التثبُّت . واحذر من تبغضهُ فإن بغضكَ له يدعوكَ إلى الضجرِ به ؛ وقليلُ الغضبِ كثيرٌ في أذى النفسِ والعقلِ ، والضجرُ مضيّقٌ

---

(١) سورة الانفطار ١٠ ، ١١ .   (٢) الخواطر : جمع خاطر ؛ وهو ما يخطر ببالك .

للصَّدر ، مُضعفٌ لِقُوَى العقل ؛ واحذرِ المحافل التي لا إنصاف لأهلها في التسوية بينك وبين خصمك في الإقبال والاستماع ، ولا أدب لهم يمنعهم من جَوْرِ الحُكم لك وعليك واحذر حين تظهرُ العصبية لخصمك بالاعتراض عليك وتشييد قوله[1] وحجته ، فإنّ ذلك يهيجُ العصبيّة والاعتراض على هذا الوجه يخلق الكلام ، ويذهبُ ببهجة المعاني . واحذر كلام من لا يفهمُ عنك فإنه يُضجرك ؛ واحذر استصغار الخصم فإنه يمنع من التحفّظ ؛ ورُبَّ صغير غلب كبيراً !

٢٣٢ — لا تقبل الرياسةَ على أهلِ مدينتك ؛ فإنهم لا يستقيمون لكَ إلا بما تخرج به من شرطِ الرئيس الفاضل .

٢٣٣ — لا تهزأ بخطأ غيرك ؛ فإن النطق لا يملكُ ، وأقبلْ من الخطأ الّذي أنت فيه بقدرِ الصبر واحتمل الخلق والحقّ إمامَيك تنَل الغنية بهما .

٢٣٤ — الرأي يُريك غاية الأمر مبدأهُ .

٢٣٥ — الخيِّرُ من الناس مَن قدر على أن يَصْرِف نفسه كما يشاء ويدفعها عن الشّرورِ، والشرّير من لم يكن كذلك .

٢٣٦ — السُّلطان الفاضل هو الذي يحرس الفضائل ويعود بها لمن دونه ويرعاها من خاصّته وعامته ؛ حتى تكثر في أيّامه ، ويتحصن بها من لم تكن فيه .

٢٣٧ — لِلكريم رباطان أحدُهما الرعاية لصديقه وذوى الحرمة به ، والآخر الوفاء لمن ألزمه الفضل ما يجب له عليه .

٢٣٨ — إذا تحرّكتْ صورة الشرِّ ؛ ولم تظهر ولّدت الفزَع ؛ فإذا ظهرت ولّدت الألم ؛ وإذا تحركت صورة الخير ولم تظهر ولّدت الفرح ، فإذا ظهرت ولّدت اللذّة .

---

(١) قوله : « وتشييد قوله » أي تحصينها وصونها عن إطراق الخلل إليها ، وأصل التشييد طلاء الحائط بالجص والطين لئلا يبقى به ثقب .

٢٣٩ — الفرقُ بين الاقتصادِ والبُخْل أن الاقتصادَ تمسُّكُ الإنسان بما في يدِه خوفًا على حريَّتِهِ وجاهه من المسألة؛ فهو يضع الشيء موضعه، ويصبر عمّا لا تدعو ضرورةٌ إليه، ويصل صغير برِّه بعظيم بِشْره؛ ولا يستكثر من المودات خوفاً من فرط الإجحاف به، والبخيل لا يكافئُ على ما يسدى إليه، ويمنع أيضاً اليسير من استحقّ الكثير، ويصبر لصغير ما يجرى عليه على كثيرٍ من الذِّلّة.

٢٤٠ — لا تحقرنّ صغيراً يمكن أن يكبر، ولا قليلا يمكن أنْ يكثر.

٢٤١ — ما زلتُ مظلوماً مُذ قبض الله نبيهُ حتى يوم الناس هـــذا؛ ولقد كنت أظلم قبل ظهور الإســـلام؛ ولقد كان أخى عقيلٌ، يذنبُ أخى جعفر فيضربُنِي.

٢٤٢ — لو كسرت لى الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهلِ الإنجيل بإنجيلهم؛ وبين أهلِ الفرقان بفرقانهم؛ حتى تَزْهر[1] تلك القضايا إلى اللهِ عَزّ وَجَلّ وتقول: يارب؛ إن علياً قضى بين خلقك بقضائك.

٢٤٣ — مرّ بدارٍ بالكوفة فى مُرادٍ تبنى فوقعت منها شَظِيَّةٌ[2] على صَامِتِهِ هادمتها، فقال: مايوى من مُرادٍ بواحِدٍ! اللَّهمّ لا ترفعها، قالوا: فو اللهِ لقدْ رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجمّاء[3] بين انعم ذوات القرُون.

٢٤٤ — أقتلُ الأشياء لعدوك ألاّ تُعَرِّفَهُ أنك اتخذته عدوّاً.

٢٤٥ — الخيرَةُ فى تَرْكِ الطِّيَرَة.

٢٤٦ — قيـل له فى بعض الحروب: إن جالت الخيلُ أين نطلُبُك؟ قال: حيثُ تركتمونى.

٢٤٧ — شَفيعُ المُذنب إقراره، وتوبتهُ اعتِذَاره.

---

(١) تزهر: تضيء وتتلألأ.

(٢) الشظية: الفلقة من العصا.

(٣) شاة جماء: لا قرون لها.

٢٤٨ — قصمَ ظهري رجلان: جاهلٌ متنسّكٌ(١) وعالمٌ متهتّكٌ.

٢٤٩ — ألا أخبركم بذات نفسي! أما الحسن ففتًى من الفتيان، وصاحبُ جفنةٍ وخوان؛ ولو التقت حلقتا البطان(٢) لم يغن عنكم في الحرب غناء عصفورٍ، وأمّا عبدُ الله بن جعفر فصاحبُ لهوٍ وظلٍّ باطل، وأمّا أنا والحسينُ فنحن منكم وأنتم منا.

٢٥٠ — قال في المنبريّة: صار ثُمُنُها تُسعاً على البديهة(٣) وهذا من العجائب.

٢٥١ — جاء الأشعثُ إليه وهو على المنبر، فجعل يتخطّى رقاب الناس حتى قرُبَ منه ثمّ قال: يا أميرَ المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء على قُرْبِكَ — يعني العجم — فركض المنبر برجله، حتى قال صعصعةُ بن صُوحان: ما لنا وللأشعث! ليقولنّ أمير المؤمنين عليه السلام اليوم في العرب قولاً لا يزال يُذكَر، فقال عليه السلام: مَنْ يعذرني من هؤلاء الضياطرة! يتمرّغُ أحدهم على فراشه تمرُّغَ الحمار(٤)، ويُهجِّر قوماً للذكر! أفتأمرونني أن أطردهم! ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين! أما والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، ليضربنّكم على الدين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بدْءاً.

٢٥٢ — كان إذا رأى ابنَ مُلجَم، يقول: أُريدُ حياتَه(٥) ... البيت؛ فيقالُ لهُ: فاقتُله، فيقولُ: كيف أقتلُ قاتلي!

٢٥٣ — إلهي ما قدرُ ذُنوبٍ أُقابلُ بها كرمَكَ، وما قدرُ عبادةٍ أُقابل بها نِعمَك! وإني لأرجو أن تستغرق ذُنوبي في كرمك، كما استغرقت أعمالي في نِعَمِك.

---

(١) المتنسك: متكلف النسك والتقوى.

(٢) التقت حلقتا البطان: مثل؛ والبطان: الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير، فإذا التقت حلقتاه دل على اضطراب العقد وانحلالها.

(٣) المنبرية: إشارة إلى مسألة من مسائل الميراث.

(٤) الضيطر: الرجل الضخم الذي لا غناء عنده، وجمعه ضياطرة.

(٥) يشير إلى قول عمرو بن معديكرب:

أُريدُ حياتَهُ ويُريدُ قتْلي عَذيرَكَ من خليلِكَ من مُرادِ

٢٥٤ — إذا غضب الكريمُ فألِنْ له الكلام ، وإذا غضب اللئيمُ فخذ له العصا .

٢٥٥ — غضب العاقل في فعلِه ، وغضب الجاهل في قولِه .

٢٥٦ — رأى رجلاً يُحدِّث مُنكر الحديث ، فقال : يا هذا ، أنصف أذنيك من فيك ؛ فإنما جعل الأذنان اثنتين ، والفم واحداً ، ليسمع أكثر مما يقول .

٢٥٧ — إيَّاك وكثرة الاعتذار ؛ فإن الكذب كثيراً ما يُخالِطُ المعاذير .

٢٥٨ — اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على مَنْ شكرك

٢٥٩ — سلْ مسألةَ الحمقى (١) واحفظ حفظ الأكياس .

٢٦٠ — مرُوا الأحداثَ بالمراء والجدال ، والكهولَ بالفكر ، والشيوخَ بالصمت .

٢٦١ — عوِّدْ نفسكَ الصبرَ على جليس السوء ؛ فإنه يكاد يخطئك

٢٦٢ — يا بنيّ إنّ الشرَّ تارِكُكَ إنْ تركتَه .

٢٦٣ — لا تطلبوا الحاجةَ إلى ثلاثة : إلى الكذوب ، فإنه يقرِّبها وإن كانت بعيدةً ، ولا إلى أحمقَ ؛ فإنه يريدُ أن ينفعك فيضرّك ، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجةٌ ؛ فإنهُ يجعلُ حاجتكَ وقايةً لحاجته .

٢٦٤ — إياكَ وصدرَ المجلس فإنهُ مجلسُ قلعة (٢)

٢٦٥ — احذرُوا صولةَ الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبعَ .

٢٦٦ — سرُّكَ دمكَ فلا تُجرينّه إلا في أوداجك

٢٦٧ — وسُئل عن الفرق بين الغمّ والخوف ، فقال : الخوف مجاهدةُ الأمر المخوف قبل وقوعِه ، والغمُّ ما يلحقُ الإنسانُ من وقوعه .

---

(١) الحمقى : ضعف العقل . (٢) مجلس قلعة : إذا كان صاحبه يحتاج إلى القيام

٢٦٨ — المعروف كنزٌ فانظر عند من تودعه .

٢٦٩ — إذا أرسلت لعزمٍ فلا تأتِ شيئاً فيه كلُّ تحرّكٍ وتعسّف على خلافك[1] .

٢٧٠ — إذا وقع في يدك يومُ السّرور فلا تخلّه فإنّك إذا وقعت في يدِ يومِ الغمّ لم يُخلّك .

٢٧١ — إذا أردت أن تصادقَ رجلاً فانظرْ من عدوُّه ؟

٢٧٢ — الانقباضُ من النّاس مكسبةٌ للعداوةِ ، والانبساطُ مجلبةٌ لقرين السوء ؛ فكن بين المنقبض والمسترسل ، فإنّ خيرَ الأمورِ أوساطها

٢٧٣ — أنا عبد اللهِ ، وأخو رسولِ الله ؛ لا يقولها بعدي إلاّ كذّابٌ .

٢٧٤ — أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وآلهِ بيدي فهزّها ، وقالَ : ما أوّلُ نعمةٍ أنعمَ اللهُ بها عليك ؟ قلتُ : أنْ خلقني حيّاً ، وأقدرني ، وأكمل حواسّي ومشاعري وقواي ، قال : ثم ماذا ؟ قلتُ : أن جعلني ذكراً ، ولم يجعلني أنثى ، قالَ والثّالثةُ : قلت : أن هداني للإسلام ، قال : والرابعة ؟ قلت : ﴿وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصُوها﴾[2] .

٢٧٥ — اللهم إني أسألكَ إخباتَ المخبتين ، وإخلاص الموقنين ، ومرافقة الأبرار ، والعزيمةَ في كلّ برّ والسلامة من كلّ إثم ، والفوز بالجنّةِ ، والنجاةَ من النارِ .

٢٧٦ — لما ضربه ابن ملجم وأوصى ابنيه بما أوصاهما قالَ لابن الحنفيّة : هل فهمت ما أوصيتُ به أخويك ؟ قال : نعمْ ، قال : فإني أوصيكَ بمثله وبتوقيرِ أخويك ، واتباع أمرهما ، وألاّ تبرم أمراً دونهما . ثم قال لهما : أوصيكما به فإنهُ شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبّهُ فأحبّاهُ .

٢٧٧ — أمّا هذا الأعور — يعني الأشعث — فإنّ الله لم يرفعْ شرفاً إلّا حسده ، ولا أظهر فضلاً إلّا عابهُ ، وهوَ يُمنّي نفسهُ ويخدعها ، يخافُ ويرجو ، فهوَ بينهما لا يثقُ

---

(١) هذه الحكمة ساقطة من ب ، وأثبتها من أ ، د (٢) سورة النحل ١٨

بواحدٍ منهما ، وقدْ منَّ اللهُ عليــه بأن جعلَهُ جباناً ، ولو كانَ شجاعاً لقتلهُ الحقُّ ، وأمّا هذا الأكشفُ عدَّ الجاهليّةِ – يعني جَرِيرَ بن عبد الله البَجَلِيَّ – فهو يرى كلَّ أحدٍ دونَهُ ، ويستصغرُ كلَّ أحدٍ ويحتقرُهُ ، قد مُلِئَ ناراً ، وهُوَ مع ذلكَ يطلبُ رئاسةً ، ويرُومُ إمارةً ، وهــذا الأعورُ يغويه ويُطغيه ، إن حدَّثَهُ كذَبَهُ ، وإن قامَ دُونَهُ نَكَصَ عنهُ ، فهما كالشيطانِ إذ قالَ للإنسانِ : اكفرْ فلمّا كفرَ قالَ إنّي برىءٌ منكَ إنّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمينَ .

٢٧٨ — بُلوغُ أعلى المنازلِ بغيرِ استحقاقٍ من أكبرِ أسبابِ الهَلَكَةِ .

٢٧٩ – الكلمةُ إذا خرجتْ منَ القلبِ وقعتْ في القلبِ ، وإذا خرَجتْ منَ اللسانِ لم تجاوزِ الآذانَ .

٢٨٠ – الكرمُ حسنُ الفطنةِ ، واللؤمُ سوء التغافُلِ .

٢٨١ – أسوأُ الناسِ حالاً من اتّسعَتْ معرفتــه ، وبَعُدَتْ همّتُــه ، وضاقَتْ قُدْرَتُه [١] .

٢٨٢ — أمران لا ينفكّان من الكذبِ : كثرةُ المواعيدِ ، وشدّةُ الاعتذارِ .

٢٨٣ — عادَةُ النَّوْكى [٢] الجلوسُ فوق القدرِ ، والمجيء في غيرِ الوقتِ .

٢٨٤ — العافيةُ المُلْكُ الخفيُّ .

٢٨٥ — سوء حَمْلِ الغِنَى يورثُ مقتاً ، وسوء حمل الفاقةِ يضع شرفاً .

٢٨٦ — لا ينبغي لأحدٍ أن يدَعَ الحزمَ لظفرٍ ناله عاجزٌ ، ولا يستمع نفسه في التفريطِ لنكبةٍ دخلتْ على حازمٍ .

٢٨٧ — ليس من حسنِ التوكل أنْ يقالَ عثرَةً ، ثم يركبها ثانيةً .

---

(١) هذه الحكمة ساقطة من ب ، وأثبتها من ﻫ ، د (٢) النوك : الحمق .

٢٨٨ — سوءُ القالةِ في الإنسانِ إذا كان كذباً نظيرُ الموتِ لفسادِ دنياه ؛ وإن كان صدقاً فأشدُّ من الموتِ لفسادِ آخرتِه .

٢٨٩ — تُرضى الكرامُ بالكلامِ ، وتُصادُ اللئامُ بالمالِ ، وتُستصلحُ السَّفلةُ بالهوانِ .

٢٩٠ — لا يزالُ المرءُ مستورًا ما لم يعثرْ ، فإذا عثرَ مرةً لجَّ بهِ العِثارُ ولو كان في جَدَدٍ .

٢٩١ — المتواضعُ كالوهدةِ يجتمعُ فيها قطرُها وقطرُ غيرِها ، والمتكبرُ كالربوةِ لا يقرُّ عليها قطرُها ، ولا قطرُ غيرِها .

٢٩٢ — لا يصبرُ على الحربِ ويصدقُ في اللقاءِ إلا ثلاثةٌ : مستبصرٌ في دينٍ ، أو غيرانُ على حرمةٍ ، أو ممتعضٌ من ذلٍّ .

٢٩٣ — مجاوزتُك ما يكفيك فقرٌ لا منتهى له .

٢٩٤ — قيل له : أيُّ الأمورِ أعجلُ عقوبةً ، وأسرعُ لصاحبِها صرعةً ؟ فقال : ظلمُ مَنْ لا ناصرَ له إلَّا اللهُ ، ومجازاةُ النعمِ بالتقصيرِ ، واستطالةُ الغنيِّ على الفقيرِ .

٢٩٥ — الجماعُ لبعضٍ خُدَعٌ ، وللحيرات مدعٌ ؟ حياءٌ يرتفعُ ، وعوراتٌ تجتمعُ ؛ أشبهُ شيءٍ بالجنونِ ، ولذلك حُجِبَ عن العيونِ ، قبيحةٌ ولذّةٌ فتونٌ ، إن عاشَ كَدَّ ، وإن ماتَ هَدَّ .

٢٩٦ — ما شيءٌ أهونَ مِنْ ورعٍ : إذا رابكَ أمرٌ فدعْهُ .

٢٩٧ — إذا أتى عليَّ يومٌ لا أزدادُ فيه عملاً يقرّبني إلى اللهِ ، فلا بوركَ لي في طلوعِ شمسِ ذلك اليومِ .

٢٩٨ — أشرفُ الأشياءِ العلمُ ؛ واللهُ تعالى عالِمٌ يحبُّ كلَّ عالِمٍ .

٢٩٩ — ليتَ شعرى أىَّ شىءٍ أدركَ منْ فاتهُ العلمُ ! بل أىَّ شىءٍ فاتَ من أدركَ العلمْ !

٣٠٠ — لا يسودُ الرجلُ حتّى لا يُبالى فى أىِّ ثوبيهِ ظهرَ .

٣٠١ — سمع رجلاً يدعُو لصاحبه ، فقال : لا أراكَ اللهُ مكروُهاً ، فقال : إنما دعوْتَ لهُ بالموْت ، لأنّ منْ عاشَ فى الدُّنْيا لا بُدَّ أن يرَى المكْروهَ .

٣٠٢ — من صفةِ العاقل ألاَّ يتحدَّثَ بما يُستطاعُ تكْذيبهُ فيه .

٣٠٣ — السعيدُ منْ وعظَ بغيرِهِ ، والشقىّ من اتّعظ به غيرُهُ .

٣٠٤ — ذو الهمّة وإنْ حطّ نفسَه يأبى إلاّ علوّاً ، كالشعلة من النّار يخفيها صاحبُها ، وتأبى إلاّ ارتفاعاً .

٣٠٥ — الدَّيْنُ غلُّ اللهِ فى أرْضِه ، إذا أرادَ أنْ يُذِلَّ عبداً جعلهُ فى عنقهِ .

٣٠٦ — العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها حكْمةً ومثلا ، والأحمقُ إذا تكلم بكلمةٍ أتبعها حلفاً .

٣٠٧ — الحركةُ لقاحُ الجدِّ العظيمِ (١) .

٣٠٨ — ثلاثةٌ لا يُستحى من الحَتْم عليها : المالُ لنفى التهْمةِ ، والجوهرُ لنفاسته ، والدواء للاحتياطِ من العدوِّ .

٣٠٩ — إذا أيسرت فكلُّ الرجال رجالك ، وإذا أعسرتَ أنكرك أهلك .

٣١٠ — من الحكمة جعل المال فى أيدى الجهال قوتهُ لو حُصِرَ به العقلاء لمات

(١) هذه الحكمة ساقطة من ا

الجهالُ جُوعاً ، ولكنهُ جُعلَ في أيدي الجهالِ ، ثم استرقَّهم عنه العقلاءُ بلطفهم وفطنتهم .

٣١١ — ماردٌ أحدٌ أحداً عن حاجة الأوثقَ العزُّ في قفاه ، والذلُّ في وجهِهِ .

٣١٢ — اشتداد الضيمة عاجلةٌ ، ورُبّما[1] مريضةٌ .

٣١٣ — الحاسدُ المظهرُ للحسدِ كالجاحدِ يمجُّ الدّواء ، ويبطنُ الداء .

٣١٤ — الحاسدُ يرى زوال نعمتكَ نعمةً عليهِ .

٣١٥ — التّواضع إحدى مصايد الشرف .

٣١٦ — تواضعُ الرّجُلِ في مرتبتهِ ذَبٌّ للشماتةِ عنهُ عند سقطتهِ .

٣١٧ — رُبَّ صلفٍ أدّى إلى تيهٍ .

٣١٨ — سوء الخلقِ يُعدي ؛ وذلك أنّه يدعو صاحبك إلى أن يقابلك بمثلِهِ .

٣١٩ — المروءة التّامة مُباينةُ العامةِ .

٣٢٠ — أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداهُ ، وأحسنُ ما في اللئيم أن يكفَّ عنك أذاهُ .

٣٢١ — السفلةُ إذا تعلّموا تكبّروا ، وإذا تموّلوا استطالوا ، والعِليةُ إذا تعلّموا تواضعوا ، وإذا افتقروا صالُوا .

٣٢٢ — ثلاثٌ لا يُستصلحُ فسادُهُنّ بحيلةٍ أصلاً : العداوةُ بين الأقاربِ ، وتحاسدُ الأكفاء ، وركاكةُ الملوكِ .

٣٢٣ — السخيُّ شجاعُ القلبِ ، والبخيلُ شجاعُ الوجهِ .

---

(١) ربما ، أي جمعها .

٣٢٤ — العزلة توفّرُ العرضَ وتسترُ الفاقةَ ، وترفعُ ثقلَ المكافأةِ .

٣٢٥ — ما حسدتُ أحدًا قطُّ إلا أحبَّ الخلوةَ والعزلةَ .

٣٢٦ — خيرُ الناسِ من لم تجرّبْهُ .

٣٢٧ — الكريمُ لا يلينُ على قسرٍ ، ولا يقسو على يسرٍ .

٣٢٨ — المرأةُ إذا أحبتك آذتك وإذا أبغضتك خانتك وربما قتلتك ؛ فحبُّها أذى ، وبغضها داءٌ بلا دواء .

٣٢٩ — المرأةُ تكتمُ الحبَّ أربعين سنةً ، ولا تكتمُ البغضَ ساعةً واحدةً .

٣٣٠ — المُتمنّي كالمختنق ؛ كلَّما ازداد اضطرابًا ازداد اختناقًا .

٣٣١ — كلُّ مالٍ لا ينتقلُ بانتقالك من مكانٍ فهو كعملٍ لك .

٣٣٢ — أجلُّ ما ينزلُ من السماءِ التوفيقُ ، وأجلُّ ما يصعدُ من الأرض الإخلاصُ .

٣٣٣ — اثنان يهونُ عليهما كلُّ شيءٍ : عالمٌ عرفَ العواقبَ ، وجاهلٌ يجهلُ ما هو فيه .

٣٣٤ — شرٌّ من الموتِ ما إذا نزلَ تمنيتَ بنزولِهِ الموتَ ، وخيرٌ من الحياةِ ما إذا فقدته أبغضتَ لفقدِهِ الحياةَ .

٣٣٥ — ما وضعَ أحدٌ يدَهُ في طعامِ أحدٍ إلا ذلَّ له .

٣٣٦ — المرأةُ كالنعلِ يلبسها الرجلُ إذا شاء ، لا إذا شاءتْ .

٣٣٧ — أبصرُ الناسِ لعوارِ الناسِ المعورُ .

٣٣٨ — العجبُ ممن يخافُ عقوبةَ السلطانِ وهي منقطعةٌ ، ولا يخافُ عقوبةَ الديّانِ وهي دائمةٌ .

٣٣٩ — من عرف نفسَهُ فقد عرف ربَّه .

٣٤٠ — من عجز عن معرفةِ نفسِهِ فهو عن معرفة خالقهِ أعجزُ .

٣٤١ — لو تكاشفتم ما تدافنتم .

٣٤٢ — شيطان كلِّ إنسانٍ نفسُهُ .

٣٤٣ — إنْ لمْ تعلمْ من أينَ جئت ، لمْ تَعْلَمْ إلى أيْنَ تذهبُ !

٣٤٤ — غايةُ كلِّ مُتعمِّقٍ في معرفةِ الخالقِ سبحانهُ الاعترافُ بالقصورِ عن إدراكها .

٣٤٥ — الكمالُ في خمس : ألاَّ يعيبَ رجلٌ أحداً بعيبٍ فيه مثلُهُ حتَّى يصلحَ ذلكَ العيبَ مِنْ نفسِهِ ؛ فإنهُ لا يفرغُ مِنْ إصلاحِ عيبٍ من عيوبهِ حتَّى يهجم على آخرَ فتشغله عيوبهُ عن عيوبِ الناس ، وألاَّ يطلقَ لسانه ويدَهُ حتَّى يعلمَ أفي طاعةٍ ذلك أمْ في معصيةٍ ، وألاَّ يلتمسَ مِن النَّاسِ إلاَّ ما يعطيهمْ مِنْ نفسهِ مثلَهُ ، وأنْ يسلمَ من النَّاسِ باستشعارِ مُداراتهمْ وتوفيتهمْ حُقوقهمْ ، وأنْ ينفقَ الفضلَ منْ ماله ، ويمسكَ الفضلَ منْ قولهِ .

٣٤٦ — صديق البخيل مَنْ لمْ يجرِّبْهُ .

٣٤٧ — من الخيط الضعيف يفتَل الحبل الحصيف ، ومن مقدحةٍ[1] صغيرةٍ تحترق مدينةٌ كبيرةٌ ، ومن لَبِنةٍ لَبِنةٍ[2] تُبنى قرْيةٌ حصينةٌ .

٣٤٨ — حُبُّ الدراهمِ مَعذورٌ وإنْ أذلَّتهُ من الدُّنيا ؛ لأنها صانتهُ عن أبناء الدُّنيا .

---

(١) المقدحة : ما يقدح بها النار

(٢) اللبنة : التي يبنى بها

٣٤٩ — عجباً لمن قيل فيه الخيرُ وليس فيه كيف يفرح ! وعجباً لمن قيل فيه الشرُّ وليسَ فيه كيف يغضبُ !

٣٥٠ — ثلاث مُوبقاتٌ : الكِبْرُ فإنه حطَّ إبليس عن مرتبتِهِ ، والحرصُ فإنه أخرج آدم من الجنّةِ ، والحسَدُ فإنهُ دعا ابن آدم إلى قتلِ أخيهِ .

٣٥١ — الفِطامُ عن الحُطامِ شديدٌ[1] .

٣٥٢ — إذا أقبلَتِ الدُّنيا أقبلت على حِمارٍ قَطوفٍ ، وإذا أدبَرَتْ أدبَرَتْ على البُراقِ .

٣٥٣ — أصاب مُتأمِّلٌ أو كاد ، وأخطأ مستعجلٌ أو كاد .

٣٥٤ — سِتّةٌ لا تُخطِئهُمُ الكآبةُ : فقيرٌ حديث عهدٍ بغنًى ، ومُكثِرٌ يخاف على ماله ، وطالبُ مرتبةٍ فوقَ قدرِه ، والحسودُ ، والحقودُ ، ومخالِطُ أهلِ الأدب وليس بأديبٍ .

٣٥٥ — طلَبْتُ الراحة لنفسي فلم أجد شيئاً أروحَ من ترْك مالا يعنيني ، وتوحّشْتُ في البحرِ النافع فلم أرَ وَحشةً أشدّ من قرين السوء ، وشهدتُ الزُّحوفَ[2] ولقيتُ الأقرانَ فلم أرَ قِرناً أغلبَ من المرأةِ ، ونظرتُ إلى كلّ ما يُذِلُّ العزيزَ ويكسِرُهُ ، فلم أرَ شيئاً أذلَّ لهُ ولا أكسرَ من الفاقة .

٣٥٦ — أوّلُ رأيِ العاقلِ آخِرُ رأيِ الجاهلِ .

٣٥٧ — المُسترشِدُ موَقَّى ، والمُحترِسُ مُلقَّى .

٣٥٨ — الحُرُّ عبدٌ ما طمِعَ ، والعبدُ حرٌّ ما قنِعَ

---

(١) ب : « شديد »

(٢) زحف إليه : مشى ومضى ، والزحف : الجيش يمشي إلى العدو

٣٥٩ — ما أحْسَنَ حُسْنَ الظَّنِّ إلا أنَّ فيه العَجْزَ ، وما أقبحَ سوءَ الظَّنِّ إلاَّ أنَّ فيه الحزْمَ !

٣٦٠ — ما الحيلةُ فيما أعْيَى[1] إلا الكفُّ عنه ، ولا الرأى فيما يُنال إلا اليأسُ منه .

٣٦١ — الأحمقُ إذا حدَّث ذَهَل ، وإذا حُدِّث عَجِل ، وإذا حُمِل على القبيح فعل .

٣٦٢ — إثباتُ الحجةِ على الجاهلِ سهلٌ ؛ ولكن إقرارُه بها صعبٌ .

٣٦٣ — كما تُعْرفُ أوانى الفخَّارِ بامتحانها بأصواتها فيُعلَمُ الصَّحيح منها من المكسورِ ، كذلك يُمتحنُ الإنسانُ بمنطقِهِ فيعرفُ ما عندَهُ .

٣٦٤ — احتمالُ الفقرِ أحسنُ من احتمالِ الذُّلِّ ، لأنَّ الصبرَ على الفقرِ قناعةٌ ؛ والصبر على الذل ضَراعةٌ[2] .

٣٦٥ — الدنيا حُلمٌ لا تميلُ إلا إلى أشباهها .

٣٦٦ — السفرُ ميزانُ الأخلاقِ .

٣٦٧ — العقلُ مَلِكٌ والخصالُ رعيَّتُهُ ، فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخللُ إليها .

٣٦٨ — الكذَّابُ يُخيف نفسه وهو آمِنٌ .

٣٦٩ — لولا ثلاثٌ لم يَسْلَ سَبُعٌ : سِلكٌ أدقُّ من سِلكٍ ، ووجهٌ أصْبحُ من وجهٍ ، ولُقمةٌ أسْوَغُ من لُقمةٍ .

٣٧٠ — قد يَحْسُنُ الامتنانُ بالنعمةِ وذلك عند كُفْرانها ، ولولا أن بنى إسرائيل

---

(١) ا : « أعيا » .

(٢) ضرع إليه ضراعة : ذل وخضع .

كفروا النعمة لما قال الله لهم : ﴿ اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾[1] .

٣٧١ — إذا تناهى الهمّ انقطع الدمعُ .

٣٧٢ — إذا ولى صديقك ولاية فأصبته على العشر من صداقته فليس بصاحب سوء .

٣٧٣ — أعجبُ الأشياء بديهة أمنٍ وردت فى مقام خوفٍ .

٣٧٤ — الحرصُ محرمةٌ[2] والجبنُ مقتلةٌ ، وانظر فيمن رأيت وسمعت : أمَنْ قُتلَ فى الحرب مقبلاً أكثر ، أم من قُتل مُدبراً ؟ وانظر : من يطلب بالإجمال والتكرم أحقُّ أن تسخو نفسك له أم من يطلب بالشره والحرص ؟

٣٧٥ — إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليُقدِم به صاحبه على الأمور ، فإن العاقل أبداً متوانٍ مترقب متخوف .

٣٧٦ — عملُ الرجلِ بما يعلمُ أنه خطأ هوى ، والهوى آفة العفافِ ، وتركُ العملِ بما يعلمُ أنه صوابٌ تهاونٌ ، والتهاونُ آفةُ الدينِ ، وإقدامه على ما لا يدرى أصوابٌ هو أم خطأ لجاجٌ ، واللجاجُ آفةُ العقلِ .

٣٧٧ — ضعفُ العقلِ أمانٌ من الغمّ .

٣٧٨ — لا ينبغى للعاقلِ أن يمدح امرأةً حتى تموتَ ، ولا طعاماً حتى يستمرئه ، ولا صديقاً حتى يستقرضه ، وليس من حُسنِ الجوارِ تركُ الأذى ، ولكن حُسنُ الجوارِ الصبرُ على الأذى .

٣٧٩ — لا يتأدبُ العبدُ بالكلامِ إذا وثقَ بأنه لا يُضربُ .

٣٨٠ — الفرقُ بين المؤمنِ والكافرِ الصلاةُ ، فمن تركها وادّعى الإيمان كذّبه فعلُه ، وكان عليه شاهدٌ من نفسِه .

(١) سورة البقرة ١٢٢ (٢) أى سبب حرمان

٣٨١ — منْ خافَ اللهَ خافه كلُّ شيء .

٣٨٢ — منَ النقصِ أنْ يكونَ شفيعُكَ شيئاً خارجاً عن ذاتِكَ وصفاتِكَ .

٣٨٣ — ويلٌ على العبدِ اللئيمِ ، عبدِ بنى وبيعةَ ما نزع به[1] عِرْقُ الشِّرْكِ العبشميّ[2] إلى مساءتى ، وتذكُّرُ دمِ الوليدِ وعتبةَ وشيبةَ أَوْلَى له ؛ واللهِ ليَرينّى فى موقفٍ يسوءه ثم لا يجدُ هناكَ فلاناً وفلاناً — يعنى سالماً مولى حذيفةَ .

٣٨٤ — أنا قاتلُ الأقرانِ ، ومُجدِّلُ الشجعانِ ، أنا الذى فقأتُ عينَ الشِّرْكِ ، وثللْتُ عرشَه ؛ غيرَ مُمْتَنٍّ على اللهِ بجهادى ، ولا مُدِلٍّ إليه بطاعتى ؛ ولكن أُحدِّثُ بنعمةِ ربّى .

٣٨٥ — الصَّوْمُ عبادةٌ بين العبدِ وخالقِه ، لا يطَّلِعُ عليها غيرُه ، وكذلك لا يجازى عنها غيرُه .

٣٨٦ — طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوبِ الناسِ ! طوبى لِمَنْ لا يعرفُ الناسَ ولا يعرِفُهُ الناسُ ! طوبى لمن كان حيٌّ كميِّتٍ، وموجوداً كمعْدومٍ ؛ قد كفى جارَه خيرَه وشرَّهُ ، لا يسألُ عنِ الناسِ ، ولا يسألُ الناسُ عنه .

٣٨٧ — ما السيفُ الصارمُ فى كفِّ الشجاعِ بأعزَّ له من الصِّدْقِ .

٣٨٨ — لا يكنْ فقرُكَ كفراً ، وغناكَ طغياناً .

٣٨٩ — ثمرةُ القناعةِ الرَّاحةُ ، وثمرةُ التَّواضعِ المحبّةُ .

٣٩٠ — الكريمُ يلينُ إذا استُعطِفَ ، واللئيمُ يقسو إذا لوطِفَ .

٣٩١ — أشْكى لعدوِّكَ ألّا تُرِيَهُ أنك اتخذته عدوًّا .

٣٩٢ — عذابانِ لا يأبَهُ الناسُ لهما : السفرُ البعيدُ ، والبناء الكثير .

---

(١) نزع به عرق الشر : جذبه إليه .   (٢) عبشمى ، نسبة إلى عبد شمس

٣٩٣ — ثلاثة يُؤْثِرون المالَ على أنفسهم : تاجر البحر ، وصاحب السلطان ، والمُرْتَشِي في الحكم .

٣٩٤ — أعْجَزُ النَّاسِ مَنْ قَصَّرَ في طلب الصديق ، وأعْجَزُ منه مَنْ وَجَدَهُ فَضَيَّعَه[1] .

٣٩٥ — أشدُّ المشاق وعدُ كذَّابٍ لِحَرِيصٍ .

٣٩٦ — العادات قاهِرَاتٌ ، فمن اعتاد شيئاً في سرّه وخلوته فضحه في جَهْرِهِ وعلانيته .

٣٩٧ — الأخ البارّ مغيضُ الأسرار .

٣٩٨ — عدمُ المعرفة بالكتابة زَمانة خفيّة .

٣٩٩ — قديمُ الحُرْمَةِ وحديثُ التَّوْبَةِ يمحقانِ ما بينهما من الإساءة .

٤٠٠ — رُكوبُ الخيلِ عِزٌّ ، ورُكوبُ البراذينِ لذَّةٌ ، ورُكوبُ البغالِ مَهْرَمَةٌ ، ورُكوبُ الحمرِ مَذَلَّةٌ .

٤٠١ — العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشِيَمُ الرِّجالِ تُعْرَفُ بالولايةِ .

٤٠٢ — قال له قائلٌ : علِّمْنِي الخيرَ ، فقال : هوَ الذُّلُّ ، فاصبِرْ عليه إنِ استطعتَ .

٤٠٣ — قالوا : إنّ فلاناً أفادَ مالاً عظيماً ؛ فهل أفادَ أيّاماً ينفقهُ فيها !

٤٠٤ — عيادةُ النَّوْكَى أشدُّ على المريضِ مِنْ وَجَعِهِ .

٤٠٥ — المريضُ يُعادُ ، والصحيحُ يُزَارُ .

٤٠٦ — الشيء الذي لا يحسُنُ أنْ يُقالَ وإنْ كانَ حقّاً، مدحُ الإنسانِ نفسَهُ .

---

(١) هذه الحكمة ساقطة من ا

٤٠٧ — الشيء الذي لا يُسْتَغنَى عنه بحالٍ من الأحوالِ التوفيقُ .

٤٠٨ — أوسعُ مايكونُ الكريمُ مغفرةً ، إذا ضاقَتْ بالمذنبِ المعذِرَةُ .

٤٠٩ — سترُ ماعاينتَ أحسنُ من إشاعةِ ماظننتَ .

٤١٠ — التكبُّرُ على المتكبِّرينَ هوَ التواضعُ بعينه .

٤١١ — إذا رفعتَ أحداً فوق قدرِهِ فتوقَّعْ منهُ أن يحطَّ منكَ بقدرِ مارفعتَ منه .

٤١٢ — إساءةُ المحسنِ أن يمنعكَ جدواهُ ، وإحسانُ المسيء أن يكفَّ عنكَ أذاهُ .

٤١٣ — اللهمَّ إني أستعديكَ على قريشٍ ؛ فإنهمْ أضمرُوا لرسولكَ صلى الله عليه وآله ضروباً منَ الشَّرِّ والغدرِ ، فعجزوا عنها ؛ وحُلْتَ بينهمْ وبينها ؛ فكانَتِ الوجْبةُ بي ، والدائرةُ عليَّ . اللهمَّ احفَظْ حسناً وحسيناً ، ولا تمكِّن فجرةَ قريشٍ منهما مادمتُ حيَّاً ، فإذا توفَّيتَني فأنتَ الرَّقيبُ عليهمْ ، وأنتَ على كلِّ شيء شهيدٌ .

٤١٤ — قال له قائلٌ : ياأميرَ المؤمنينَ ، أرأيتَ لو كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله تركَ ولداً ذكراً قد بلغَ الحلُمَ ، وآنسَ منه الرشدَ ، أكانَتِ العربُ تسلِّمُ إليه أمرها ؟ قال : لا ، بل كانتْ تقتلُه إن لم يفعلْ مافعلتُ ، إنَّ العربَ كرِهَتْ أمرَ محمدٍ صلى الله عليه وآله وحسدتهُ على ما آتاهُ اللهُ من فضلِهِ ، واستطالتْ أيَّامَهُ حتى قذفَتْ زوجتَهُ ، ونفَّرَتْ به ناقتَهُ ، مع عظيمِ إحسانِه إليها ، وجسيمِ مِنَنِهِ عندها ، وأجمعتْ مُذْ كانَ حيَّاً على صرفِ الأمرِ عن أهلِ بيتِهِ بعدَ موتِهِ ؛ ولولا أنَّ قريشاً جعلَتِ اسمه ذريعةً إلى الرِّياسةِ ، وسُلَّماً إلى العزِّ والإمرةِ ، لما عبدتِ اللهَ بعدَ موتِهِ يوماً واحداً ،

ولارتدّت في حافرتها، وعادَ قارحُها جَذَعاً، وبازلُها [2] بَكراً، ثم فتحَ اللهُ عليها الفُتوحَ، فأثْرتْ بعد الفاقةِ، وتموّلتْ بعدَ الجهدِ والمخمصةِ [3]؛ فحَسُنَ في عيونِها من الإسلامِ ما كان سَمِجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدِّين ما كان مضطرباً، وقالتْ: لولا أنّهُ حقٌّ لما كان كذا؛ ثم نسبتْ تلكَ الفتوحَ إلى آراء وُلاتها، وحُسْنِ تدبيرِ الأمراءِ القائمينَ بها، فتأكّدَ عندَ الناسِ نباهةُ قومٍ وخمولُ آخرين؛ فكنّا نحنُ ممّنْ خَمِلَ ذِكْرُهُ، وخبتْ نارُهُ، وانقطعَ صوتُهُ وصيتُهُ، حتى أكلَ الدَّهرُ علينا وشرِبَ، ومضتِ السُّنونَ والأحقابُ بما فيها، وماتَ كثيرٌ ممن يُعرفُ، ونشأ كثيرٌ ممن لا يُعرَفُ؛ وما عسى أنْ يكونَ الولدُ لو كان! إنّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله لم يُقرّبْني بما تعلمونهُ من القُرْبِ للنسبِ واللُّحْمَةِ، بل للجهادِ والنصيحةِ؛ أفتراهُ لو كان لهُ ولدٌ هل كان يفعلُ ما فعلتُ! وكذاكَ لم يكنْ يُقرّبُ ما قُرِّبتُ، ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحُظوةِ والمنزلةِ، بل للحرمانِ والجفوةِ. اللهمّ إنّكَ تعلمُ أنّي لم أُرِدِ الإمرةَ، ولا علوَّ الملكِ والرياسةِ؛ وإنّما أردْتُ القيامَ بحدودكَ، والأداءَ لشرعكَ، ووضعَ الأمورِ في مواضعِها، وتوفيرَ الحقوقِ على أهلها، والمضيَّ على منهاجِ نبيّكَ، وإرشادَ الضَّالِّ إلى أنوارِ هدايتكَ.

٤١٥ — البِرُّ ما سكنَتْ إليهِ نفسُكَ، واطمأنَّ إليه قلبُكَ؛ والإثمُ ما جالَ في نفسكَ وتردّدَ في صدركَ.

٤١٦ — الزكاةُ نقصٌ في الصورةِ، وزيادةٌ في المعنى.

٤١٧ — ليس الصومُ الإمساكَ عن المأكلِ والمشربِ؛ الصومُ الإمساكُ عَنْ كلِّ ما يكرهُهُ اللهُ سبحانهُ.

---

(٢) البازل: الذي فطر نابه.
(٣) المخمصة: الجوع

٤١٨ — إذا كان الراعي ذئباً ، فالشاة من يحفظها !

٤١٩ — كل شيء يعصيك إذا أعصيته ، إلا الدنيا ، فإنها تطيعك إذا أعصيتها .

٤٢٠ — رب مغبوط بنعمة هي داؤه ، ومرحوم من سقم هو شفاؤه .

٤٢١ — إذا أراد الله أن يسلط على عبد عدواً لا يرحمه سلط عليه حاسداً .

٤٢٢ — شر الدواء للحسد كالصابون للثوب : ينقيه ولكن يخلقه .

٤٢٣ — الحسد خلق دنيء ؛ ومن دناءته أنه موكل بالأقرب فالأقرب .

٤٢٤ — لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نبي الله موسى ؛ وقد سمعتم قوله : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾ (١)

٤٢٥ — أستغفر الله مما أملك ، وأستعطفه فيما لا أملك .

٤٣٦ — إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب ، قعدت وأنت كبير حيث تكره .

٤٣٧ — الولد العاق كالإصبع الزائدة ، إن تركت شانت ، وإن قطعت آلمت .

٤٢٨ — خرج العز والغنى يجولان ، فلقيا القناعة فاستقرا .

٤٢٩ — الصديق نسيب الروح ؛ والأخ نسيب الجسم

٤٣٠ — عزة المؤمن كرم مصرعه ، وعداوته سوء خلق زوجته .

٤٣١ — الوعد وجه والإنجاز محاسنه .

٤٣٢ — أنعم الناس عيشاً من عاش في عيشه غيره .

٤٣٣ — لا تشاتمن أحداً ، ولا ترادن سائلاً ؛ إنما هو كريم تسد خلته ، أو لئيم تشتري عرضك منه .

---

(١) سورة الكهف ٦٦

٤٣٤ — النَّمام سهم قاتلٌ .

٤٣٥ — ثلاثةٌ أشياء لا دوام لها : المال في يَدِ المُبذِّر ، وسحابة الصيف ، وغضب العاشق .

٤٣٦ — الزَّاهد في الدِّينار والدِّرهم أعزُّ منَ الدينار والدرهم .

٤٣٧ — ربَّ حربٍ أُحييَت بلفظةٍ ، وربَّ وُدٍّ غُرِس بلحظة .

٤٣٨ — إذا تزوَّج الرَّجل فقد ركب البحر ، فإن ولِدَ له فقد كُسِرَ به .

٤٣٩ — صلاحُ كلِّ ذي نمطٍ في خلاف ما نشأ عليه .

٤٤٠ — أنعم الناس عيشةً مَن تحلّى بالعفاف ، ورضيَ بالكفافِ[١] ، وتجاوزَ ما يُخاف إلى ما لا يخافُ .

٤٤١ — التَّواضع نعمةٌ لا يفطنُ لها الحاسد

٤٤٢ — ينبغي للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل واللئيم والسفيه ؛ أما الجاهلُ فلا يعرف المعروف ولا يشكر عليه ، وأما اللئيم فأرضٌ سبخة لا تنبتُ ، وأما السفيهُ فيقولُ : إنما أعطاني فَرَقاً من لساني .

٤٤٣ — خير العيش ما لا يُطغيك ، ولا يلهيك .

٤٤٤ — ما ضرب اللهُ العباد بسوط أوجعَ من الفقر .

٤٤٥ — إذا أراد الله أن يزيل عَنْ عبدٍ نعمة كان أول ما يغيِّرُ منه عقْلَهُ .

٤٤٦ — خيرُ الدُّنيا والآخرةِ في خصلتين : الغِنَى والتُّقَى ، وشَرُّ الدُّنيا والآخرة في خصلتين : الفقرِ والفجُورِ .

٤٤٧ — ثمانية إذا أُهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الآتي طعاماً لم يُدْعَ إليه ،

---

(١) الكفاف : القليل

والآمِرُ على ربِّ البيتِ في بيتهِ ، وطالبُ المعروفِ من غيرِ أهلهِ ، والداخلُ بين اثنين لم يدخلاه ، والمستخفُّ بالسلطان ، والجالسُ مجلساً ليس له بأهلٍ ، والمقبلُ بحديثه على مَن لا يسمعهُ ، ومن جرَّب المجرَّب .

٤٤٨ — أنفسُ الأعلاقِ[1] عقلٌ قُرِنَ إليهِ حظٌّ .

٤٤٩ — اللطافةُ في الحاجةِ أجدى من الوسيلة .

٤٥٠ — احتمالُ نَخْوَةِ الشرفِ أشدُّ من احتمالِ بطرِ الغنى ، وذلّةُ الفقرِ مانعةٌ من الصبرِ ، كما أن عزّ الغنى مانعٌ من كرمِ الإنصاف ، إلا لمن كانَ في غريزته فضلُ قوّةٍ ، وأعراقٌ تنازعه إلى بُعد الهمة .

٤٥١ — أسعد الناس سعوداً من كان ورهط صديقٍ يرضاه .

٤٥٢ — استشارةُ الأعداء من باب الخذلانِ .

٤٥٣ — الجاهلُ يُعْرَفُ بستِّ خصالٍ : الغضب من غير شيء ، والكلامِ في غير نفعٍ ، والعطيةِ في غير موضعها ، وألاّ يعرف صديقهُ من عدوّهِ ، وإفشاء السرِّ ، والثقةِ بكلِّ أحدٍ .

٤٥٤ — سوء العادةِ كمينٌ لا يؤمَنُ

٤٥٥ — العادةُ طبيعةٌ ثانيةٌ غالبةٌ

٤٥٦ — التحفّي والودُّ القطيعةِ

٤٥٧ — صديقُكَ مَن نهاك ، وعدوّك من أغراك

٤٥٨ — يا عجبًا من غفلةِ الحسادِ عن سلامةِ الأجسادِ .

٤٥٩ — من سعادةِ المرءِ أن يطول عمرهُ ويرى في أعدائه ما يسرهُ .

٤٦٠ — الضغائن تورثُ كما تورثُ الأموالُ

---

(١) الأعلاق : الأشياء النفيسة القيمة

٤٦١ — رُبَّ عزيزٍ أذلّهُ خُرقُهُ، وذليلٍ أعزّهُ خُلقُهُ.

٤٦٢ — لا يصلحُ اللئيمُ لأحدٍ، ولا يستقيمُ إلا من فَرَقٍ أو حاجةٍ؛ فإذا استغنى أو ذهب خوفُهُ عاد إليه جوهرُهُ.

٤٦٣ — ثلاثةٌ في المجلس وليسوا فيه: الحاقنُ، والضّيقُ الخفِّ، والسيّء الظنِّ بأهلهِ.

٤٦٤ — وسُئِلَ: ما أنقى الأشياء في نفوس الناس؟ فقال: أما في أنفس العُلماء فالنَّدامةُ على الذنوب، وأما في نفوس السفهاء فالحقدُ.

٤٦٥ — إذا انقضى مُلكُ قوم جُبِّنُوا في آرائهم.

٤٦٦ — الضعيفُ المحترس من العدوّ القوى أقربُ إلى السلامةِ من القوى المغترِّ بالعدوّ الضعيفِ.

٤٦٧ — الحزنُ سوءُ استكانةٍ، والغضبُ لؤمُ قدرةٍ.

٤٦٨ — كلُّ ما يؤكلُ يُنتِنُ، وكلُّ ما يوهَبُ يأرَجُ.

٤٦٩ — الطَّرَشُ في الكرامِ، والهوجُ في الطوالِ، والكيسُ في القصارِ، والفتلُ في الرَّبعةِ، وحسن الخلقِ في الحُولِ، والكِبْر في العور، والبَهتُ في العميان، والذكاء في الخُرس.

٤٧٠ — ألأمُ الناسِ مَن سعى بإنسانٍ ضعيفٍ إلى سلطانٍ جائرٍ.

٤٧١ — أعسر الحِيَل تَصْوير الباطلِ في صورة الحقِّ عند العاقلِ المُميِّز.

٤٧٢ — العذْرُ دلٌّ حاضِر، والغِيبَةُ لؤمٌ باطن.

٤٧٣ — العاقل الفارغ يبحث عن السوء والبليد الفارغة سارع إلى الإثم

٤٧٤ — لا كثير مع إسراف، ولا قليل مع احتراف، ولا ذنب مع اعتراف.

٤٧٥ — المتعبدُ على غيرِ فقهٍ كحمارِ الرحا يدور ولا يبرح .

٤٧٦ — المحرومُ من طالَ نصبهُ ، وكان لغيرهِ مكسبهُ .

٤٧٧ — في الاعتبارِ غنًى عن الاختبار .

٤٧٨ — غيظ البخيلِ على الجوادِ أعجبُ من بخلهِ .

٤٧٩ — أذلُّ الناسِ مُعتذرٌ إلى اللئيم .

٤٨٠ — أشجعُ الناسِ أثبتهمْ عقلاً في بداهةِ الخوف .

٤٨١ — المعتذرُ منتصرٌ ، والمعاتِبُ مُغاضِبٌ .

٤٨٢ — المرُوءةُ بلا مالٍ كالأسدِ الذي يُهابُ ولم يفترسْ ، وكالسيفِ الذي يخافُ وهوَ مغمدٌ ؛ والمالُ بلا مُرُوءةٍ كالكلبِ الذي يجتنبُ عقراً ولم يعقرْ .

٤٨٣ — عليكمْ بالأدبِ ، فإن كنتمْ ملوكاً برزتمْ ، وإن كنتمْ وسطاً فقتمْ ، وإن أعوزتكم المعيشةُ عشتمْ بأدبكمْ .

٤٨٤ — الملوكُ حُكّامٌ على الناسِ ، والعلماءُ حُكّامٌ على الملوكِ .

٤٨٥ — لا ينبغي للعاقلِ أن يكونَ إلاّ في إحدى منزلتينِ : إمّا في الغايةِ القصوى مِنْ مطالبِ الدُّنيا ، وإمّا في الغايةِ القصوى من التركِ لها .

٤٨٦ — من أفضلِ أعمالِ البرِّ الجودُ في العسرِ ، والصدقُ في الغضبِ ، والعفوُ عندَ القدرةِ .

٤٨٧ — إنَّ اللهَ أنعمَ على العبادِ بقدرِ قدرتهِ ، وكلفهمْ من الشكرِ بقدرِ قدرتهمْ .

٤٨٨ — العيشُ في ثلاث : صديقٌ لا يعدُّ عليكَ في أيامِ صداقتكَ ما يرمي به أيامَ عداوتكَ ، وزوجةٌ تسرُّكَ إذا دخلتَ عليها وتحفظُ غيبكَ إذا غبتَ عنها ، وغلامٌ يأتي على ما في نفسكَ كأنّهُ قد علمَ ما تريد .

٤٨٩ — تحتاجُ القرابةُ إلى مودّةٍ ولا تحتاجُ المودةُ إلى قرابة .

٤٩٠ — الصابرُ على مخالطةِ الأشرارِ وصحبتهم ، كراكبِ البحرِ إنْ سلمَ ببدنِهِ من التلفِ ، لم يسلم قلبه من الحذرِ .

٤٩١ — لأخيك عليكَ إذا حزبه أمرٌ أن تشير عليه بالرأي ما أطاعكَ ، وتبذلَ له النصرَ إذا عصاكَ .

٤٩٢ — الغيبةُ ربيعُ اللئام .

٤٩٣ — أطولُ الناس نصبًا الحريصُ إذا طمع ، والحقودُ إذا منع .

٤٩٤ — الشريف دُونَ حقّهُ يمتلِ ويعطي نافلةً فوق الحقِّ عليه .

٤٩٥ — احمل عمرَكَ كنفقةٍ دُفعتْ إليك ، فكما لا تحبُّ أنْ يذهبَ ما تنفقُ ضياعاً فلا تذهب عمركَ ضياعاً .

٤٩٦ — منْ أظهر شكركَ فيما لم تأتِ إليه ، فاحذرْ أنْ يكفركَ فيما أسديتَ إليه .

٤٩٧ — لا تستعنْ في حاجتكَ بمن هوُ للمطلوبِ إليه أنصحُ منهُ لكَ .

٤٩٨ — لا يؤمننك من شرِّ جاهلٍ قرابةٌ ولا جوارٌ ، فإنَّ أخوفَ ما تكونُ لحريق النارِ أقربُ ما تكونُ إليها .

٤٩٩ — كنْ في الحرصِ على تفقّدِ عيوبك كعدوّكَ .

٥٠٠ — عليكَ بسوءِ الظنِّ ، فإنْ أصاب فالحزم وإلا فالسلامةُ .

٥٠١ — رضا الناسِ غايةٌ لا تدركُ ، فتحرَّ الخيرَ بجهدِكَ ، ولا تبالِ سخط من يرضيه الباطلُ .

٥٠٢ — لا تماكِسْ في البيع والشراء : فما يصيعُ من عرضِك أكثرُ مما تنالُ من عرَضِك .

٥٠٣ — الدَّيْنُ رِقٌّ فلا تبذلْ رِقَّكَ لِمَنْ لا يعرفُ حقَّك .

٥٠٤ — احذرْ كلَّ الحذرِ أن يخدعكَ الشيطان فيمثّل لكَ التواني في صُورَةِ التَّوَكُّل ، ويورثك الهوينى بالإحالة على القَدَرِ : فإن اللهَ أمر بالتوكّلِ عند انقطاع الحِيَل ، وبالتسليم للقضاء بعد الإعذار ، فقال : ﴿ خذُوا حِذْرَكُم[1] ﴾ ، ﴿ ولا تُلقُوا بأيديكم إلى التَّهْلُكَةِ[2] ﴾ ، وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله : «اعقِلْها وتوكل» .

٥٠٥ — لا تصحب في السفر غنِيًّا : فإنكَ إنْ ساوَيْتَهُ في الإنفاق أضرَّ بِكَ ، وإنْ تفضّلَ عليكَ استذلّكَ .

٥٠٦ — إذا سألت كريمًا حاجةً فدعه يفكر ، فإنه لا يفكر إلا في خير ؛ وإذا سألتَ لئيمًا حاجةً فعاجِلْه[3] فإنه إذا[4] فكّر عادَ إلى طبعِهِ .

٥٠٧ — ما أقبح بالصّبيح الوجهِ أنْ يكون جاهِلاً ! كدارٍ حسنةِ البناء وساكنها شرٌّ ، وكجنة يعمرها بُومٌ ، أو صِرْمَةٍ يحرسها ذِئْبٌ .

٥٠٨ — قبيح بذي العقل أنْ يكون بهيمةً وقد أمكنه أن يكون إنسانًا ، وأن يكون إنسانًا وقد أمكنهُ أن يكون ملَكًا ، وأن يرضى لنفسه بقُنْيَةٍ مُعارةٍ وحياةٍ مُسْتَرَدَّةٍ ؛ وله أن يتعمد قُنْيَةً مخلدةً وحياة مؤبَّدةً .

٥٠٩ — الذي يَستحِقُّ اسْم السعادة على الحقيقة سعادة الآخرة ، وهي أربعة أنواع : بقاء بلا فناء ؛ وعلم بلا جهل ، وقُدْرة بلا عجزٍ ، وغنًى بلا فقرٍ .

---

(١) سورة النساء ٧١
(٢) سورة البقرة ١٩٥
(٣) عاجله : أي أخذه على غرة
(٤) ت : « إن أفكر »

٥١٠ — ما خاب مَن استخارَ

٥١١ — الدِّينُ قد كُشف عن غِطاء قلبه ، يرَى مطلوبَه قد طبق الخافقين فلا يقعُ بصَرُهُ على شيء إلاَّ رآهُ فيه .

٥١٢ — من غرَس النخل أكلَ الرُّطب ، ومَن غرس الضَّعاف والضِّيق عدِم ثمرته ، وذهبَتْ ضياعاً خدمته .

٥١٣ — إذا أردْتَ العلم والخير فانفض عن يدك أداة الجهل والشرّ ، فإنّ الصائغ لا يتهيَّأ له الصِّياغة إلاَّ إذا ألقى أداةَ الفلاحة عن يده .

٥١٤ — الصبر مِفتاحُ الفرَج .

٥١٥ — غاية كلِّ متعمِّق في علمنا أن يجهل

٥١٦ — ستعرف الحال على حقيقتها ؛ ولكن حيثُ لا تستطيع أن تذاكر أحداً بها .

٥١٧ — السعادة التامّة بالعلم ، والسعادة الناقصة بالزهد ، والعبادةُ من غير علم ولا زهادة تعب الجسد .

٥١٨ — الآمال مطايا ؛ وربما حَسِرتْ ، ونفقَت أحمالها .

٥١٩ — حبُّ الرياسةِ شاغلٌ عن حبِّ الله سبحانه

٥٢٠ — يا أبا عبيدة ، طال عليك العهدُ فنسيت أم تناسَيْت فأنسيت ! لقد سمعتَها ووعيتَها فهلاّ رعيتَها !

٥٢١ — قال لمَّا سمعتُ خطبةَ عمرَ بالمدينة التي شرح فيها قصة السقيفة : معذرةٌ وربَّ الكعبة ؛ ولكن بعد ماذا ! هيهات علقت معاقِيها ، وضرَّ الحَذَرُ .

٥٢٢ — أوّلُ مَن جرّأ الناسَ علينا سعدُ بنُ عبادة ؛ فتح باباً ولجَــهُ

غيرُهُ ، وأصرمَ ناراً كان لَهبُها عليه ، وضوءها لأعدائه .

٥٢٣ — مالك وقُريش ! يخضمون الدنيا باسمنا ويطئون على رقابنا؛ فيا لله وللعجب! من اسم جليلٍ يُسَمَّى ذليل .

٥٢٤ — الخيرُ كلُّه في السيفِ ، وما قام هذا الدِّينُ إلاّ بالسيف : أتعلمون ما معنى قَوْلِه تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ﴾ ؟ هذا هو السيفُ .

٥٢٥ — لم يمتْ مَن لم يَمُتْ

٥٢٦ — مَن فسدت بطانتُهُ كان كمن غَصَّ بالماء ، فإنه لو غَصَّ بغيرِه لأساغ الماء غُصّتَهُ

٥٢٧ — مَن ضنَّ بعرضِه فليدَعِ المِرَاء

٥٢٨ — مَن أيقظ فتنةً فهو آكلُها .

٥٢٩ — مَن أثرى كَرُم على أهله، ومَن أملق هان على وَلَدِهِ .

٥٣٠ — مَن أمَلَ أحداً هابَهُ ، ومَن جهل شيئاً عابَهُ .

٥٣١ — أسوأُ الناس حالا مَن لا يثقُ بأحد لِسُوء ظنه ، ولا يثقُ بِهِ أحدٌ لِسُوء أثرِهِ .

٥٣٢ — أحبُّ النَّاس إليك مَن كثُرَتْ أياديه عندك ، فإن لم تـكن فمن كثرت أياديك عندهُ .

٥٣٣ — من طال صمتُهُ اجتلب من الهيبةِ ما ينفعهُ ، ومن الوَحشةِ ما لا يضُرُّهُ .

٥٣٤ — مَن زاد عقلُه نقص حظُّهُ ، وما جعل اللهُ لأحدٍ عقلا وافراً إلاّ احتُسب بِهِ عليه من رزقِهِ .

٥٣٥ — مَن عمل بالعَدْل فيمَنْ دُونه رُزِق العدْل ممّنْ فوقه .

٥٣٦ — مَن طَلَبَ عِزًّا بِظُلْمٍ وبَاطِلٍ أَوْرَثَهُ اللهُ ذُلًّا بإنصافٍ وحقٍّ .

٥٣٧ — من وَطِئَتْهُ الأعينُ ، وطِئَتْهُ الأرجُلُ .

٥٣٨ — ينادي مُنادٍ يوْمَ القيامَةِ : مَن كانَ له أجرٌ على اللهِ فليقُمْ ، فيقُومُ العافون عن الناس ، ثم تلا : ﴿ فمَنْ عفا وأصْلَحَ فأجْرُهُ على اللهِ ﴾ .

٥٣٩ — اصْحَبِ الناسَ بأيِّ خُلُقٍ شِئْتَ يَصْحَبُوكَ بمثلِهِ .

٥٤٠ — كأنك بالدُّنيا لم تكُنْ ، وكأنك بالآخرةِ لم تزَلْ .

٥٤١ — قال لِمريضٍ أبَلَّ مِن مَرَضِهِ : إن اللهَ ذكرك فاذْكُرْهُ ، وأقالَكَ فاشْكُرْهُ .

٥٤٢ — الدُّنيا دارُ مَن لا دارَ له ، وبها يفرحُ مَن لا عقلَ له ، فأنزِلُوها منزِلَتَها .

٥٤٣ — لا تَسْتَصْغِرَنَّ أمرَ عدُوِّكَ إذا حارَبْتَهُ ؛ فإنك إن ظفرت به لم تُحْمَدْ ، وإن ظفر بك لم تُعْذَرْ ؛ والضعيفُ المحترِسُ من العدوِّ القوِيِّ أقربُ إلى السلامةِ من القويِّ المُغترِّ بالضعيفِ .

٥٤٤ — لا تَصْحَبْ مَن تحتاجُ إلى أن تكتُمَهُ ما يعرِفُ اللهُ منك .

٥٤٥ — لا تسألْ غيرَ اللهِ ؛ فإنه إن أعطاك أغناك .

٥٤٦ — الصَّاحِبُ كالرُّقْعَةِ في الثَّوْبِ ، فاتَّخِذْهُ مُشاكِلاً .

٥٤٧ — إيَّاكَ وكَثْرَةَ الإخوانِ ؛ فإنه لا يُؤْذِيكَ إلا مَن يعرِفُكَ .

٥٤٨ — دَعِ اليمينَ للهِ إجلالاً ، وللناسِ جمالاً .

٥٤٩ — العاداتُ قاهِراتٌ ، فمَنِ اعتادَ شيئًا في سِرِّهِ فَضَحَهُ في علانيتِهِ .

٥٥٠ — إذا كان لك صديقٌ ولم تحمد إخاءهُ ومودَّتَهُ فلا تُظْهِرْ ذلكَ للناسِ ؛ فإنما هو بمنزلةِ السَّيفِ الكليلِ في منزِلِ الرَّجُلِ ، يُرْهِبُ بِهِ عدُوَّهُ ، ولا يعلَمُ العدُوُّ أصارِمٌ هو أم كليلٌ !

٥٥١ — دَعِ الذنوبَ قبل أن تَدَعَك .

٥٥٢ — إذا نزل بك مكروهٌ فانظرْ ؛ فإن كان لك حيلةٌ فلا تَعجز ، وإن لم يكن فيه حيلة فلا تجزع .

٥٥٣ — تعلَّموا العلمَ ، فإنه زينٌ للغنيّ وعونٌ للفقير ، ولستُ أقول إنّه يُطلَب به ، ولكن يدعوه إلى القناعة .

٥٥٤ — لا ترضَيَنَّ قولَ أحدٍ حتّى ترضى فعلَه ، ولا ترضَ فعلَه حتى ترضى عقلَه ، ولا ترضَ عقلَه حتى ترضى حياءَه ؛ فإن الإنسان مطبوعٌ على كرمٍ ولُؤمٍ ؛ فإن قَوِيَ الحياء عنده قَوِيَ الكرمُ ، وإن ضعُف الحياء قَوِيَ اللُّؤمُ .

٥٥٥ — تعلَّموا العلمَ وإن لم تنالوا به حظًّا ؛ فلأن يذُمّ الزمانُ لكم أحسن من أن يذُمّ بكم .

٥٥٦ — اجعل سِرَّك إلى واحد ، ومشورتَك إلى ألف .

٥٥٧ — إن الله خلق النساء من عِيٍّ وعورةٍ ، فداوُوا عِيَّهنّ بالسكوت ، واستُروا العورةَ بالبيوت .

٥٥٨ — لا تَمُدَّنّ عِدَةً لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرَّنّك المُرتقَى السهلُ إذا كان المُنحدَرُ وعرًا . واعلم أن للأعمال جزاءً فاتّقِ العواقب ، وأن للأمور بغتاتٍ فكن على حذرٍ .

٥٥٩ — لا تجاهِدِ الطلبَ جهادَ مُغالِب ، ولا تتَّكِلْ على القدَر اتّكالَ المستسلم ؛ فإنّ ابتغاء الفضل من السُّنّة ، والإجمالَ في الطلب من العِفّة ؛ وليست العِفّةُ بدافعةٍ رزقًا ، ولا الحرص بجالبٍ فضلاً .

٥٦٠ — مَن لم تستقمْ له همّتُه ، فلا تأمَنْ من لم يستقِمْ له .

٥٦١ — من رُجِيَ الرزقُ لديه صُرِفت أعناقُ الرجال إليه

٥٦٢ — من انتجعك مؤمِّلاً فقد أسلفك حُسْنَ الظن.

٥٦٣ — إذا شئت أن تُطاعَ فاسألْ ما يُستطاعُ.

٥٦٤ — من أعذر كمن أنجح.

٥٦٥ — مَنْ كانت الدنيا همَّهُ كثُرَ في القيامة غمُّهُ

٥٦٦ — من أجمل في الطلب أتاهُ رزقُهُ من حيثُ لا يحتسبُ

٥٦٧ — مَن ركِب العجلة لم يأمن الكبوة.

٥٦٨ — مَن لم يثق لم يُوثَقْ به.

٥٦٩ — مَن أفاده الدهرُ أفادَ منه(1).

٥٧٠ — من أكثرَ ذِكْرَ الضغائنِ اكتسب العداوة.

٥٧١ — من لم يحمدْ صاحبَهُ على حسن النيَّة لم يحمدْهُ على حسنِ الصنيعةِ

٥٧٢ — تأمَّلْ ما تتحدَّثُ به، فإنما تُملي على كاتبيكَ صحيفةً يوصلانها إلى ربِّك، فانظرْ على من تُملي، وإلى من تكتبُ

٥٧٣ — أقمِ الرغبةَ إليكَ مقامَ الحرمةِ بك، وعظِّمْ نفسكَ عن التعظُّمِ، وتطوَّلْ ولا تتطاولْ.

٥٧٤ — عاملوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضَةِ، والأوساطَ بالرغبةِ والرهبةِ، والسفلةَ بالهوانِ.

٥٧٥ — كنْ للعدوِّ المكاتمِ أشدَّ حذراً منكَ للعدوِّ المبارزِ.

٥٧٦ — احفظْ شيئكَ ممَّن تستحي أنْ تسألَهُ عنْ مثلِ ذلكَ الشيءِ إذا ضاعَ لكَ.

---

(1) أفاد، أي استفاد

٥٧٧ — إذا كنتَ في مجلسٍ ولم تكن المحدِّثَ ولا المحدَّثَ فقمْ .

٥٧٨ — لا تستصغرنَّ حدثاً[1] من قريش ، ولا صغيراً من الكُتّاب ؛ ولا صعلوكاً من الفرسان ؛ ولا تصدقنَّ ذميّاً ولا خصيّاً ولا مؤنثاً ، فلا ثبات لمودّاتهم .

٥٧٩ — لا تدخلنَّ في مشورتك بخيلاً فيقصّرَ بفعلك ، ولا جباناً فيخوفَك ما لا تخافُ ، ولا حريصاً فيعدَك ما لا يُرجى ؛ فإنّ الجبنَ والبُخلَ والحرصَ طبيعة واحدة ؛ يجمعها سوء الظنّ بالله تعالى .

٥٨٠ — لا تكن ممن يغلب نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن .

٥٨١ — اعصِ هواك والنساء وافعلْ ما بدا لك .

٥٨٢ — ما كنتَ كاتمهُ من عدوك فلا تظهرْ عليه صديقك .

٥٨٣ — كلْ من الطعام ما تشتهي ، والبسْ من الثياب ما يشتهي الناسُ .

٥٨٤ — ولتكن دارك أوّلَ ما تبتاعُ وآخرَ ما تبيعُ .

٥٨٥ — من كانَ في يدهِ شيءٌ من رزق الله سبحانه فليصلحهُ ؛ فإنكم في زمانٍ إذا احتاج المرءُ فيه إلى الناسِ كانَ أوّلَ ما يبذلهُ لهم دينهُ .

٥٨٦ — ابذلْ لصديقك مالكَ ، ولمعرفتك رِفدَك ومحضرَكَ ؛ وللعامةِ بِشرَكَ وتحنُّنكَ ، ولعدوك عدلَكَ وإنصافك ، واضننْ بدينكَ وعرضِك عن كلّ أحد .

٥٨٧ — جالس العقلاء أعداء كانوا أو أصدقاء ؛ فإن العقل يقع على العقل .

٥٨٨ — كنْ في الحرب بحيلتكَ أوثقَ منك بشدتك ، وبحذرِك أفرحَ منك بنجدتك ؛ فإن الحربَ حربُ المتهوّرِ وغنيمةُ المتحذّرِ .

٥٨٩ — النعمُ وحشيّةٌ فقيدوها بالمعروف .

---

(١) حدثاً : أي صغير السن .

٥٩٠ — إذا أخطأتكَ الصنيعةُ إلى من يتقي الله فاصنعها إلى من يتقي العارَ .

٥٩١ — لا تشتغلْ بالرزقِ المضمونِ عن العملِ المفروضِ .

٥٩٢ — إذا أكرمكَ الناسُ لمالٍ أو سلطانٍ فلا يعجبنَّكَ ذاكَ ، فإنَّ زوالَ الكرامةِ بزوالهما ، ولكنْ ليُعجبك إنْ أكرمكَ الناسُ لدينٍ أو أدبٍ .

٥٩٣ — يكفي لمنْ لم يُكرمْ وجهه عنْ مسألتكَ أنْ تُكرمَ وجهكَ عن ردِّهِ .

٥٩٤ — إيَّاكَ ومشاورةَ النساء ؛ فإنَّ رأيهُنَّ إلى أفنٍ ، وعزمهُنَّ إلى وهنٍ ، واكففْ من أبصارِهنَّ بحجابكَ إيَّاهُنَّ ، فإنَّ شدَّةَ الحجابِ خيرٌ لكَ من الارتيابِ ، وليسَ خروجهُنَّ بأشدَّ عليكَ منْ دخولِ منْ لا تثقُ به عليهنَّ ؛ وإن استطعتَ ألا يعرفْنَ غيركَ فافعلْ ؛ ولا تملكِ المرأةَ من الأمرِ ما جاوزَ نفسها ؛ فإنَّ ذلكَ أنعمُ لبالها ، وأرخى لحالها ؛ وإنَّ المرأةَ ريحانةٌ وليستْ بقهرمانةٍ ؛ فلا تعدُ بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها أن تشفعَ لغيرها ؛ ولا تُطِلِ الخلوةَ معهنَّ فيمللنكَ ، وتملَّهُنَّ ، واستبقِ من نفسكَ بقيَّةً ؛ فإنَّ إمساككَ عنهُنَّ وهُنَّ يرينكَ ذاكَ باقتدارٍ خيرٌ من أنْ يهجمْنَ منكَ على انكسارٍ . وإيَّاكَ والتغايُرَ في غيرِ موضعِ الغيرةِ ، فإنَّ ذلكَ يدعو الصحيحةَ منهُنَّ إلى السَّقمِ .

٥٩٥ — إذا أردتَ أنْ تختمَ على كتابٍ ، فأعدِ النظرَ فيهِ ؛ فإنَّما تختمُ على عقلِكَ .

٥٩٦ — إنَّ يومَهُ أسكرَ الكبارَ ، وشيَّبَ الصغارَ لشديدٌ .

٥٩٧ — كمْ منْ مُتردٍّ لهُ الماءُ والحَيْنُ يغلي لهُ .

٥٩٨ — الصلاةُ صابونُ الخطايا .

٥٩٩ — إنَّ امرأً عرفَ حقيقةَ الأمرِ ، وزهدَ فيهِ لأحمقُ ، وإنَّ امرأً جهلَ حقيقةَ الأمرِ مع وضوحهِ لجاهلٌ .

٦٠٠ — إذا قالَ أحدكم: واللهِ، فلينظرْ مايضيفُ إليها.

٦٠١ — رأيُكَ لا يتّسعُ لِكلِّ شيءٍ ففرّغْهُ للمهمّ من أمورِكَ، ومالُكَ لا يُغني النّاسَ كلَّهُمْ فاخصُصْ به أهلَ الحقّ، وكرامتُكَ لا تطيقُ بذلَها في العامّةِ فتوخَّ بها أهلَ الفضلِ؛ وليلُكَ ونهارُكَ لا يستوعِبانِ حوائجَكَ فأحسنِ القِسمةَ بينَ عملِكَ ودَعَتِكَ.

٦٠٢ — أحيِ المعروفَ بإماتتِهِ.

٦٠٣ — اصحبوا منْ يذكُرُ إحسانَكُمْ إليهِ، وينسى أياديَهُ عندَكُم.

٦٠٤ — جاهِدُوا أهواءَكم كما تجاهِدُونَ أعداءَكم.

٦٠٥ — إذا رغبتَ في المكارمِ فاجتنبِ المحارمَ.

٦٠٦ — لا تثقْ كلَّ الثقةِ بأخيكَ، فإنّ صُرْعَةَ الاسترسالِ لا تقالُ.

٦٠٧ — انتقمْ من الحرصِ بالقناعةِ، كما تنتقمُ من العدوّ بالقصاصِ.

٦٠٨ — إذا قصُرَتْ يدُكَ عن المكافأةِ فليطلْ لسانُكَ بالشكرِ.

٦٠٩ — منْ لمْ ينشطْ لحديثِكَ فارفعْ عنهُ مؤونةَ الاستماعِ منكَ.

٦١٠ — الزمانُ ذُو ألوانٍ، ومنْ يصحبِ الزّمانَ يرَ الهوانَ.

٦١١ — لا تزهَدَنّ في معروفٍ، فإنّ الدّهرَ ذو صُرُوفٍ؛ كم من راغبٍ أصبحَ مرغوبًا إليهِ، ومتبوعٍ أمسى تابعاً.

٦١٢ — إن عاشتَ يومًا على البلى فلا تُمسِنّ على الحياةِ على كلِّ حالٍ.

٦١٣ — كُنْ أحسنَ ماتكونُ في الظاهرِ حالاً أقلَّ ماتكونُ في الباطنِ مالًا.

٦١٤ — لا تكوننّ المحدّثَ منْ لا يسمعُ منهُ، والدّاخلَ في سرِّ اثنينِ لم يدْخلاهُ

فيهِ ، ولا الآتى وليمةً لم يُدْعَ إليها ، ولا الجالسُ فى مجلسٍ لا يستحقُّهُ ، ولا طالبُ الفضلِ من أيدى اللئامِ ، ولا المتحمّقُ فى مداعبةٍ ، ولا المتعرِّضُ للخيرِ من عندِ العدوِّ .

٦١٥ — اطبعِ الطينَ مادامَ رطباً ، واغرسِ العودَ مادامَ لدْناً .

٦١٦ — خَفِ اللهَ حتى كأنَّكَ لم تُطِعْهُ ، وارجُ اللهَ حتى كأنَّكَ لم تعصِهِ .

٦١٧ — لا تمنعْ فى سلامتِكَ على إخوانِكَ حسدَ الحُماقى ، ولا تقصُرْهُمْ عن درجةِ الاستحقاقِ .

٦١٨ — انصحْ لكلِّ مستشيرٍ ، ولا تستشِرْ إلا الناصحَ اللبيبَ .

٦١٩ — ما أقبحَ بكَ أن ينادى عداً يا أهلَ خطيئةِ كذا ؛ فتقومَ معهم ، ثم ينادى ثانياً : يا أهلَ خطيئةِ كذا ، فتقومَ معهم ، ما أراكَ يا مسكينُ إلا تقومُ معَ أهلِ كلِّ خطيئةٍ !

٦٢٠ — ما أصابَ أحدٌ دماً ليلاً إلا أصبحَ وعليهِ مَذَلَّتُهُ .

٦٢١ — الاستغفارُ يحُتُّ الذنوبَ حَتَّ الورقِ ، ثم تلا قولهُ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [١] .

٦٢٢ — أيُّها المستكثِرُ من الذنوبِ ، إنَّ أباكَ أُخرجَ من الجنةِ بذنبٍ واحدٍ .

٦٢٣ — إذا عصى الربَّ من يعرفهُ سلّطَ عليهِ من لا يعرفهُ .

٦٢٤ — لقاءُ أهلِ الخيرِ عمارةُ القلوبِ .

٦٢٥ — أنا من رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم كالعضدِ من المنكبِ ، وكالذراعِ

---

(١) سورة النساء : ١١٠ .

منَ العَضُدِ ، وكالكَفِّ منَ الذراعِ ؛ ربَّاني صغيراً ، وآخاني كبيراً ؛ ولقدْ علِمتُمْ أنّي كانَ لي منهُ مجلسُ سِرٍّ لا يطّلعُ عليه غيري ، وأنّهُ أوصَى إليَّ دونَ أصحابِهِ وأهلِ بيتِهِ ؛ ولأقولنَّ مالمْ أقلْهُ لأحدٍ قبلَ هذا اليومِ ، سألتُهُ مرّةً أنْ يدعُوَ لي بالمغفرةِ فقال : أفعلُ ، ثمَّ قامَ فصلَّى ؛ فلمَّا رفعَ يدهُ للدُّعاءِ استمعتُ عليه ، فإذا هوَ قائلٌ : اللّهمَّ بحقِّ عليٍّ عندكَ اغفرْ لعليٍّ ؛ فقلتُ : يارسولَ اللهِ ، ماهذا ؟ فقال : أوَاحِدٌ أكرمُ منكَ عليهِ فأستشفِعَ بهِ إليه !

٦٢٦ — واللهِ ماقلعتُ بابَ خيبرَ ، ودكدكتُ[1] حِصنَ يهودٍ بقوّةٍ جسمانيّةٍ بل بقوّةٍ إلهيّةٍ .

٦٢٧ — يابنَ عوفٍ ، كيفَ رأيتَ صنيعكَ مع عثمانَ ؟ ربَّ واثقٍ خجِلَ ، ومَنْ لمْ يتوخَّ بعملِهِ وجهَ اللهِ عادَ مادِحُهُ منَ الناسِ لهُ ذامًّا .

٦٢٨ — لو رأيتَ ما في ميزانِكَ لختمتَ على لسانِكَ .

٦٢٩ — ليس الحلمُ ما كانَ حالَ الرِّضا ، بل الحلمُ ما كانَ حالَ الغضبِ .

٦٣٠ — ليس شيءٌ أقطعَ لظهرِ إبليسَ منْ قولِ : لا إلهَ إلّا اللهُ ، كلمةُ التقوى .

٦٣١ — لا تحملوا ذنوبَكمْ وخطاياكمْ على اللهِ ، وتدرَّؤوا أنفسَكمْ والشيطانَ .

٦٣٢ — إنَّ أخوفَ على هذهِ الأمّةِ منَ الدجّالِ ، أئمةٌ مضلّونَ وهُمْ رؤساءُ أهلِ البدعِ .

٦٣٣ — إذا زللتَ فارجعْ ، وإذا ندمتَ فأقلعْ ، وإذا أسأتَ فاندمْ ؛ وإذا مننتَ فاكتمْ ، وإذا منعتَ فأجملْ ، ومنْ يفعلِ المعروفَ يكنْ ربحهُ الحمدَ .

---

(١) دكدكه الحصن : هدمه .

٦٣٤ — استشرْ عدوَّكَ تجربةً لتعلمَ مقدارَ عداوتِهِ .

٦٣٥ لا تطلبَنَّ من عندكَ العامَ ماوعدتَكَ عاماً أوّلَ .

٦٣٦ أطولُ الناس عُمُراً من كثُرَ عدهُ ، فتأدّبَ به مَنْ بعدهُ ، أو كثُرَ معروفُهُ فشرُفَ به عقِبُهُ .

٦٣٧ — استهينوا بالموت فإنّ مرارتهُ في خوفِهِ .

٦٣٨ لادينَ لمنْ لا نيّةَ لهُ ، ولا مالَ لمنْ لا تدبيرَ لهُ ، ولا عيشَ لِمَنْ لا رِفقَ لهُ .

٦٣٩ مَنِ اشتغلَ بتعقُّدِ اللفظِ ، وطلبِ السَّجعةِ [١]، نسيَ الحجّةَ .

٦٤٠ — الدُّنيا مطيّةُ المؤمنِ ، عليها يرتحلُ إلى ربِّهِ ، فأصلحوا مطاياكُمْ تُبلغكُمْ إلى ربِّكُمْ

٦٤١ من رأى أنهُ مسيءٌ فهو محسنٌ ، ومن رأى أنهُ محسنٌ فهو مسيءٌ .

٦٤٢ — سيِّئةٌ تسوءكَ خيرٌ من حسنةٍ تعجبُكَ

٦٤٣ — اطلبوا الحاجاتِ بعزّةِ الأنفُسِ ؛ فإنّ بيدِ اللهِ قضاءها .

٦٤٤ — عذِّبْ حُسّادَكَ بالإحسانِ إليهمْ .

٦٤٥ — إظهارُ الفاقةِ من خمولِ الهمّةِ .

٦٤٦ — ياعالِمُ ، قد قامَ عليكَ حجّةُ العِلمِ ، فاستيقظْ من رقدتِكَ .

٦٤٧ — الرِّفقُ يفلُّ حدَّ المخالفةِ .

٦٤٨ — أرْجحُ الناسِ عقلاً ، وأكملُهمْ فضلاً من صحبَ أيّامَهُ بالموادعةِ ، وإخوانَه بالمسالمةِ ، وقبِلَ من الزمانِ عفوَهُ .

---

(١) أي من طلب تزيين الكلام

٦٤٩ — الوُجُوهُ إذا كثُرَ تقابلُها، اعتصرَ بعضُها ماءَ بعضٍ.

٦٥٠ — أداءُ الأمانةِ مِفتاحُ الرِّزْقِ.

٦٥١ — حَصِّنْ عِلْمَكَ مِنَ العُجْبِ، ووقارَكَ من الكِبْرِ، وعطاءَكَ مِنَ السَّرَفِ، وصرامتَكَ مِنَ العجلةِ، وعقوبتَكَ مِنَ الإفراطِ، وعَفْوَكَ مِنْ تعطيلِ الحدودِ، وصَمْتَكَ مِنَ العِيِّ، واستماعَكَ مِنْ سُوءِ الفهمِ، واستئناسَكَ مِنَ البَذاءِ، وخَلَواتِكَ مِنَ الإضاعةِ، وعَزَماتِكَ مِنَ اللجاجةِ، ورَوعاتِكَ مِنَ الاستسلامِ، وحَذَراتِكَ مِنَ الجُبْنِ.

٦٥٢ — لا تجدُ لسرٍّ مستورٍ محفوظٍ أماناً مِنْ أداءٍ أوثقَ مِنَ الصدِّ عنه، والاحتراسِ.

٦٥٣ — احذرْ مِنْ أصحابِكَ وعاملتِكَ الكثيرَ السؤالةِ، الحسنَ البحثِ، اللطيفَ الاستدراجِ، الذي يحفظُ أوَّلَ كلامِكَ على آخرِهِ، ويعتبرُ ما أخَّرْتَ بما قدَّمْتَ، ولا تُظهِرَنَّ له المخافةَ فيرى أنكَ قد تحرَّزْتَ وتحفَّظْتَ. واعلمْ أنَّ مِنْ يقظةِ الفطنةِ إظهارَ الغفلةِ مع شدَّةِ الحذرِ، فخالِطْ هذا مخالطةَ الآمنِ، وتحفَّظْ منهُ تحفُّظَ الخائفِ؛ فإنَّ البحثَ يُظهِرُ الخفيَّ، ويُبدي المستورَ الكامنَ.

٦٥٤ — مَنْ سَرَّهُ الغِنى بلا سعيٍ، والكثرةُ بلا عشيرةٍ، فليخرجْ مِنْ ذُلِّ معصيةِ اللهِ إلى عزِّ طاعتِهِ؛ فإنهُ واجدٌ ذلكَ كلَّه.

٦٥٥ — الشَّيْبُ إعذارُ الموتِ.

٦٥٦ — مَنْ ساسَ نفسَهُ بالصبرِ على جهلِ الناسِ صلَحَ أنْ يكونَ سائساً.

٦٥٧ — للهِ تعالى كلَّ لحظةٍ ثلاثةُ عساكرَ: عسكرٌ ينزلُ مِنَ الأصلابِ إلى الأرحامِ، وعسكرٌ يبرزُ مِنَ الأرحامِ إلى الأرضِ، وعسكرٌ يرتحلُ من الدُّنيا إلى الآخرةِ.

٦٥٨ — اللّهمَّ ارحمني رحمةَ الغفرانِ ، إنْ لمْ ترحمني رحمةَ الرضا .

٦٥٩ — إلهي كيفَ لا يحسنُ منّي الظنُّ ؛ وقد حسُنَ منكَ المنُّ ! إلهي إنْ عاملتنا بعدْلِكَ لمْ يبقَ لنا حسنةٌ ، وإنْ أنلتنا فضلكَ لمْ تبقَ لنا سيِّئةٌ .

٦٦٠ — العلمُ سُلطانٌ ، منْ وجدهُ صالَ به ، ومنْ لم يجدْهُ صِيلَ عليه .

٦٦١ — يابنَ آدمَ إنّما أنتَ أيّامٌ مجموعةٌ ؛ فإذا مضى يومٌ مضى بعضُكَ .

٦٦٢ — حيثُ تكونُ الحكمةُ تكونُ خشيةُ اللهِ ، وحيثُ تكونُ خشيتهُ تكونُ رحمتهُ

٦٦٣ — اللّهمَّ إنّي أرَى لديَّ منْ عصيتُ مالمْ أخشَ ، فعلمتُ أنَّ لديكَ من الرحمة مالا أعلمُ ، فصغرتْ قيمةُ مطلبي فيما طلبتُ ، وقصرتْ غايةُ أملي عندما رجوتُ ، فإنْ أخطأتُ في سُؤالي فسياقي إلى ماعندكَ ، وإنْ قصَّرتُ في دعائي فبما عوَّدتَني من ابتدائكَ .

٦٦٤ — منْ كانَ همَّتُهُ ما يدخُلُ جوفَهُ كانتْ قيمتُهُ مايخرجُ منهُ .

٦٦٥ — يقولُ اللهُ تعالى : يابنَ آدمَ ، لمْ أخلقكَ لأربحَ عليكَ ، إنّما خلقتُكَ لتربحَ عليَّ ، فاتّخذني بدلاً منْ كلِّ شيءٍ فإنّي ناصرُكَ من كلِّ شيءٍ .

٦٦٦ — الرَّجاءُ بالخالقِ سُبحانهُ أقوى منَ الخوفِ ، لأنكَ تخافهُ لعدلهِ ، وترجوهُ لجودِهِ ، فالخوفُ لكَ والرَّجاءُ لهُ .

٦٦٧ — أسألكَ بمعرفةِ الوحدانيةِ ، وكرمِ الإنابةِ ، ألا تقطعَ عنّي برَّكَ بعدَ مماتي ، كما لمْ تزلْ تُري نِعَمَهُ حياتي ، أنتَ الّذي تجيبُ منْ دعاكَ ، ولا تخيبُ منْ رجاكَ ، تجاوزُ عمّن يدعو إلا إيّاكَ ، فإنّكَ لا تخيبُ من أتاكَ ، وتفضلُ على منْ

عصاكَ ، ولا يفوتك من ناواكَ ، ولا يُعجزُكَ من عاداكَ ؛ كلٌّ في قدرتك ، وكلٌّ يأكلُ رزقكَ .

٦٦٨ — لا تطلبنّ إلى أحدٍ حاجةً ليلاً ؛ فإنّ الحياءَ في العينين .

٦٦٩ — من ازدادَ علماً فليحذرْ من توكيدِ الحجّةِ عليه .

٦٧٠ — العاقلُ يُباهي الصالحين ليلحقَ بهم ، ويحبُّهم ليشاركَهم بمحبّته ؛ وإن قصَّر عن مثلِ عملهم ، والجاهلُ يذمُّ الدنيا ولا ينتحي بإخراجِ أفنائها ، يمدحُ الجودَ ، ويبخلُ بالبذلِ ، ينتقي التوبةَ بطولِ الأملِ ، ولا يُعجّلها بخوفِ حلولِ الأجلِ ، يرجو ثوابَ عملٍ لم يعملْ به ، ويفرُّ من الناسِ ليطلبَ ، ويخفي شخصَهُ ليشتهرَ ، ويذمُّ نفسَهُ ليمدحَ ، وينهى عن مدحه وهو يحبُّ ألاّ ينتهي من الثناء عليه .

٦٧١ — الأنسُ بالعلمِ من نُبْلِ الهمّةِ .

٦٧٢ — اللهمّ كما صُنتَ وجهي عن السجودِ لغيرك ، فصُنْ وجهي عن مسألةِ غيرك .

٦٧٣ — من الناسِ من ينقصكَ إذا زدتَهُ ، ويهونُ عليكَ إذا خاصصتَهُ ، ليس لرضاهُ موضعٌ تعرفهُ ، ولا لسخطِهِ مكانٌ تحذرُهُ ، فإذا لقيتَ أولئكَ فابذلْ لهم موضعَ المودّةِ العامّةِ ، واحرمهم موضعَ الخاصّةِ ؛ ليكونَ ما بذلتَ لهم من ذلك حائلاً دونَ شرّهم ، وما حرمتَهم من هذا قاطعاً لحرمتهم .

٦٧٤ — مَن شبعَ عُوقبَ في الحالِ ثلاثَ عقوباتٍ : يُلقى الغطاء على قلبِهِ ، والنعاس على عينِهِ ، والكسلُ على بدنِهِ .

٦٧٥ — ذمُّ العقلاءِ أشدُّ من عقوبةِ السلطانِ .

٦٧٦ — يقطعُ البليغَ عن المسألةِ أمرانِ : ذلُّ الطلبِ ، وخوفُ الردِّ .

٦٧٧ — للمؤمنِ محدَّثٌ .

٦٧٨ — قلّ أن يطلق لسانُ الدّعوى إلا ويخرسه تمامُ الامتحان .

٦٧٩ — انظر ما عندك فلا تضعه إلا في حقّه ؛ وما عند غيرك فلا تأخذه إلاّ بحقه .

٦٨٠ — إذا صافاك عدوّك رياء منه فتلقّ ذلك بأوكد مودّة ؛ فإنه إن ألِف ذلك واعتاده خلصت لك مودّته .

٦٨١ — لا تأنف للمسألة فيأنفك اللؤم .

٦٨٢ — لا تسأل الحوائج غير أهلها ، ولا تسألها في غير حينها ، ولا تسأل ما لست له مستحقاً فتكون للحرمان مستوجباً .

٦٨٣ — إذا غشّك صديقك فاجعله مع عدوّك .

٦٨٤ — لا تعدّن من إخوانك من آخاك في أيام مقدرتك للمقدرة ، واعلم أنه ينتقل عنك في أحوال ثلاث : يكون صديقاً يوم حاجته إليك ، ومعرضاً يوم غناه عنك ، وعدوّاً يوم حاجتك إليه .

٦٨٥ - لا تسرّن بكثرة الإخوان ما لم يكونوا أخياراً ؛ فإن الإخوان بمنزلة النّار التي قليلها متاع وكثيرها بوار .

٦٨٦ — كفاك خيانة أن تكون أميناً لخونة .

٦٨٧ — لا تحقرن شيئاً من الخير وإن صغر ؛ فإنك إذا رأيته سرّك مكانه ؛ ولا تحقرنّ شيئاً من الشرّ وإن صغر فإنك إذا رأيته ساءك مكانه .

٦٨٨ — يابن آدم ؛ ليس بك غناء عن نصيبك من الدّنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر .

٦٨٩ — معصيةُ العالمِ إذا خفيتْ لم تضرَّ إلَّا صاحبها، وإذا ظهرتْ ضرّتْ صاحبها والعامّةَ .

٦٩٠ — يجبُ على العاقلِ أنْ يكونَ بما أحيا عقلَهُ من الحكمةِ أكلفَ منهُ بما أحيا جسمَهُ من الغذاء .

٦٩١ — أعسرُ العيوبِ صلاحاً العُجبُ واللجاجة

٦٩٢ — لكلِّ نعمةٍ مفتاحٌ ومغلاقٌ، فمفتاحُها الصبرُ، ومغلاقُها الكسلُ .

٦٩٣ — الحزنُ والغضبُ أمرانِ تابعانِ لوقوعِ الأمرِ بخلافِ ما تحبُّ، إلّا أنَّ المكروهَ إذا أتاكَ ممّنْ فوقكَ نتجَ عليكَ حزناً، وإنْ أتاكَ ممّنْ دونكَ نتجَ عليكَ غضباً .

٦٩٤ — أولُ المعروفِ مُستخفٌّ، وآخرُهُ مُستثقلٌ؛ تكادُ أوائلُهُ تكونُ للهوى دونَ الرأي، وأواخرُهُ للرأي دونَ الهوى؛ ولذلكَ قيلَ: ربُّ الصنيعةِ أشدُّ من الابتداءِ بها .

٦٩٥ — لا تدعُ اللهَ أنْ يُغنيكَ عن النّاسِ فإنّ حاجاتِ الناسِ بعضهِم إلى بعضٍ متصلةٌ كاتصالِ الأعضاءِ، فمتى يستغنى المرءُ عنْ يدِهِ أوْ رجلِهِ! ولكن ادعُ اللهَ أنْ يُغنيكَ عنْ شرارِهم .

٦٩٦ — احترسْ منْ ذكرِ العلمِ عندَ منْ لا يرغبُ فيهِ؛ ومنْ ذكرِ قديمِ الشرفِ عندَ منْ لا قديمَ لهُ، فإنَّ ذلكَ ممّا يحقدُهُ عليكَ .

٦٩٧ — ينبغي لذوي القراباتِ أنْ يتزاوروا، ولا يتجاوروا .

٦٩٨ — لا تواخِ شاعراً فإنهُ يمدحُكَ بثمنٍ، ويهجوكَ مجاناً .

٦٩٩ — لا تنزلنَّ جوانحَكَ بحقدٍ للناسِ، ولا بتسرّعٍ إلى الضمارِ .

٧٠٠ — كلُّ شيءٍ طلبتَهُ في وقتهِ فقدْ فاتَ وقتُهُ .

٧٠١ — إذا شككتَ في مودة إنسانٍ فسَلْ قلبكَ عنه .

٧٠٢ — العقلُ لم يجنِ على صاحبهِ قطُّ ؛ والعلمُ مِنْ غيرِ عقلٍ يجني على صاحبِهِ .

٧٠٣ — يابن آدمَ : هلْ تنتظرُ إلاّ هَرَماً حائلاً(١) ، أوْ مرضاً شاغلاً ، أوْ موتاً نازلاً !

٧٠٤ — ابنك يأكلكَ صغيراً ويرثُكَ كبيراً ، وأمتكَ تأكلُ مِنْ وعائكَ ، وتورثُ مِنْ أعدائكَ ، وابن عمك عدوُّكَ وعدوُّ عدوِّكَ ، وزوجتك إذا قلتَ لها قُومي قامتْ .

٧٠٥ — إذا ظفرتُمْ فأكرِموا المَلَكةَ ، وعليكمْ بالتفضّلِ فإنهُ فعلُ الكرامِ ، وإيّاكم والمنَّ فإنهُ متهدمةٌ للصنيعةِ ، منبهةٌ للضغينةِ .

٧٠٦ — مَنْ لمْ يرجُ إلاّ ما استوجبهُ أدركَ حاجتَهُ .

٧٠٧ — بلغَ مِنْ خدعِ الناسِ أنْ جعلوا شكرَ المولى تجارةً عندَ الأحياءِ ، والثناءَ على الغائبِ استمالةً للشاهدِ .

٧٠٨ — من احتاجَ إليكَ ثقُلَ عليكَ ، ومنْ لمْ يُصلحهُ الخيرُ أصلحهُ الشرُّ ، ومنْ لمْ يُصلحهُ الطلى أصلحهُ الكاوي .

٧٠٩ — منْ أكثرَ منْ شيءٍ عُرِفَ بهِ ، ومَنْ زَنى زُنيَ بهِ ، ومنْ طلبَ عظيماً خاطرَ بعظمتهِ ، ومنْ أحبَّ أنْ يصرمَ أخاهُ فليقرضْهُ ثمّ ليتقاضهُ ؛ ومنْ أحبّكَ لشيءٍ ملّكَ عندَ انقضائهِ ، ومنْ عُرفَ بحكمةٍ لاحظتهُ العيونُ بالوقارِ .

---

(١) حائلاً : أي مانعاً يمنعه من أداء أعماله .

٧١٠ – مَنْ بلغَ السَّبعينَ اشتكى مِنْ غيرِ علّةٍ.

٧١١ – فى المالِ ثلاثُ خِصالٍ مَذمُومةٌ : إمّا أنْ يُكتسبَ مِنْ غيرِ حِلِّهِ ، أوْ يمنعَ إنفاقهُ فى حقِّهِ ، أوْ يُشتغلَ بإصلاحِهِ عنْ عِبادةِ اللهِ تعالى .

٧١٢ – يُبعدكَ مِنْ غضبِ اللهِ ألاّ تغضبَ .

٧١٣ – لا تستبدلنَّ بأخٍ لكَ قديمٍ أخاً مُستفاداً ما استقامَ لكَ ؛ فإنكَ إنْ فعلتَ فقدْ غيّرتَ ، وإن غيّرتَ تغيّرتْ نعمُ اللهِ عليكَ .

٧١٤ – أشدُّ مِنَ البلاءِ شماتةُ الأعداءِ .

٧١٥ – يَئِسَ يَرْنى فرحُكَ إنْ عصَيتَ طرفكَ .

٧١٦ – كما تركَ لكمُ الملوكُ الحكمةَ والعِلمَ فاتركوا لهمُ الدُّنيا .

٧١٧ – الهديةُ تعمِي عينَ الحكيمِ .

٧١٨ – ليكنْ أصدقاؤكَ كثيراً ، واجعلْ سرّكَ منهمْ إلى واحدٍ .

٧١٩ – ياعبيدَ الدُّنيا ؛ كيفَ تخالفُ فروعُكمْ أصولَكم، وعقولُكمْ أهواءَكمْ ، قولُكمْ شفاءٌ يُبرِئُ الدَّاءَ ، وعملُكمْ داءٌ لا يقبلُ الدَّواءَ ؛ وَلستمْ كالشجرةِ التى حسنُ ورقُها ، وطابَ ثمرُها ، وسهلَ مُرتقاها ؛ ولكنكمْ كالشجرةِ التى قلَّ ورقُها ، وكثُرَ شوكُها ، وخبُثَ ثمرُها ، وصعُبَ مرتقاها . جعلتمُ العلمَ تحتَ أقدامِكمْ ، والدُّنيا فوقَ رءوسِكمْ ؛ فالعلمُ عندكمْ مُذَلٌّ ممتهنٌ ، والدُّنيا لا يُستطاعُ تناولها ؛ فقدْ منعتمْ كلَّ أحدٍ منَ الوصولِ إليها ؛ فلا أحرارٌ كرامٌ أنتمْ ، ولا عبيدٌ أتقياءُ . ويحكمْ يا أجراءَ السّوءِ ! أمّا الأجرَ فتأخذونَ ، وأمّا العملَ فلا تعملونَ ؛ إن علمتمْ فالعملَ تفسدونَ ، وسوفَ تلقونَ ما تعملونَ ، يُوشكُ رَبُّ العملِ أنْ ينظرَ فى عملهِ الذى أفسدتمْ ، وفى أجرهِ الذى أخذتمْ . ياغرماءَ السّوءِ، تبدءونَ بالهديةِ قبلَ قضاءِ

الدَّين ، تتطوّعون بالنوافل ولا تؤدّون الفرائض ، إن ربَّ الدَّين لا يرضى بالهديّة حتّى يُقضى دَينُه .

٧٢٠ — الدُّنيا مزرعةُ إبليس ، وأهلُها أَكَرَةٌ حرّاثون له فيها .

٧٢١ — واعجبًا ممَّن يعملُ للدُّنيا وهو يُرزَقُ فيها بغير عمل ، ولا يعملُ للآخرة وهو لا يُرزَقُ فيها إلّا بالعمل !

٧٢٢ — لا تُجالسُوا إلّا من يذكّركم اللهَ رؤيتُه ، ويزيدُ في علمكم منطقُه ، ويرغّبكم في الآخرة عملُه .

٧٢٣ — كثرةُ الطعامِ تُميتُ القلبَ كما تُميتُ كثرةُ الماء الزَّرعَ .

٧٢٤ — ضربُ الوالدِ الولدَ كالسماد للزرع

٧٢٥ — إذا أردتَ أن تصادقَ رجلًا فأغضِبْه ، فإن أنصفك في غضبِه وإلّا فدعهُ .

٧٢٦ — إذا أتيتَ مجلسَ قومٍ فارمِهِمْ بسهمِ الإسلام ، ثمَّ اجلسْ — يعني السلامَ — فإنْ أفاضوا في ذكرِ اللهِ فأجِلْ سهمَك مع سهامِهم ، وإنْ أفاضوا في غيرِه فخلِّهم وانهضْ .

٧٢٧ — الأوطار تكسِبُ الأوزارَ ، فارفُضْ وطرَك ، واغضُضْ بصرَك .

٧٢٨ — إذا قعدتَ عند سُلطانٍ فليكنْ بينَك وبينَه مقعدُ رجلٍ ؛ فلعلّه أنْ يأتيَه مَنْ هو آثرُ عنده منك ؛ فيريدُ أنْ تتنحّى عن مجلِسك ، فيكونُ ذلكَ نقصًا عليك وشَينًا .

٧٢٩ — ارحمِ الفقراءَ لقلّةِ صبرِهم ، والأغنياءَ لقلّةِ شُكرِهم ؛ وارحمِ الجميعَ لِطُولِ غفلتِهم .

٧٣٠ — العالِمُ مصباحُ اللهِ في الأرضِ ، فمَنْ أرادَ اللهُ به خيراً اقتبسَ منه .

٧٣١ — لا يهوننَّ عليك مِنْ قبحَ منظرُهُ ورثَّ لباسُهُ ؛ فإنَّ اللهَ تعالى ينظرُ إلى القلوبِ ويُجازي بالأعمالِ .

٧٣٢ — مَنْ كَذَبَ ذهبَ بهاءُ وجهِهِ ، ومَنْ ساءَ خُلُقُهُ كثُرَ غمُّهُ ، ونقلُ الصخورِ مِنْ مواضعِها أهونُ مِنْ تفهيمِ مَنْ لا يفهمُ .

٧٣٣ — كنتُ في أيامِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كجزءٍ مِنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، ينظرُ إليَّ الناسُ كما يُنظرُ إلى الكواكبِ في أفقِ السماءِ ، ثم غضَّ الدهرُ منّي ، فقرنَ بي فلانٌ وفلانٌ ، ثم قُرِنْتُ بخمسةٍ أمثلُهُمْ عثمانُ ، فقلتُ : واذَفَراهُ [1] ! ثم لم يرضَ الدهرُ لي بذلكَ ؛ حتى أرذلني ، فجعلني نظيراً لابنِ هندٍ وابنِ النابغةِ ! لقد استنَّتِ الفصالُ حتى القرعى .

٧٣٤ — أما والذي فلقَ الحبَّةَ ، وبرأَ النسمةَ ، إنه لعهدُ النبيِّ الأميِّ إليَّ أنَّ الأمةَ ستغدرُ بك مِنْ بعدي .

٧٣٥ — لامَتْهُ فاطمةُ على قعودِهِ وأطالتْ تعنيفَهُ ؛ وهو ساكتٌ حتى أذّنَ المؤذّنُ ، فلما بلغَ إلى قولِهِ : « أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ » ، قالَ لها : أتحبّينَ أنْ تزولَ هذهِ الدعوةُ مِنَ الدنيا ؟ قالتْ : لا ، قالَ فهوَ ما أقولُ لكِ .

٧٣٦ — قالَ لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : إنِ اجتمعوا عليكَ فاصنعْ ما أمرتُكَ ؛ وإلّا فألصقْ كلكلَكَ بالأرضِ ؛ فلما تفرّقوا عنّي جررتُ على المكروهِ ذيلي ، وأغضيتُ على القذى جفني ، وألصقتُ بالأرضِ كلكلي .

٧٣٧ — الدنيا حُلُمٌ والآخرةُ يقظةٌ ؛ ونحنُ بينهما أضغاثُ أحلامٍ .

---

(١) الذفر : الرائحة الخبيثة .

٧٣٨ — لمّا عرفَ أهلُ النقصِ حالَهم عندَ أهلِ الكمالِ، استعانوا بالكِبْرِ ليُعظِّمَ صغيراً، ويرفعَ حقيراً، وليسَ بفاعلٍ.

٧٣٩ — لو تميّزتِ الأشياءُ كانَ الكذبُ مع الجُبنِ، والصدقُ مع الشجاعةِ، والراحةُ مع اليأسِ، والتعبُ مع الطمعِ، والحرمانُ مع الحرصِ، والذلُّ مع الدَّيْنِ.

٧٤٠ — المعروفُ غُلٌّ لا يفكُّه إلا شكرٌ أو مكافأةٌ.

٧٤١ — كثرةُ مالِ الميّتِ تسلّي ورثتَه عنه.

٧٤٢ — من كرُمتْ عليه نفسُه هانَ عليه مالُه.

٧٤٣ — من كثُرَ مزاحُه لم يسلَمْ من استخفافٍ به، أو حقدٍ عليه.

٧٤٤ — كثرةُ الدَّيْنِ تضطرُّ الصادقَ إلى الكذبِ والواعدَ إلى الإخلافِ.

٧٤٥ — عارُ الفضيحةِ يكدّرُ لذّتَها.

٧٤٦ — أوّلُ الغضبِ جنونٌ، وآخرُه ندمٌ.

٧٤٧ — انفردْ بسرّكَ ولا تودعْه حازماً فيزلَّ، ولا جاهلاً فيخونَ.

٧٤٨ — لا تقطعْ أخاكَ إلّا بعدَ عجزِ الحيلةِ عن استصلاحِه، ولا تُتبعه بعدَ القطيعةِ وقيعةً فيه؛ فتسُدَّ طريقَه عن الرجوعِ إليك، ولعلَّ التجاربَ أنْ تردَّه عليك وتُصلحَه لكَ.

٧٤٩ — من أحسَّ بضعفِ حيلتِه عن الاكتسابِ بخِلَ.

٧٥٠ — الجاهلُ صغيرٌ وإنْ كانَ شيخاً، والعالِمُ كبيرٌ وإنْ كانَ حدَثاً.

٧٥١ — الميّتُ يقِلُّ الحسدُ له، ويكثُرُ الكذبُ عليه.

٧٥٢ — إذا نزلتْ بك النعمةُ فاجعلْ قِراها الشكرَ.

٧٥٣ — الحِرصُ ينقُصُ من قدرِ الإنسانِ ولا يزيدُ في حظِّهِ .

٧٥٤ — الفرصةُ سريعةُ الفوتِ بطيئةُ العوْدِ .

٧٥٥ — أبخلُ الناسِ بمالِهِ أجودُهم بعرضِه .

٧٥٦ — لا تتبعِ الذنبَ العقوبةَ واجعلْ بينهما وقتاً للاعتذارِ .

٧٥٧ — اذكُرْ عندَ الظلمِ عدلَ اللهِ فيكَ ، وعندَ القدرةِ قدرةَ اللهِ عليكَ

٧٥٨ — لا يحملنَّكَ الحنَقُ على اقترافِ الإثمِ فتَشفيَ غيظكَ وتسقمَ دينكَ .

٧٥٩ — المُلكُ بالدِّينِ يبقى والدِّينُ بالملكِ يقوى .

٧٦٠ — كأنَّ الحاسدَ إنّما خلقَ ليغتاظَ .

٧٦١ — عقلُ الكاتبِ في قلمِهِ .

٧٦٢ — اقتصِرْ منْ شهوةٍ خامرتْ عقلكَ بالخلافِ عليها .

٧٦٣ — اللهمَّ صُنْ وجهي باليسارِ ، ولا تبذلْ جاهي بالإقتارِ ، فأسترزقَ طالبي رزقِكَ ، وأستعطفَ شِرارَ خلقِكَ ، وأُبتلَى بحمدِ منْ أعطاني ، وأُفتتَنَ بذمِّ من منعني ؛ وأنتَ منْ وراءِ ذلكَ وليُّ الإعطاءِ والمنعِ ، إنّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

٧٦٤ — كلُّ حقدٍ حقدتْهُ قريشٌ على رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآلهِ أظهرتْهُ فيَّ وستُظهرُهُ في ولدي من بعدي ، مالي ولقريشٍ ! إنّما وترتُهم[1] بأمرِ اللهِ وأمرِ رسُولِهِ ؛ أفهذا جزاءُ منْ أطاعَ اللهَ ورسُولَهُ إنْ كانوا مسلمينَ !

٧٦٥ — عجباً لسعدٍ وابنِ عمرَ ! يزعمانِ أني أحاربُ على الدُّنيا ، أفكانَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يحاربُ على الدنيا ! فإنْ زعما أنَّ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله حاربَ لتكسيرِ الأصنامِ ، وعبادةِ الرحمٰنِ ؛ فإنّما حاربْتُ لدفعِ الضلالِ والنَّهيِ عنِ

---

(١) وترتهم : أحدثت عندهم وتراً .

العشاء والفساد : أفشلني برنْ مخ الذئب ! والله لو تمثّلت لي بشراً سوياً لضربتها بالسيف .

٧٦٦ — اللهمَّ أنتَ خلقتني كما شئتَ ، فارحمني كيف شئتَ ، ووفّقني لطاعتك ، حتى تكونَ ثقتي كلُّها بكَ ، وخوفي كله منكَ .

٧٦٧ — لا تَشْتُمْ إبليسَ في العلانيةِ وأنتَ صديقُهُ في السِّرِّ .

٧٦٨ — منْ لم يأخذْ أُهْبَةَ الصلاةِ قبلَ وقتِها فما وقَّرَها .

٧٦٩ — لا تطمعْ في كلِّ ما تسمعُ .

٧٧٠ — منْ عاتَبَ ووبَّخَ فقد استوفى حقَّهُ .

٧٧١ — الجودُ الذي يستطيعُ أن يتناولَهُ كلُّ أحدٍ ، هو أن ينوي الخيرَ لكلِّ أحدٍ .

٧٧٢ — منْ صحبَ السلطانَ بالصحّةِ والنصيحةِ كان أكثرَ عدوّاً ممّنْ صحبَهُ بالغشِّ والخيانةِ .

٧٧٣ — منْ عابَ سَفِلةً فقد رفعهُ ، ومنْ عابَ كريماً فقد وضعَ نفسهُ .

٧٧٤ — الموالي ينتصرونَ ، وبنو العمِّ يحسدونَ .

٧٧٥ — الصدقُ عزٌّ ، والكذبُ مذلّةٌ ، ومنْ عرفَ بالصدقِ جازَ كذبُهُ ، ومنْ عرفَ بالكذبِ لم يجزْ صدقُهُ .

٧٧٦ — إذا سمعتَ الكلمةَ تؤذيكَ فطأطئْ لها حتى تتخطَّاكَ .

٧٧٧ — نحنُ نريدُ ألّا نموتَ حتى نتوبَ ، ونحنُ لا نتوبُ حتى نموتَ .

٧٧٨ — أنزلِ الصديقَ منزلةَ العدوِّ في رفعِ المؤنةِ عنهُ ، وأنزلِ العدوَّ منزلةَ الصديقِ في تحمُّلِ المؤنةِ لهُ .

٧٧٩ — أوّلُ عقوبةِ الكاذبِ أنْ صدقَهُ يُرَدُّ عليه .

٧٨٠ — الأدبُ عندَ الأحمقِ كالماء العذبِ فى أصولِ الحنظلِ ، كلما ازداد رِيًّا ازداد مرارةً .

٧٨١ — إيّاكم وحميّةَ الأوغادِ ! فإنّهم يرونَ العفو ضيماً .

٧٨٢ — الكريمُ لا يستقصى فى مُحاقّةِ المعتذرِ ، خوفاً أن يجرى من لا يجدُ مخرجاً من ذنبِهِ .

٧٨٣ — العفوُ عن المقرِّ لا عن المُصِرّ .

٧٨٤ — ما استغنى أحدٌ بالله إلا افتقرَ الناسُ إليه .

٧٨٥ — منْ جادَ بمالِهِ فقد جادَ بنفسِهِ ، فإن لم يكنْ جادَ بها بعينها فقد جادَ بقوامِها .

٧٨٦ — الدَّيْنُ همُّ الكريمِ ، وطالما وُقِّرَ الكرامُ بالدَّيْنِ !

٧٨٧ — الماضى قبلكَ هوَ الباقى بعدَكَ ، والتَّهْنِئَةُ بآجلِ الثوابِ أوْلَى منَ التعزيَةِ بعاجلِ المُصابِ .

٧٨٨ — مِمّا تكتسبُ به المحبّةُ أن تكونَ عالماً كجاهلٍ ، وواعظاً كموعوظٍ .

٧٨٩ — لا تحمدنَّ الصبيَ إذا كان سخيًّا ، فإنَّهُ لا يعرفُ فضيلةَ السخاء ؛ وإنّما يعطى ما فى يده ضعفاً .

٧٩٠ — خيرُ الإخوانِ من إذا استغنيتَ عنه لم يزدْكَ فى المودّة ، وإن احتجتَ إليه لم ينقُصْكَ منها .

٨٩١ — عَجَباً للسلطانِ ، كيفَ يُحْسِنُ ، وهو إذا أساءَ وجدَ من يزكّيه ويمدحُهُ !

٧٩٢ — إذا صادقتَ إنساناً وجبَ عليكَ أن تكونَ صديقَ صديقِه ، وليسَ يجبُ عليكَ أن تكونَ عدوَّ عدوِّهِ ؛ لأنّ هذا إنما يجبُ على خادِمِه وليسَ يجبُ على مُماثِلٍ له .

٧٩٣ — ليس يكملُ مصيبةَ الرَّجُلِ حتّى يكونَ صديقاً لمتعادِيَيْنِ .

٧٩٤ - منْ سَعادَةِ الحدثِ ألاّ يتمَّ لهُ معصيةٌ في زَرِيلةٍ .

٧٩٥ — إذا مُنِعتَ من شيءٍ قدرِ لتمنّته ، فليكنْ غيظُك منهُ على نفسِك في المسألةِ أكثرَ منْ غيظِكَ على من منعك .

٧٩٦ - الأسخياء يشمتون بالبخلاء عند الموتِ ، والبخلاء يشمتونَ بالأسخياء عند الفقرِ .

٧٩٧ — ليسَ يضبطُ العددَ الكثيرَ منْ لا يضبطُ نفسهُ الواحدةَ .

٧٩٨ — إذا أحسنَ أحدٌ من أصحابك فلا تخرجْ إليه بغايةِ برّكَ ؛ ولكن اتركْ منهُ شيئاً تزيدهُ إيّاهُ عندَ تبيينكَ منهُ زيادةً في نصيحتِهِ .

٧٩٩ - الوُقوعُ في المكرُوهِ أسهلُ منْ توقُّعِ المكرُوهِ .

٨٠٠ — الحسُودُ ظالمٌ ، ضممتَ يدهُ عن انتزاعِ ماحسدكَ عليه ؛ فلمّا قصُرَ عليك بعثَ إليكَ تأثُمهُ .

٨٠١ — أعمُّ الأشياءِ نفعاً موتُ الأشرارِ .

٨٠٢ — الشيء المغرّي للناسِ عن مصائبهمْ عِلمُ الفقهاء إنّها شاملة اضطراريةٌ وتأسّي العامّةِ بعضها ببعضٍ .

٨٠٣ - العقلُ الإصابةُ بالظنِّ ومعرفةُ مالمْ يكنْ بما كانَ .

٨٠٤ — ياعَجَباً للناسِ قد مكّنهم اللهُ من الاقتداء به ، فيدَعُونَ ذلكَ إلى الاقتداء بالبهائم .

٨٠٥ — سَلُوا القلوبَ عنِ المودّاتِ ؛ فإنها شُهودٌ لا تقبلُ الرِّشا .

٨٠٦ — إنما يحزنُ الحسدةُ أبداً لأنهم لا يحزنون لِما ينزلُ بهم من الشرِّ فقط ؛ بلْ ولِما ينالُ الناسَ منَ الخيرِ .

٨٠٧ — العشقُ جهدٌ عارضٌ صادفَ قلباً فارغاً .

٨٠٨ — تُعرَفُ حماقةُ المرءِ بكثرةِ كلامِه فيما لا يَعنيه ، وإخبارِه عمّا لا يُسألُ عنهُ .

٨٠٩ — لا تؤخِّرْ إنالةَ المحتاجِ إلى غدٍ ، فإنك لا تعرفُ ما يعرِضُ في غدٍ .

٨١٠ — إنْ تتعَبْ في البرِّ ؛ فإنَّ التعبَ يزُولُ والبرُّ يبْقى .

٨١١ — أجهلُ الجهالِ من عثرَ بحجرٍ مرتينِ .

٨١٢ — كفاكَ موبِّخاً على الكذبِ علمُكَ بأنّكَ كاذبٌ ، وكفاكَ ناهياً عنهُ خوفُكَ مِنْ تكذيبِكَ حالَ إخبارِكَ .

٨١٣ — العالمُ يعرفُ الجاهلَ لأنهُ كانَ جاهلاً ، والجاهلُ لا يعرفُ العالمَ لأنهُ لم يكن عالماً .

٨١٤ — لا تتكلوا على النسبِ فربما لم يكنْ وربما كان وزالَ ، ولا على الحسبِ فطالما كان بلاءً على أهلِه ، يقالُ لمُتنقِّصٍ : هذا ابن فلانٍ الفاضلِ ؛ فيتضاعفُ غمُّهُ وعارُهُ ؛ ولكنْ عليكم بالعلمِ والأدبِ ؛ فإنَّ العالمَ يُكرَمُ وإنْ لمْ ينتسبْ ، ويكرم وإن كان فقيراً ، ويكرمُ وإن كان حدثاً .

٨١٥ — خيرُ ماعُوشِرَ به الملكُ قلةُ احلافِ وتخفيفُ المؤنة ، وأصعبُ الأشياء على الإنسان أنْ يعرفَ نفسه ، وأن يكتم سرَّهُ .

٨١٦ — العدلُ أفضلُ منَ الشجاعةِ ، لأنَّ الناسَ لو استعملوا العدلَ عموماً في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعةِ .

٨١٧ — أولى الأشياء أن يتعلَّمها الأحداثُ الأشياء التي إذا صاروا رجالا احتاجُوا إليها .

٨١٨ — لا ترغبْ في اقتناء الأموالِ ؛ وكيفَ ترغبُ فيما ينالُ بالبحث لا بالاستحقاقِ ، ويأمر البخلُ والشرَهُ بحفظه والجود والزهدُ بإخراجه !

٨١٩ — إذا غابت الحدث فاترك له موضعاً من دينه ، لئلاَّ يحمله الإحراجُ على المكابرةِ .

٨٢٠ — ماانتقم الإنسانُ منْ عدوّهِ بأعظم من أن يزداد من الفضائلِ .

٨٢١ — إنما لم يجتمع الحكمةُ والمالُ ، لعزّةِ وجُود الكمالِ .

٨٢٢ — يمنعُ الجاهلَ أن يجدَ ألمَ الحق المستقرّ في قلبهِ مايمنع السكرانَ أنْ يجد مسَّ الشوكة في يدِهِ .

٨٢٣ — القُنية مخدومةٌ ، ومن خدمَ غير نفسهِ فليس بحرٍّ .

٨٢٤ — لا تطلبِ الحياةَ لتأكلَ ؛ بل اطلبِ الأكل لتحيا .

٨٢٥ — إذا رأتِ العامةُ منازلَ الخاصّةِ من السلطانِ حسدتْها عليها ، وتمنتْ أمثالها . فإذا رأتْ مصارعها نددا لها .

٨٢٦ — الشيء الذي لا يستغنى عنه أحدٌ هوَ التوفيق .

٨٢٧ — ليسَ ينبغي أن يقعَ التصديقُ إلا بما يصحُّ ، ولا العملُ إلا بما يحلُّ ، ولا الابتداءُ إلا بما تحسنُ فيهِ العاقبةُ .

٨٢٨ — الوحدةُ خيرٌ من رفيقِ السوءِ .

٨٢٩ — لكلِّ شيءٍ صناعةٌ ، وحسنُ الاختيارِ صناعةُ العقلِ .

٨٣٠ — من حسدَكَ لم يشكرْكَ على إحسانِكَ إليهِ .

٨٣١ — البغيُ آخرُ مدّةِ الملوكِ .

٨٣٢ — لأنْ يكونَ الحرُّ عبداً لعبيدِه خيرٌ من أن يكونَ عبداً لشهواتِهِ .

٨٣٣ — من أمضى يومَه في غيرِ حقٍّ قضاهُ ، أو فرضٍ أدّاهُ ، أو مجدٍ بناهُ ، أو حمدٍ حصّلَهُ ، أو خيرٍ أسّسَهُ ، أو علمٍ اقتبسَهُ ، فقد عقَّ يومَه .

٨٣٤ — أرسلَ إليهِ عمرو بن العاص يعيبُه بأشياءَ منها أنّهُ يسمّي حسناً وحُسيناً ولدَيْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله فقالَ لرسولِهِ : قل للشانئ ابن الشانئ : لو لم يكونا ولدَيْهِ لكانَ أبترَ ! كما زعمه أبوك !

٨٣٥ — قالَ معاويةُ لما قُتِلَ عمارٌ واضطربَ أهلُ الشام لرواية عمرو بن العاص كانت لهم : « تقتلُه الفئةُ الباغيةُ » : إنما قتلهُ من أخرجهُ إلى الحربِ وعرّضهُ للقتل ! فقال أميرُ المؤمنين عليه السلام : فرسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله إذنْ قاتلُ حمزةَ !

٨٣٦ — هذا يدي - يعني محمدَ بن الحنفيّة - وهذان عيناي - يعني حسناً وحُسيناً - وما زالَ الإنسانُ يذبُّ بيدِهِ عن عينيهِ ! قالها لمن قال له : إنّكَ تعرّضُ محمداً للقتل ، وتقذفُ به في نحور الأعداء دونَ أخويهِ .

٨٣٧ — شكرتَ الواهبَ ، وبُورِكَ لكَ في الموهوب ، ورُزِقتَ خيرَهُ وبرَّهُ ، خذْ إليكَ أبا الأملاكِ ! قالها لعبد الله بن العباس لما وُلِدَ ابنُهُ عليُّ بن عبد الله

٨٣٨ — مايسُرُّنى أنى كُفيتُ أمرَ الدُّنيا كلَّه ، لأنى أكرهُ عادةَ العجز .

٨٣٩ — اجتماعُ المالِ عندَ الأسخياءِ أحدُ الخِصْبَيْنِ ، واجتماعُ المالِ عندَ البخلاءِ أحدُ الجَدْبَيْنِ .

٨٤٠ — من عَمِلَ عَمَلَ أبيه كُفِىَ نصفَ التَّعَبِ .

٨٤١ — المُصْطَنِعُ إلى اللئيمِ كمَنْ طَوَّقَ الخِنزيرَ تِبراً ، وقَرَّطَ الكلبَ دُرًّا ، وألبسَ الحمارَ وَشْياً ، وألقمَ الأفعى شهداً .

٨٤٢ — الحازمُ إذا أشكلَ عليه [1] الرأْى بمنزلةِ مَنْ أضلَّ لؤلؤةً ، فجمعَ ماحولَ مسقطها مِنَ التراب ثم التمسها حتى وجدها ، وكذلك الحازمُ يجمعُ وجوهَ الرأْى فى الأمر المشكل ، ثم يضربُ بعضه ببعض حتى يخلصَ إليهِ الصَّوابُ .

٨٤٣ — الأشرافُ يعاقَبُونَ بالهِجْرانِ لا بالحرمان .

٨٤٤ — الشُّحُّ أضرُّ على الإنسانِ مِن الفقرِ ، لأنَّ الفقير إذا وجد اتّسع ، والشحيح لا يتّسعُ وإن وَجَد .

٨٤٥ — أحبُّ الناس إلى العاقل أن يكون عاقلاً عدوُّهُ ، لأنه إذا كان عاقلاً كان منهُ فى عافيةٍ .

٨٤٦ — عليك بمُجالسةِ أصحابِ التَّجارب فإنها تقوَّم عليهم بأغلى الغلاء ، وتأخذها منهم بأرخص الرُّخص .

٨٤٧ مَن لم يحمدْكَ على حُسْنِ النيَّةِ لم يَشْكُرْكَ على جميل العطيَّةِ .

٨٤٨ — لا تنكحوا النساءَ لحسنهنَّ ، فعسى حسنُهنَّ أن يُرْدِيَهنَّ ، ولا لأموالهنَّ

---

(١) أشكل عليه الرأى : استبهم .

فسى أموالهنّ أن تُطغيَهنّ ، واستكحوهنّ على الدّين ؛ ولأمةٌ سوداء خرماء ذاتُ دين أفضلُ .

٨٤٩ — أفضلُ العبادةِ الإمساكُ عن المعصيةِ ، والوقوفُ عند الشُّبهةِ .

٨٥٠ — ذمُّ الرّجل نفسه في العلانية مدحٌ لها في السّرّ .

٨٥١ — من عدِم فضيلة الصدق في منطقهِ فقدْ فُجِع بأكرم أخلاقِه .

٨٥٢ — ليس يضرُّك أنْ ترى صديقك عند عدوِّك ؛ فإنهُ إن لم ينفعك لم يضرَّك .

٨٥٣ — قلّ أن ترى أحداً تكبّر على من دونه إلا وبذلك المقدارِ يجودُ بالذّلِّ لمن فوقَه .

٨٥٤ — من عظُمت عليهِ مُصيبةٌ فليذكُرِ الموتَ ؛ فإنها تهونُ عليهِ ، ومَنْ ضاق بهِ أمرٌ فليذكُرِ القبرَ فإنه يتّسعُ .

٨٥٥ — خيرُ الشِّعرِ ما كان مثلاً ، وخيرُ الأمثالِ مالم يكن شِعراً .

٨٥٦ — الق الناس عند حاجتهم إليك بالبشر والتواضعِ ، فإن نابتك نائبةٌ ، وحالتْ بك حالٌ ، لقيتَهم وقد أمنت ذِلّةَ التّنصّل إليهم والتواضع .

٨٥٧ — إن الله يحبُّ أن يُعفَى عن زلّةِ السّريّ .

٨٥٨ — من طال لِسانُهُ وحسُن بيانُهُ ، فليترك التّحدث بغرائبِ ما سمع ، فإنّ الحسد لحُسن ما يظهرُ منهُ يحمِلُ أكثرَ الناس على تكذيبه ، ومَن عرفَ أسرارَ الأمورِ الإلهيةِ فليترُكِ الخوض فيها ، وإلاّ حملتهم المنافسةُ على تكفيرِه

٨٥٩ — ليسَ كلُّ مكتومٍ يسُوغ إظهارُهُ لك ، ولا كلُّ معلومٍ يجوزُ أن تُعلِّمهُ غيرَك .

٨٦٠ — ليس يفهم كلامك من كان كلامه له أحب إليه من الاستماع منك ، ولا يعلم نصيحتك من غلب هواه على رأيك ، ولا يسلم لك من اعتقد أنه أتم معرفة بما أشرت عليه به منك .

٨٦١ — خف الضعيف إذا كان تحت راية الإنصاف أكثر من خوفك القوي تحت راية الجور ، فإن النصر يأتيه من حيث لا يشعر ، وجرحه لا يندمل .

٨٦٢ — إخافة العبيد والتضييق عليهم يزيد في عبوديتهم وصيانتهم ، وإظهار الثقة بهم يكسبهم أنفة وجبرية .

٨٦٣ — أضر الأشياء عليك أن تعلم رئيسك أنك أعرف بالرياسة منه .

٨٦٤ — عداوة العاقلين أشد العداوات وأسكنها ، فإنها لا تقع إلا بعد الإعذار والإنذار ، وبعد أن يئس صلاح ما بينهما .

٨٦٥ — لا تخدمن رئيساً كنت تعرفه بالخمول ، ونقلته الحال ، ويعرف منك أنك تعرف قديمه ، فإنه وإن سره مكانك من خدمته ، إلا أنه يمقت العين التي تراه بها ، فينقبض عنك بحسب ذلك .

٨٦٦ — إذا احتجت إلى المشورة في أمر قد طرأ عليك فاستبده ببداية الشبان ، فإنهم أحد أذهاناً ، وأسرع حدساً ، ثم رده بعد ذلك إلى رأي الكهول والشيوخ ليستعقبوه ، ويحسنوا الاختيار له ؛ فإن تجربتهم أكثر .

٨٦٧ — الإنسان في سعيه وتصرفاته كالعائم في اللجة ، فهو يكافح الجرية في إدباره ، ويجري معها في إقباله .

٨٦٨ — ينبغي للعاقل أن يستعمل فيما يلتمسه الرفق ، ومجانبة الهذر ،

فإن العَلَقة [1] تأخذ بهدوئها من الدم ما لا تأخذه البعوضة باضطرابها وفرطِ صياحها .

٨٦٩ — أقوى ما يكونُ التصنُّعُ في أوائله ، وأقوى ما يكونُ التطبُّعُ في أواخرِه .

٨٧٠ — غاية المروءة أنْ يستحيي الإنسانُ من نفسه ، وذلكَ أنّهُ ليسَ العِلّةُ في الحياء مِنَ الشيخِ كِبَرَ سنّه ولا بياضَ لحيته ، وإنما عِلّةُ الحياء منهُ عقلُه ، فينبغى إن كان هذا الجوهر فينا أنْ نستحيي منهُ ولا نحضره قبيحاً .

٨٧١ — مَنْ ساس رعيّةً حَرُمَ عليه الشُّكرُ عقلاً ، لأنّهُ قبيحٌ أنْ يحتاجَ الحارسُ إلى مَنْ يحرسُهُ .

٨٧٢ — لا تستعِنْ مملوكاً قويَّ الشهوة ، فإنَّ له مولًى غيرَك ، ولا غضوباً فإنهُ يؤذيكَ في أستخدامِكَ له ، ولا قويَّ الرأي فإنهُ يستعملُ الحيلةَ عليك ، لكن اطلبْ مِنَ العبيدِ مَنْ كانَ قويَّ الجسم ، حَسَنَ الطاعة ، شديدَ الحياء .

٨٧٣ — لا تعادوا الدُّوَلَ المقبلةَ ، وتُشرِبوا قلوبَكُمْ بغضَها ، فتُدبِرُوا بإقبالها .

٨٧٤ — الغريبُ كالغرسِ الذى زايل شِربَهُ ، وفارقَ أرضَهُ ، فهو ذاوٍ لا يتقدْ وذابلٌ لا يُثمرُ .

٨٧٥ — السفرُ قطعةٌ مِنَ العذاب ، والرفيقُ السوء قطعةٌ مِنَ النار .

٨٧٦ — كلُّ خُلُقٍ مِنَ الأخلاقِ فإنّهُ يكسُدُ عندَ قومٍ مِنَ الناسِ إلّا الأمانةَ فإنّها نافقةٌ عندَ أصنافِ الناسِ ، يَنفَقُ بها من كانت فيه ، حتى إن الآبِيَةَ إذا لم تكشف

---

(١) العلقة : دويبة في الماء تمص الدم .

وبَقِيَ ما يودَع فيها على حاله لم ينقُص ، كانت أكثرَ ثناء مِنْ غيرها مِمّا يرشَحُ أو يُنشِّفُ .

٨٧٧ — اصبِرْ على سلطانِكَ في حاجاتِكَ ، فلستَ أكبرَ شغلِه ، ولا بك قِوامُ أمرِهِ .

٨٧٨ — قوّةُ الاستشعارِ من ضعفِ اليقينِ .

٨٧٩ — إذا أحسستَ من رأيِكَ بإكداءٍ ، ومِنْ تصوّرِكَ بفسادٍ ، فاتّهِمْ نفسكَ بمجالستِكَ لِعَمِيِّ الطبعِ ، أو لِبَطِيءِ الفكرِ ، وتدارَكْ إصلاحَ مزاجِ تخيّلِكَ بمكاثرةِ أهلِ الحكمةِ ، ومجالسةِ ذوي السدادِ ، فبِمفاوضتِهِمْ تريحُ الرأيَ المكدودَ ، وتردُّ ضالّةَ الصوابِ المفقودِ .

٨٨٠ — من حسنَ في طاعتِهِ الملقُ ، لم يستقرَّ به موضعُهُ ، لكثرةِ تنقُّلِهِ وتصرُّفِهِ مع الطباعِ ، ومعرفةِ الناسِ بالخديعةِ .

٨٨١ — كثيرٌ من الحاجاتِ تُقضَى بَرَمًا لا كَرَمًا .

٨٨٢ — أصحابُ السلطانِ في المثلِ كقومٍ رقوا جبلاً ثم سقطوا منهُ ، فأقربُهُمْ إلى الهلكةِ والتلفِ أبعدُهُمْ كان في المرتقَى .

٨٨٣ — لا تضعْ سِرّكَ عندَ من لا سِرَّ له عندكَ .

٨٨٤ — سَعَةُ الأخلاقِ كيمياءُ الأرزاقِ .

٨٨٥ — العلمُ أفضلُ الكنوزِ وأحسنُها ، خفيفُ المحملِ ، عظيمُ الجدوى ، في الملإ جمالٌ ، وفي الوحدةِ أُنسٌ .

٨٨٦ — الشبابُ مِزاجُ النوكَى ، ولا بأسَ بالفاكهةِ يُرَوِّحُ بها الإنسانُ عنْ نفسِهِ ، ويخرُجُ عنْ حدِّ العُبوسِ .

٨٨٧ — ثلاثةُ أشياء تدلُّ على عقولِ أربابِها . الهديةُ ، والرسولُ ، والكتابُ .

٨٨٨ — التعزيةُ بعدَ ثلاثٍ تجديدٌ للمصيبةِ ، والتهنئةُ بعدَ ثلاثٍ استخفافٌ بالمودّةِ .

٨٨٩ — أنتَ مخيّرٌ في الإحسانِ إلى من تحسنُ إليه ، ومرتهنٌ بدوامِ الإحسانِ إلى من أحسنتَ إليه ، لأنّكَ إنْ قطعتهُ فقدْ أهدرتهُ ، وإنْ أهدرتهُ فلمَ فعلتَه .

٨٩٠ — الناسُ من خوفِ الذلِّ في ذُلٍّ .

٨٩١ — إذا كانَ الإيجازُ كافياً كانَ الإكثارُ عِيّاً ، وإذا كانَ الإيجازُ مقصّراً كانَ الإكثارُ واجباً .

٨٩٢ — نقلُ الزّادِ إلى معدٍ ، أهونُ على الصادرِ .

٨٩٣ — الخلقُ عيالُ اللهِ ، وأحبُّ الناسِ إلى اللهِ أشفقهم على عيالهِ .

٨٩٤ — تحريكُ الساكنِ أسهلُ من تسكينِ المتحرّكِ .

٨٩٥ — العاقلُ بخشونةِ العيشِ مع العقلاءِ آنسُ منه بلينِ العيشِ مع السفهاءِ .

٨٩٦ — الاقتصادُ بينَ المسرفين نقصٌ ، والإسرافُ بينَ المقتصدين سخفٌ (١)

٨٩٧ — السخاءُ أن تجودَ بالعدمِ لا بالمالِ ، ومنْ وهبَ ألفاً وشحَّ بصحفةِ طعامٍ فليسَ بجوادٍ .

٨٩٨ — إنْ بقيتَ لم يبقَ الهمُّ .

٨٩٩ — لا يقومُ عزُّ الغضبِ بذلّةِ الاعتذارِ .

٩٠٠ — الشفيعُ جناحُ الطالبِ .

٩٠١ — الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إنْ لم يبلغكَ فقدِ استمتعتَ به .

٩٠٢ — إعادةُ الاعتذارِ تذكيرٌ بالذنبِ .

---

(١) السخف : ضعف العقل ورقته

٩٠٣ — الصبرُ فى العواقبِ شافٍ أو مريحٌ .

٩٠٤ — من طالَ عمرُهُ ، رأى فى أعدائهِ مايسرُّهُ .

٩٠٥ — لا نعمةَ فى الدُّنيا أعظمُ من طولِ العمرِ ، وصحةِ الجسدِ .

٩٠٦ — الناسُ رجلانِ : إمّا مُؤجَّلٌ بفقدِ أحبابهِ ، أو معجَّلٌ بفقدِ نفسهِ .

٩٠٧ — العقلُ غريزةٌ تربّيها التّجاربُ .

٩٠٨ — النُّصحُ بينَ الملأ تقريعٌ .

٩٠٩ — لا تُسكِّنْ حائطَ غيرِكَ .

٩١٠ — من زادَ أدبُهُ على عقلِهِ كان كالرّاعى الضعيفِ معَ الغنمِ الكثيرِ .

٩١١ — الدّارُ الضيّقةُ العمى الأصغرُ .

٩١٢ — النّمامُ جسرُ الشرِّ .

٩١٣ — لا تشِن وجهَ العفوِ بالتقريعِ .

٩١٤ — كثرةُ النصحِ تهجمُ بك على كثرة الظِّنة .

٩١٥ — لكلِّ ساقطةٍ لاقطة .

٩١٦ — ستساقُ إلى ما أنت لاقٍ .

٩١٧ — عاداك من لاحاك .

٩١٨ — حذاك لا كذاك .

٩١٩ — تذكر قبل الورْدِ الصدرَ ، والحذر لا يغنى من القدر ، والصبر من أسباب الظفر .

٩٢٠ — عار النساء باقٍ يلحق الأبناء بعد الآباء .

٩٢١ — أقبح العقوبة عقوبة العفو والعذر واليمين الكاذبة ، ومنْ إذا تضرّع إليه وسُئِلَ العفو لم يعذر .

٩٢٢ — لا تردّ بأس العدوّ القويّ وغضبه بمثل الخضوع والذلّ ، كسلامة الحشيش من الريح العاصف بانثنائه معها كيفما مالت .

٩٢٣ — قاربْ عدوّك بعض المقاربةِ تنلْ حاجتك ، ولا تُفْرط في مقاربته فتذلّ نفسك وناصرك ، وتأمّل حال الخشبة منصوبة في الشمس التي إنْ أملتها زاد ظلها ، وإنْ أفرطت في الإمالة نقص الظل .

٩٢٤ — إذا زال المحسود عَلَيْهِ علمتَ أنّ الحاسد كان يَحْسُدُ على غير شيء .

٩٢٥ — العجز نائم ، والحزم يقظان .

٩٢٦ — من [illegible] .

٩٢٧ — ما عفا عن الذنب مَن قَرَّع بِهِ .

٩٢٨ — عبد الشهوة أذلُّ من عبد الرِّقّ .

٩٢٩ — لَيْسَ ينبغي للعاقل أنْ يطلب طاعة غيره ، وطاعةُ نفسه عَلَيْهِ مُمْتَنِعَة .

٩٣٠ — الناسُ رجلان : واجدٌ لا يكتفي ، وطالب لا يجد .

٩٣١ — كُلّما كثر خُزّان الأسرار ، زادت ضياعاً .

٩٣٢ — كثرة الآراء مفسدة ، كالقدورِ لا تطيب إذا كثر طبّاخوها .

٩٣٣ — مَن اشتاق خَدَمَ ، ومَن خدم اتّصل ، ومَن اتّصل وصل ، ومَن وصَل عرَف .

٩٣٤ — عجباً لِمَنْ يخرج إلى البساتين للفرجةِ على القُدْرة ، وهلاّ شغلتْهُ رؤيةُ القادرِ عن رؤيةِ القُدْرةِ .

٩٣٥ — كلُّ الناسِ أُمِروا أنْ يقولوا : لا إله إلا الله ، إلا رسولَ الله ، فإنّهُ رُفِعَ قَدْرُهُ عن ذلك ، وقيل لَهُ : فاعْلَمْ أنّهُ لا إله إلاّ الله ، فأُمِرَ بالعلْمِ لا بالقَوْلِ .

٩٣٦ — كُلُّ مُصطنع عارفةٍ فإنَّما يصنع إلى نفسه ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيته إلى نفسك وتممت به لذتك ، ووقيت به عِرضك.

٩٣٧ — والدك رَيحانتك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، ثم هو عدوك أو صديقك.

٩٣٨ — مَن قبل معروفك فقد باعك مروءته.

٩٣٩ — إلى الله أشكو بلادة الأمين ويقظة الخائن.

٩٤٠ — مَن أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحاً ، وعند الخطأ عاذراً.

٩٤١ — من كثر حقده قلّ عتابه.

٩٤٢ — الحازمُ مَن لم يشغله البطرُ بالنعمة عن العمل للعاقبة ، والهمّ بالحادثة عن الحيلة لدفعها.

٩٤٣ — كلما حسُنت نعمةُ الجاهل ازداد قبحاً فيها.

٩٤٤ — مَن قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم ، ولولا مَن يقبل الجودَ لم يكن مَن يجود.

٩٤٥ — إخوانُ السوء كشجرة النار ، يُحرق بعضها بعضاً.

٩٤٦ — زلة العالم كانكسار السفينة تغرق ويغرقُ معها خلق.

٩٤٧ — أهوَنُ الأعداء كيداً أظهرهم لعداوته.

٩٤٨ — أبقِ لرِصالك مِن عصيك ، وإذا طِرتَ فقع قريباً.

٩٤٩ — لا تتشبثنّ بالسُّلطان في وقت اضطراب الأمور عليه ، فإنَّ البحرَ لا يكاد يسلمُ صاحبهُ في حالِ سكونِهِ ، فكيف يسلم مع اختلاف رياحِهِ واضطراب أمواجه !

٩٥٠ — إذا خُلّي عِنان العقل ، ولم يحبس على هوى نفسٍ ، أو عادةِ دينٍ أو عصبيةٍ لسلف ، ورد بصاحبه على النجاة.

٩٥١ — إذا زادك الملك تأنيساً فزده إجلالا

٩٥٢ — من تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه

٩٥٣ — قليلٌ يُترقى منه إلى كثيرٍ خيرٌ من كثيرٍ ينحطُّ عنهُ إلى قليل

٩٥٤ — حسّنوا موتاكم في مدافنهم جار السوء ، فإنّ الجارَ الصالح ينفعُ في الآخرةِ كما ينفعُ في الدنيا .

٩٥٥ — زُرِ القبورَ تذكر بهن الآخرة ، وغسّل الموتى يتحرك قلبك ، فإنّ الجسد الخاوي عظة بليغة وصلِّ على الجنائز لعلهُ يحزنك ، فإنّ الحزين قريبٌ من اللهِ .

٩٥٦ — الموتُ خير للمؤمنِ وللكافرِ ، أمّا للمؤمنُ فيعجل له النعيم ، وأمّا الكافرُ فيقلّ عذابهُ ، وآيةُ ذلك من كتاب الله تعالى ﴿ وما عند اللهِ خيرٌ للأبرار[1] ﴾ ولا يحسبنّ الذين كفروا أنّما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً[2] ﴾ .

٩٥٧ — جزعُك في مصيبةِ صديقك أحسنُ من صبرك ، وصبرُك في مصيبتك أحسنُ من جزعك .

٩٥٨ — من خاف إساءتك اعتقد مساءتك ، ومن رهب صولتك بغى دولتك .

٩٥٩ — من فعل ما شاء لقيَ ما شاء

٩٦٠ — بلغني من القرآن كلمةٌ أرجوها لمن أسرف على نفسهِ ﴿ قال عذابي أصيبُ بهِ من أشاء ورحمتي وسعت كلّ شيءٍ[3] ﴾ فجعل الرحمة عموماً والعذاب خصوصاً .

---

(١) سورة آل عمران ١٩٨ (٢) سورة آل عمران ١٧٨

(٣) سورة الأعراف ١٥٦ .

٩٦١ — الاستئثارُ يُوجِبُ الحسد، والحَسَدُ يوجب البغضَةَ، والبغضة تُوجِب الاختِلافَ، والاختلافُ يوجب الفرقةَ، والفرقةُ توجب الضَّعْفَ، والضَّعفُ يوجب الذُّلّ، والذُّلّ يوجب زَوال الدَّولةِ، وذهاب النِّعْمَةِ.

٩٦٢ — لا يكاد يَصدقُ رُؤيا الكذّابِ، لأنه يخبرُ في اليقظة بما لم يكن، فأحْرِ بِهِ أن يرى في المنام ما لا يكون.

٩٦٣ — لا يُفسِدكَ الظنُّ على صَديقٍ قَدْ أصلحك اليقين لهُ.

٩٦٤ — لا تكادُ الظُّنون تزدحم على أمرٍ مستورٍ إلا كشفته.

٩٦٥ — المشورة رَاحةٌ لكَ وتعبٌ على غيرِك.

٩٦٦ — حقّ كلّ سرٍّ أن يصان، وأحقُّ الأسرار بالصيانة سرُّك مع مولاك، وسِرُّهُ مَعَكَ؛ واعلم أنّ من فَصَحَ فُضِح، ومَن نمّ فلؤمِهِ أباح.

٩٦٧ — يا مَنْ ألمَّ بجناب الجلال، احفظ ما عرفت، واكتم ما استودعت؛ واعلم أنك قدْ رُشحت لأمرٍ فاطن له، ولا ترضَ بنفسك أن تكون خائناً؛ فمن لم يؤدِّ الأمانة فيما استودع، أحقُّ الناس بسِمةِ الخيانةِ، وأجدرُ الناسِ بالإبعادِ والإهانة.

٩٦٨ — لا تعامل العامّةَ فيما أنعم به عليك من العلم، كما تعامل الخاصةَ؛ واعلم أن لله سبحانه رجالاً أودَعَهُم أسراراً جمةً، ومَنَعَهُمْ عن إشاعتها؛ واذكرْ قولَ العَبْدِ الصالحِ لموسى وقد قال له: «هل أتبعُك على أن تعلمنِ مما عُلِّمْتَ رُشداً. قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبرُ على ما لم تُحِطْ به خبراً»

٩٦٩ — لكلِّ دارٍ بابٌ، وباب دار الآخرة الموت.

٩٧٠ — إن لك فيمن مضى من آبائك وإخوانك لعبرةً، وإن ملك الموت دخل

على داودَ النبي ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : مَن لا يهابُ الملوكَ ، ولا تمنعُ منه القصور ، ولا يقبَلُ الرشا ، قالَ : فإذَنْ أنت ملكُ الموت جئت ؟ ولم أستعِدَّ بعد ، فقال : فأين فلان جارُك ؟ أين فلان نسيبك ؟ قال : ماتوا ، قال : ألم يكن لك في هؤلاء عبرة لتستعدَّ !

٩٧١ — ما أخسر صفقة الموت إلا مَن عصم الله ، باعوا الآخرة بيومَة

٩٧٢ — إن هــذا الموت قد أفسد على الناس نعيم الدنيا ؛ فما لكم لا تلتمسون نعيماً لا موت بعده !

٩٧٣ — انظر العمل الذي يسرك أنْ يأتيك الموت وأنت عليه فاعمله الآن ، فلستَ تأمَنُ أن تموت الآن .

٩٧٤ — لا تستطِلْ القيامةَ فتشكو إلى طول المدة الآتية عليك بعد الموت ، فإنك لا تفرق بعد عودك بين ألف سنة وبين ساعة واحدة ، ثمَّ قرأ : « ويوم يحشرُهم كأن لم يلبثوا إلاَّ ساعةً من النهار »[1] الآية .

٩٧٥ — لا بدَّ لك من رفيقٍ في قبرك ، فاجعله حَسَن الوجه طيب الريح . وهو العمل الصالح .

٩٧٦ — رُبَّ مُرْتاحٍ إلى بلد وهو لا يدري أن حمامه في ذلك البلد .

٩٧٧ — الموت قانص يُصمي ولا يشوي .

٩٧٨ — ما من يوم إلا يتصفح ملك الموت فيــه وجوه الخلائق ، فمن رآه على معصية أو لهو ، أو رآه ضاحكاً فرحاً ، قال له يا مسكين : ما أغفلك عمَّا يُرادُ بك ! اعمل ما شئت ؛ فإن لي فيك غمزة أقطع بها وتينك[2] .

---

(١) سورة يونس ٤٥

(٢) الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه

٩٧٩ — إذا وُضع الميِّتُ فى قَبْرِه اعتورَتْه نيرانٌ أربعٌ ، فتجىء الصلاة فتطفىء واحدَةً ، ويجىء الصومُ فيطفىءُ وحداةً ، وتجىء الصدقةُ فتطفىء واحدةً ، ويجىء العِلم فيطفِىء الرَّابعــةَ ، ويقول . لو أدركتهنَّ لأطفأتهن كلّهنَّ ، فقرَّ عيناً وَنَمْ معك ، ولن ترى بُؤساً .

٩٨٠ - استجيروا بالله تعالى . واستجيروه فى أموركم ، فإنه لا يُسلِم مستجيراً ولا يُحرم مُستخيراً .

٩٨١ — ألاَ أدُلُّكم على ثمرة الجنة ؛ لا إله إلا الله بشرط الإخلاص .

٩٨٢ من شَرف هذه الكلمة وهى الحمدُ لله . أنّ الله تعالى جعلها فاتحةَ كتابه ، وجعلها خاتمةَ دَعْوى أهل جنته ، فقال : وآخرُ دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

٩٨٣ ذاكرُ اللهِ فى الغافلين كالشجرةِ الخضراء فى وَسط الهشيم ، وكالدَّارِ العامرةِ بين الرُّبوع الخربةِ .

٩٨٤ — أفضلُ الأعمال أن تموتَ ولسانُكَ رطبٌ بذكر اللهِ سبحانهُ .

٩٨٥ - الذِّكر ذِكرانِ : أحدهما ذكر اللهِ وتحميدهُ ، فما أحسنَه وأعظم أجرهُ ، والثاني ذكر اللهِ عند ما حرَّم الله وهو أفضلُ من الأول !

٩٨٦ — ما أضيقَ الطريق على من لم يكن الحقُّ تعالى دليله ، وما أوحشها على من لم يكن أنيسَهُ ! ومن اعتزَّ بغير عزّ اللهِ ذَلَّ ، ومن تكثَّر بغير الله قلَّ

٩٨٧ — اللهمَّ إن فههتُ عن مسألتى ، أو عمهتُ عن طلبتى ، فدُلَّنى على مصالحى وخذْ بناصيتى إلى مراشدى . اللهمَّ احملنى على عفوك ، ولا تحملنى على عدلكَ .

٩٨٨ — مُخ الإيمان التقوى والورعُ ، وهما من أعمال القلوبِ ، وأحسنُ أعمال الجوارح ألاّ تزال مالئاً فاكَ بذكر الله سبحانه .

٩٨٩ — اللهمّ فرغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما تكفّلت لي به ، ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك .

٩٩٠ — سبحان من ندعوه خطأً فيسرع ! ونبدعو ما خطأنا فنبطئ ! خيرُه إلينا نازلٌ ، وشرُّنا إليه صاعدٌ ؛ وهو مالكٌ قادرٌ .

٩٩١ — اللهمّ إنا نعوذ بك من نيات عادة وصباح ندامة .

٩٩٢ — اللهمّ إني أستغفرك مما تبت منه إليك ثم عدت فيه ، وأستغفرك لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك ، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها عليّ فتقويت بها على معصيتك .

٩٩٣ — اللهم إني أعوذ بك أن أقول حقاً ليس فيه رضاك ألتمس به أحداً سواك ، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك ، وأعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك ، وأعوذ بك أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني مني .

٩٩٤ — يامن ليس إلا هو ، يامن لا يعلم ماهو إلا هو ، اعف عني .

٩٩٥ — اللهمّ إن الآمال منوطة بكرمك ، فلا تقطع علائقها بسخطك . اللهم إني أبرأ من الحول والقوة إلا بك ، وأبرأ بنفسي عن التوكل على غيرك .

٩٩٦ — اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، كلما ذكره الذاكرون ، وصلّ على محمد وآل محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون ، اللهم صلّ على محمد وآل محمد عددَ كلماتك ، وعددَ معلوماتك ، صلاةً لا نهايةَ لها ، ولا غايةَ لأمدها .

٩٩٧ — سبحانَ الواحد الذي ليس غيرُه ، سبحان الدائم الذي لا نفاد له ، سبحانَ القديم الذي لا ابتداء له ، سبحان الغنيّ عن كلّ شيء ولا شيء من الأشياء يغني عنه .

٩٩٨ — يا أللهُ يا رحمنُ يا رحيمُ يا حيُّ يا قيُّومُ يا بديعَ السموات والأرض ياذا الجلالِ والإكرامِ اعفُ عنّي (١)

* * *

وهذا حينُ ننهى قولنا في شرح نهج البلاغة ، وقد تدارك ما أدركناه منه قوّتنا وحولنا ، فإنّا عاجزون عمّا هو دونه ، ولقد شرعنا فيه وإنّه لي معه كالطّودِ الأملسِ تزِلُّ الوُعولُ العُصْمُ (٢) عن قَذَفاته (٣) ، بل كالفلكِ الأطلسِ (٤) لا تبلغُ الأوهامُ والعقولُ إلى حدودِ غاياته ، فما زالتْ معونةُ الله سبحانهُ وتعالى تُسهِّلُ لنا حَزْنَه ، وتذلِّلُ لنا صعبَهُ ، حتّى أصحبَ أبيُّهُ ، وأطاعَ عَصِيُّهُ ، وفتحتْ علينا خُلُصُ النيّة ، وإخلاصُ الطّويّةِ ، في تصنيفهِ أبوابُ البركات ، ويسّرتْ علينا مطالبَ الخيراتِ ؛ حتّى لقد كان الكلامُ ينثالُ علينا انثيالاً ، وتواتينا بديهةً وارتجالاً ، فتمّ تصنيفُهُ في مدّةٍ قدرها أربعُ سنينَ وثمانيةُ أشهرٍ ، وأوّلها غرّةُ شهر رجب من سنة أربع وأربعين وستمائة وآخرُها سَلْخ صفر من سنة تسعٍ وأربعين وستمائة ، وهو مقدار مدّة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ، وما كان في الظنّ والتقدير أنّ الفراغ منه يقعُ في أقلّ من عشرِ سنينَ ؛ إلاّ أنّ الألطافَ الإلهيّةَ والعنايةَ السماوية ، شحذت بارتفاع العوائقِ ، وانتفاء الصّوارفِ ، وشحذتْ بصيرتنا فيه ، وأرهفتْ همّتنا في تشييدِ مبانيهِ ، وتنضيدِ ألفاظه ومعانيه .

وكان لسعادة المجلسِ المولويِّ المؤيّديِّ الوزيريِّ أجرى اللهُ بالخير أقلامهُ ، وأمضى

---

(١) كذا كان عدد هذه الحكم على حسب المخطوطات التي وقعت بيدنا . وقد أشار المؤلف إلى أن عددها ألف ، ولعل منها سقطاً ؛ أو أن حكمتين قد اندرجت تحت بند واحد ؛ ونرجو حين تقع بيدنا نسخ أخرى في الطبعة الثانية أن نصل إلى العدد الصحيح .

(٢) الوعل : تيس الجبل ، والأعصم منه : ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر .

(٣) القذفات : جمع قذفة ؛ وهو ما أشرف من رءوس الجبال .

(٤) هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي وزير المستعصم بالله . وانظر ترجمته في حواشي الجزء الأول ١ : ٤

في حَلْقِ الأعداء حُسامهُ في المعونة عليه أوفرُ قِسطٍ ، وأوفى نصيبٍ وحظٍ ؛ إذ كان مصنوعاً لِخزانته ، ومَوْسُوماً بِسِمَتِهِ ؛ ولأنّ همّةً أعلاها اللهُ ما زالت تتقاضى عبدهُ بإتمامِه وتحثُّهُ على إنجازه وإبرامِه ، وباهيتُ بها من همّةٍ راضتِ الصّعبَ الجامِح ، وخفّفتِ العِبءَ الفادحَ ، ويسّرتِ الأمرَ العسير ، وقطعتْ مَدَى الطَّويل في الزّمن القصير .

وقد استعملتُ في كثيرٍ من فُصوله فيما يتعلّقُ بكلام المُتكلّمين ، والحُكماء خاصّةً ألفاظ القومِ ، مع علمي بأنّ العربيّة لا تُجيزُها ، نحو قولهمْ : المحسوساتُ ، وقولهمْ : الكلُّ والبَعضُ ، وقولهم : الصفاتُ الذاتيّةُ ، وقولهم : الجُسْمانياتُ ، وقولهم أمّا أوّلاً فالحال كذا ؛ ونحو ذلك ممّا لا يخفى عمّنْ له أدنى أُنْسٍ بالأدبِ ؛ ولكنّ استهجنتُ تبديل ألفاظهم وتغيير عباراتِهم ، فمن كلّمَ قوماً كلّمهم باصطلاحِهم ، ومَن دخل ظَفارِ حمّرَ[١] .

والنسخةُ التي بُنِيَ هذا الشرحُ على فصولها أتمُّ نسخةٍ وجدتُها بنهج البلاغةِ فإنها مشتملةٌ على زياداتٍ تخلو عنها أكثرُ النسخِ .

وأنا أستغفرُ الله العظيم من كلِّ ذنبٍ يُبْعِدُ من رحمتِهِ ، ومن كل خاطرٍ يدعُو إلى الخروج عن طاعتهِ ؛ وأستشفعُ إليه بمن أتعبتُ جسدِي ، وأسهرتُ عيني ، وأعملت فكري ، واستغرقتُ طائفةً من عمُري ، في شرح كلامِهِ ، والتقرُّبِ إلى الله بتعظيم منزلته ومقامِه ، أن يعتق رقبتي من النّارِ ، وألاّ يبتليني في الدُّنيا ببلاء تضعُفُ عنه قوّتي ، وتضعفُ عنه طاقتي ، وأن يصون وجهي عن المخلوقين ، ويكفّ عني عاديةَ الظالمين ، إنه سميعٌ مُجيبٌ ، وحسْبُنا اللهُ وحدهُ وصلواتُهُ على سيدنا محمّدٍ النبيِّ وآلِهِ وسلامُه !

﴿ آخر الجزء العشرين وبه تمّ الكتاب ﴾

(ولله الحمد كما هو أهله حمداً دائماً لا انقضاء له ولا نفاد له آمين)

---

(١) ظفار : قرية باليمن . وحمّر : تكلّم بالحميرية ؛ وهو مثل يضرب للرجل يدخل في القوم فيأخذ بزيهم (الميداني ٢ : ٣٠٦) .

فهرس الموضوعات

* * *

تنبيـــه

وقع خطأ في أرقام الحكم القصيرة مابين صفحتي ٣٩ و ٢٥١ والصواب أن يكون الرقم في ص ٣٩ هو ٤١٤ ثم تصلح بقيـــة الأرقام لتصـل إلى ٤٨٨ في ص ٢٥٥ بدلا من ٤٨٥ .



مراجع التحقيق في جميع الأجزاء

إتحاف فضلاء البشر للدمياطي : (حنفي ١٣٥٩)

إحياء علوم الدين للغزالي : (نشرة المكتبة التجارية)

أخبار أبي تمام للصولي : (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦)

الأخبار الطوال لابن قتيبة : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)

أدب الكاتب لابن قتيبة : (السلفية ١٣٤١)

أسباب النزول للواحدي : (مطبعة هندية ١٣١٥)

الاستيعاب لابن عبد البر : (حيدر آباد ١٣٣٦ ، نهضة مصر ١٣٨٠) .

أسد الغابة في أسماء الصحابة ، لابن الأثير : (المطبعة الوهبية ١٢٨٦)

الأشباه والنظائر للسيوطي : (حيدر آباد ١٣١٦)

الاشتقاق لابن دريد : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٨ م)

الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر : (نشرة المكتبة التجارية ١٩٣٩ م)

الأصمعيات : (دار المعارف ١٣٧٠)

إعجاز القرآن للباقلاني : (دار المعارف ١٩٥٤ م)

الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني : (مطبعة التقدم ١٣٢٣ م ، ومطبعة دار الكتب المصرية)

الاقتضاب لابن السيد البطليوسي : (بيروت ١٩٠١ م)

الألفاظ المعربة لأدي شير : (بيروت ١٩٠٨ م)

أمالي ابن الشجري : (حيدر آباد ١٣٤٩)

أمالي القالي : (دار الكتب ١٣٤٤)

أمالي المرتضى : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م)

أمالي اليزيدي : (حيدر آباد ١٣٦٩)

الإمامة والسياسة لابن قتيبة . (مطبعة النيل ١٣٢٢) .

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٠ م)

أنساب الأشراف للبلاذرى . (دار المعارف ١٩٥٩ م)

إيمان أبي طالب : (النجف ١٩٥٦ م – ضمن مجموعة نفائس المخطوطات)

البداية والنهاية لابن كثير : (السعادة ١٣٢٨) .

بغداد ، لأحمد بن طاهر المعروف بابن طيفور . (عزت العطار ١٣٦٨) .

البيان والتبيين للجاحظ . (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠ م) .

تاج العروس للمرتضى الزبيدى : (القاهرة ١٣٠٦) .

تاريخ الطبرى : (الحسينية ، ١٣٢٦ دار المعارف) .

تاريخ ابن الأثير = الكامل

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : (مطبعة السعادة ١٣٤٩)

تاريخ المسعودى = مروج الذهب

تاريخ ابن الوردى : (المطبعة الوهبية ١٢٨٥) .

التبيان في شرح الديوان للعكبرى : (مصطفى الحلبي ١٣٥٥) .

تبيين كذب المفترى لابن عساكر (دمشق ١٣٤٧) .

تفسير ابن كثير : (عيسى الحلبي) .

تقديم أبي بكر لابن حجة الحموى : (المطبعة الخيرية ١٣٠٤) .

تكملة الغرر والدرر للشريف مرتضى . (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م) .

تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطى : (مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) .

تنزيه الأنبياء ، للشريف المرتضى : (المطبعة حيدرية بالنجف ١٣٥٢ هـ) .

تنقيح المقال في أحوال الرجال لعبد الله المامقانى : (طبع العجم ١٣٤٩) .

تهذيب التهذيب لابن حجر : (طبع الهند ١٣٢٥).

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبى : (مطبعة الظاهر ١٣٢٦).

الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله القرطبى : (طبع دار الكتب).

الجامع الصحيح للترمذى : (بولاق ١٢٩٢).

الجامع الصحيح للبخارى : (مطبعة عيسى الحلبى).

الجامع الصغير للسيوطى : (مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٥ م)

جمهرة أشعار العرب : (بولاق ١٣٠٨).

جمهرة الأمثال للعسكرى – على هامش مجمع الأمثال : (مطبعة الخيرية ١٣١٠ هـ).

حاشية البقرى على متن الرحبية فى الفرائض : (طبع مصر سنة ١٣١٠).

حلية الأولياء لأبى نعيم : (مطبعة السعادة ١٩٣٣ م)

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة : (طبعة المكتبة العربية ببغداد).

الحيوان للجاحظ : (مصطفى الحلبى ١٣٥٧).

خزانة الأدب للبغدادى : (بولاق ١٢٩٩)

درة الأسلاك فى دول الأتراك لابن حبيب الحلبى (مصورة دار الكتب رقم ٦١٧٠ ح)

درة الغواص للحريرى : (الجوائب ١٣٥٠).

ديوان الأخطل : (بيروت ١٨٩١ م).

ديوان أبى الأسود الدؤلى – ضمن مجموعة نفائس المخطوطات : (بغداد ١٩٥٤ م).

ديوان الأعشى : (فينا ١٩٢٧ م).

ديوان امرئ القيس : (دار المعارف ١٩٥٨ م).

ديوان أوس بن حجر : (دار صادر بيروت سنة ١٩٦٠ م).

ديوان البحترى : (هندية ١٩١١ م).

ديوان بشار بن برد : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ م).

ديوان بشر بن أبي حازم : (دمشق ١٩٦٠)

ديوان أبي تمام : (دار المعارف بمصر ١٩٥١ م ، بيروت ١٣٢٣ هـ) .

ديوان تميم بن المعز : (طبعة دار الكتب).

ديوان جرير : (مطبعة الصاوي ١٣٥٣).

ديوان جميل : (دار مصر للطباعة).

ديوان حاتم الطائي — ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ).

ديوان حسان بن ثابت : (الرحمانية ١٩٢٩ م) .

ديوان الحطيئة : (التقدم بالقاهرة).

ديوان الحماسة (شرح التبريزي : مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٣٨ م ، شرح المرزوقي : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م)

ديوان حميد بن ثور : (مطبعة دار الكتب)

ديوان ابن حيوس : (المجمع العلمي بدمشق).

ديوان الخنساء : (المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٦ م).

ديوان دعبل الخزاعي : (النجف ١٩٦٢ م)

ديوان أبي دواد الإيادي : (بيروت ١٩٥٩ م).

ديوان ذي الرمة : (كمبرج ١٩١٩ م) .

ديوان ابن الرومي : (مخطوطة دار الكتب رقم ١٣٩ — أدب).

ديوان زهير بن أبي سلمى : (طبع دار الكتب ١٣٦٣ هـ).

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس : (مطبعة دار الكتب).

ديوان السري الرفاء : (القدسي ١٣٥٥).

ديوان السموءل : (مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٥ م).

ديوان الشريف الرضي : (مصورة دار الكتب رقم ٢٦٣٢ ا ر ، مطبعة نخبة الأخبار بالهند ١٣٠٦ ، المطبعة الأدبية ببيروت ١٩٠٧ م)

ديوان الشنفرى ـ ضمن مجموعة الطرائف الأدبية ، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م)

ديوان الشماخ : (السعادة ١٣٢٧)

ديوان أبي طالب = غاية المطالب

ديوان طرفة بن العبد : (قازان ١٩٠٩ ، الأعلم ١٩٥٨ م)

ديوان الطرماح : (ليون ١٩٢٧ م)

ديوان الصاس بن الأحنف : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٤م)

ديوان عبيد بن الأبرص : (مصطفى الحلبي ١٩٥٧ م)

ديون أبي العتاهية : (بيروت ١٩١٤ م)

ديوان العجاج : (ليبسك ١٩٠٢ م)

ديوان العرجي : (بغداد سنة ١٩٥٦ م)

ديوان عروة بن الورد ـ ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ)

ديوان علي بن الجهم . (الهاشمية بدمشق ١٩٤٩ م)

ديوان عمر بن أبي ربيعة : (مطبعة السعادة ١٩٦٠م)

ديوان عنترة بن شداد من مجموعة العقد الثمين : (ليدن ١٨٧٠ م)

ديوان أبي فراس الحداني : (بيروت ١٩٢٥ م)

ديوان الفرزدق : (الصاوي ١٣٥٤)

ديوان قيس بن الخطيم : (مطبعة مدني ١٩٦٢ م)

ديوان كعب بن زهير : (طبع دار الكتب المصرية)

ديوان لبيد : (الكويت ١٩٦٢ م)

ديوان المتنبي ـ شرح العكبري : (مصطفى الحلبي ١٩٣٦ م)

ديوان مجنون ليلى : (دار مصر للطباعة)

ديوان المعاني للعسكري : (القاهرة ١٣٥٢)

ديوان معن بن أوس المزني : (مطبعة النهضة ١٩٢٧ م)

ديوان النابغة الذبياني ـ ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣)

ديوان أبي نواس : (العمومية ١٨٩٨ م)

ديوان مهيار الديلمي : (طبع دار الكتب المصرية)

ديوان ابن هانئ الأندلسي : (دار المعارف ١٣٥٢ ، المطبعة الأميرية ١٢٧٤ هـ)

ديوان الهذليين : (طبع دار الكتب المصرية)

الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد محسن : (مطبعة النجف ١٩٣٦ م)

الرجال للنجاشي : (طبع العجم ١٣١٧)

رسائل أبي حيان التوحيدي : (دمشق ١٩٥١)

الرسالة القشيرية : (الميمنية ١٣٣٠)

رغبة الآمل من كتاب الكامل للمرصفي : (مطبعة النهضة ١٣٤٦)

الروض الأنف للسهيلي : (الجمالية ١٣٣٢)

روضات الجنات لمحمد باقر الخوانساري : (طبع العجم سنة ١٣٠٤)

الرياض النضرة لمحب الطبري : (المطبعة الحسينية ١٣٢٧)

زهر الآداب للحصري : (عيسى الحلبي سنة ١٩٥٣ م)

سر الفصاحة للخفاجي : (الرحمانية ١٩٣٢ م)

سرح العيون فى شرح قصيدة ابن زيدون لابن نباتة : (مطبعة الموسوعات ١٣٢١ ملحق ١٩٦٣ م)

سقط الزند : (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ م)

سلوان المطاع فى عدوان الأتباع : (تونس ١٢٧٩)

سنن أبى داود : (مطبعة السعادة ١٩٥٠ م)

السهيلى = الروض الأنف

سير أعلام النبلاء للذهبى . (مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح) .

سيرة ابن هشام : (مطبعة حجازى بالقاهرة ١٣٥٦ هـ)

الشافى فى الإمامة للشريف المرتضى . (طبع النجف ١٣٠١)

الشاهنامة للفردوسى (مطبعة دار الكتب المصرية)

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى . (مكتبة القدسى سنة ١٣٥٠)

شرح شواهد العينى على هامش خزانة الأدب (بولاق ١٢٩٩)

شرح شواهد المغنى للسيوطى : (المطبعة البهية ١٣٢٢)

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : (مطبعة السعادة ١٩٤٧ م)

شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى : (طبع النجف ١٢٧٦)

شروح سقط الزند للتبريزى والبطليوسى والخوارزمى : (مطبعة دار الكتب ١٩٤٥ م)

الشعر والشعراء لابن قتيبة . (عيسى الحلبى ١٣٦٤)

شعراء النصرانية : (بيروت ١٩٢٦ م)

شفاء الغليل للشهاب الخفاجى : (المطبعة منيرية ١٩٥٢ م)

صبح الأعشى للقلقشندى : (طبع دار الكتب)

صحاح الجوهرى : (دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٦ م)

صحيح مسلم : (مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٥ م)

صفة الصفوة لابن الجوزى : (حيدر آباد ١٣٥٦)

صفين لنصر بن مزاحم : (مطبعة عيسى الحلبى ١٣٦٥)

طبقات الشافعية للسبكى : (المطبعة الحسينية ١٣٢٤ هـ)

طبقات الشعراء لابن سلام : (دار المعارف ١٩٥٢ م)

طبقات الشعراء لابن المعتز : (دار المعارف ١٩٥٦)

طبقات الصوفية للسلمى : (دار الكتاب العربى ١٩٥٣ م)

طبقات فقهاء اليمن للجعدى : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٧ م)

طبقات النحويين واللغويين للزبيدى : (مطبعة السعادة ١٩٥٤ م)

الطرائف الأدبية لعبد العزيز الميمنى : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ م)

العثمانية للجاحظ : (دار الكتاب العربى ١٩٥٥ م)

العقد لابن عبد ربه : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ)

العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين : (ليدن ١٨٧٠ م)

عقد الجمان للعينى : (مخطوطة دار الكتب ١٥٨٤ تاريخ)

العلويات السبع لابن أبى الحديد : (مصر ١٣١٧)

العمدة لابن رشيق : (مطبعة السعادة ١٩٥٥ م)

عوارف المعارف للسهروردى – على هامش الإحياء : (نشرة المكتبة التجارية)

عيون الأخبار لابن قتيبة : (مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣)

عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى : (مخطوطة دار الكتب ١٤٩٧ تاريخ)

غاية المطالب من ديوان أبى طالب : (طنطا ١٩٥١ م)

غرر الخصائص الواضحة للوطواط : (بولاق ١٢٨٤ هـ)
الفاخر للمفضل بن سلمة : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)
الفاضل للمبرد : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٦)
الفائق فى غريب الحديث والأثر : (مطبعة عيسى الحلبى ١٣٦٤ هـ)
الفخرى فى الآداب السلطانية لابن طباطبا : (مطبعة الموسوعات ١٣٤٧)
الفرق بين الفرق للبغدادى : (المعارف ١٣٢٨)
الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبى الحديد : (طبع الهند سنة ١٣٠٩) .
فهرست ابن النديم : (ليبسك ١٨٧١ م)
فوات الوفيات لابن شاكر : (مطبعة السعادة ١٩٥١ م)
القاموس المحيط للفيروز آبادى : (المطبعة الحسينية ١٣٣٠ هـ)
اللآلى لأبى عبيد البكرى : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ)
لزوم مالا يلزم : (مطبعة الجمالية ١٩١٥ م)
لسان العرب لابن منظور : (المطبعة الأميرية ١٣٠٠ هـ)
لسان الميزان لابن حجر : (طبع الهند ١٣٢٩ هـ)
الكامل لابن الأثير — فى التاريخ : (إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ)
الكامل للمبرد : (ليبسك ١٨٦٤ م ، نهضة مصر ١٩٥٦ م)
الكتاب لسيبويه : (بولاق ١٣١٦ هـ)
الكشاف للزمخشرى : (مطبعة الاستقامة ١٩٥٣ م)
كشف الظنون لحاجى خليفة : (طبع إستانبول سنة ١٩٤٣ م)
الكناية والتعريض للثعالبى : (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م)
ما هو نهج البلاغة ، للسيد هبة الله الشهرستانى : (مطبعة العرفان بصيدا)

مجمع الآداب لابن الفوطى : (ترجمة ابن أبى الحديد فى ذيل الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة طبعة الحلبى سنة ١٣٢٩ هـ)

المثل السائر لابن الأثير : (مصطفى الحلبى ١٣٥٨ هـ)

مجمع الأمثال للميدانى : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥ م)

مجموعة خمسة داووين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣)

مجموعة المعانى : (الجوائب ١٣٠١)

المحاسن والمساوى للبيهقى : (نهضة مصر ١٩٦١ م)

محاضرة الأبرار لابن عربى : (مطبعة السعادة ١٩٠٦ م)

محاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى : (الشرقية ١٣٢٦ هـ)

المختار من شعر بشار للخالديين : (الاعتماد ١٣٥٣ هـ)

مختارات ابن الشجرى : (الاعتماد ١٩٢٥ م)

مرآة الجنان لليافعى : (طبع الهند ١٣٣٤ هـ)

مراصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى : (مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٤ م)

مروج الذهب للمسعودى : (مطبعة السعادة ١٩٤٨ م)

المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى : (مطبعة عيسى الحلبى ١٩٦٢ م)

المعارف لابن قتيبة : (المطبعة الإسلامية ١٣٥٣ هـ ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٠ م)

معانى الشعر لابن قتيبة : (طبع الهند سنة ١٩٤٩ م)

معاهد التنصيص للعباسى : (مطبعة السعادة ١٩٤٧ م)

المعتمد لابن رسولا الغسانى : (المطبعة الميمنية ١٣٢٧ هـ)

معجم الأدباء لياقوت : (نشرة دار المأمون ١٩٣٦ م)

معجم البلدان لياقوت : (مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ)

معجم الشعراء للمرزبانى : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)

معجم ما استعجم للبكرى : (لجنة التأليف ١٣٦٤ ﻫ)

المعلقات ـ بشرح التبريزى : (مطبعة مدنى ١٩٦٢ م)

مغازى الواقدى : (برلين ١٨٨٢ م)

مغنى اللبيب لابن هشام : (نشرة المكتبة التجارية)

المفردات لابن البيطار : (طبع بولاق)

المفضليات : (دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م)

مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٨ ﻫ)

مقاييس اللغة لابن فارس : (عيسى الحلبي ١٣٦٨ ﻫ)

مقصورة ابن دريد : (مصر ١٣١٩ ﻫ)

الملل والنحل للشهرستانى : (مطبعة مخيمر ١٩٥٦ م)

المنتخب من كنايات الأدباء للجرجانى : (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م)

المنتظم لابن الجوزى : (طبع الهند ١٣٥٧ ﻫ)

المنهاج لابن جزلة الطبيب : (مخطوطة دار الكتب برقم ١٠٧ ـ طب)

المؤتلف والمختلف للآمدى : (عيسى الحلبي ١٩٦١ م)

الموشح للمرزبانى : (السلفية ١٣٤٣)

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى : (مطبعة دار الكتب ١٣٤٨)

نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيرى : (دار المعارف ١٩٥٣ م)

نسمة السحر فى ذكر من تشيع وشعر ، ليوسف بن يحيى الصنعانى : (مصورة دار الكتب رقم ١٣٨٤٩ ح)

نقائض جرير والفرزدق : (ليدن ١٩٠٥ م)

النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى : (باريس ١٨٩٧م)

نهاية الأرب للنويرى : (طبع دار الكتب)

النهاية فى غريب الحديث والأثر لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير (المطبعة العثمانية ١٣١١)

نوادر أبى زيد : (بيروت ١٣٤٤)

الهاشميات للكميت : (شركة التمدن ١٣٣٠)

وفيات الأعيان لابن خلكان : (المطبعة الميمنية ١٣١٠)